

البرامج الثقافية

في

الإعلام الإذاعي



د. س. ي. ر. ج. ا. د.

الهيئة المصرية العامة للكتاب



البرامج الثقافية والإعلام الإذاعي

تأليف
د. سريرجاد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف

لا يخرج الفن الإذاعي عن أن يكون شكلا من أشكال عملية اجتماعية ، هي عملية الاتصال . وكلمة « الاتصال » تمتاز بالتعبير عن الغرضية والتفاعل معا ، بمعنى أنها تنطوى على معنى القصد أو التدبير ، وكذلك تعنى التفاعل أو المشاركة . والإعلام الثقافي كمصطلح جديد - يقوم على أساس من فهم طبيعتي الإعلام والثقافة ؛ وهو فهم ينبع من جوهر مشترك لهما وهو « الاتصال » .

ويظن البعض أن ظاهرة الاتصال هي نوع من النتائج الفرعية لتقدم العلم والتكنولوجيا ، وفي ذلك تجاهل لدور الاتصال في المجتمع ، فقد سبقت الكلمة المسموعة سائر الوسائل الأخرى كالكتابة والطباعة والصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما ، ولا تزال اللغة بوصفها مجموعة الرموز الإنسانية للتفاهم من أهم أدوات الاتصال ، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي لا يستجيب فقط للبيئة المادية الموضوعية ، ولكنه يستجيب أيضا للبيئة الرمزية من صنعته .

فاللغة إذن هي العامل المشترك بين « الإعلام » و « الثقافة » في إطار ظاهرة الاتصال ؛ أو الإعلام الثقافي ؛ الذي ينطلق منه كتاب د . سهير جاد عن البرامج الثقافية في الإعلام الإذاعي .

ويقتضى الأمر أن نفرق بين مصطلح « الإعلام الثقافي » Cultural Comm unication ومصطلح « الاتصال الثقافي » Cultural Contact ذلك أن المصطلح الأخير يعنى التفاعل بين أعضاء جماعتين لكل منهما ثقافة متميزة ؛ يؤدى الى تعديلات في الثقافتين ؛ فى حين أن المصطلح الأول الذى يعنينا فى هذا الكتاب الذى نقدم له اليوم وهو « الإعلام الثقافي » يرتبط بمفهوم الاتصال Communication الذى يعنى : انتقال المعلومات أو الأفكار ، أو الاتجاهات ، أو العواطف من شخص أو جماعة أو وسيلة إعلام الى شخص أو جماعة أخرى من خلال الرموز ويوصف الإعلام بأنه ثقافى حينما يكون المضمون الذى يقدمه المرسل مضمونا ثقافيا ، وبذلك يمكن من نقل المعارف وتيسير الأنماط الثقافية ؛ وتقديمها الى الجماهير .

فالإعلام الثقافى إذن هو عملية يتم عن طريقها إرسال رسالة ثقافية معينة ، فى إطار دائرة ، إلى المستقبل ، مع النتائج المترتبة على ذلك . ويتضمن الإعلام الثقافى بالضرورة فكرة « التفاعل » حيث يتحول المرسل إلى مستقبل ، والعكس صحيح أيضا .

وإذا كان الاتصال هو نقل المعانى عن طريق الرموز ، فإن الإعلام الثقافى هو نقل المضمون الثقافى عن طريق الرموز فى وسائل الإعلام ؛ فالفكرة الرئيسية إذن فى الإعلام الثقافى هى الاشتراك فى الإطار الثقافى الذى يتضمن جوانب الثقافة وما يعيه منها أعضاء المجتمع ؛ على النحو الذى يجعلنا ننادى بتأسيس دعائم « علم الإعلام الثقافى » فى مقابل « علم الثقافة » Culturology ؛ مفيدا منه ومن نتائج دراساته ؛ فى الوقت الذى يركز على علوم الاتصال ونظرياته .

ويركز علم الثقافة على التعريف الكلاسيكى الشهير الذى قدمه تايلور للثقافة . إذ تصبح الثقافة فى ضوء هذا الفهم شيئا قائما بذاته ، أى أنها تمثل انتظام مجموعة من الأحداث والعناصر الرمزية كاللغة والعادات والمعتقدات ، والادوات . ويؤكد العلماء أن دراسة الثقافة أصبحت تمثل ميدانا مستقلا ، خلال المائة سنة الأخيرة ، مما جعل لها أهمية خاصة ، ومما جعل لدعوتنا إلى تشييد دعائم « علم الإعلام الثقافى » أهمية أخص .

من أجل ذلك تحمست لتقديم هذا الكتاب وسلفه ، لأنهما يدوران فى إطار « علم الإعلام الثقافى » الذى أنادى من أجله منذ زمن ليس بالقصير ؛ بهدف دراسة الثقافة من الوجهة الإعلامية والاتصالية ؛ من حيث أهمية التوصيل الثقافى فى المجتمع ومن حيث

وظائف الإعلام الثقافي فيه ؛ ومن حيث نشأته وتطوره وعلاقاته مع النظم الاجتماعية ، وغير ذلك من الموضوعات المشتركة بين الإعلام والثقافة .

وتأسيسا على فهم التحليل الوظيفي الذي نصدر عنه في دراساتنا الإعلامية ؛ يمكن أن نقول إن للإعلام الثقافي من الوظائف ما يجعله على درجة من الأهمية عند التخطيط لمضمون وسائل الإعلام في بلادنا مسموعة أو مرئية أو مقروءة ، وهى أهمية تتفوق على أهمية الترفيه أو استهواء غرائز الجماهير . في مقدمة هذه الوظائف : الوظيفة الروحية ؛ حيث يسعى الإعلام الثقافي الى رأب الصدع في المجتمع المعاصر الذى تطفئ فيه المنافع المادية على حياة الناس ؛ وذلك حينما يسعى الإعلام الثقافي إلى إشاعة القيم الجمالية بين الجماهير ، وهنا تصبح الفنون في إطار الإعلام الثقافي بالراديو أو التلفزيون أو الصحافة وسيلة من وسائل التطهير النفسى ؛ ومواجهة الأزمات النفسية التى يعانى منها الإنسان المعاصر .

والوظيفة الثانية للإعلام الثقافي ، وظيفة اجتماعية ؛ او كما يذهب دوركايم وجروس بالقياس الى الفن ؛ أنه يخلق من مشاهديه والمعجبين به وحدة اجتماعية متماسكة فهو وسيلة لخلق التضامن بين الناس في الهيئات والمجتمعات . فالحفلات الفنية التى يقيمها أعضاء هيئة اجتماعية توحد فيما بينهم وتولد روحاً مشتركة قوية يعجز العمل المشترك اليومي عن خلقها . وكذلك تستطيع وسائل الإعلام عن طريق ما تقدمه من فنون ومواد ثقافية ؛ ومن بين هذه الفنون مثلا ؛ نجد أن الموسيقى توجد بين الناس في المجتمعات الراقية ؛ وهى أوثق ارتباطا بالفن الإذاعى الذى تعالجه مؤلفة هذا الكتاب ؛ لتوصله الى الأذن ؛ فالموسيقى فن سمعى ؛ يتضح أثره فيما يحفظه « كل طفل وكل امرأة وكل رجل وكل شيخ في المجتمع متمثلا في النشيد القومى الذى يثير في نفوس الناس معنى الوجود الكلى ويقوى فيهم الروح الجمعية والشعور الوطنى » على حد تعبير عالم الاجتماع الراحل د . عبد العزيز عزت ، ووسائل الإعلام ووسائل ديمقراطية ؛ والموسيقى فن ديمقراطى لم يتقدم إلا في العهود الديمقراطية التى أقرت حقوق الإنسان واعتمدت على حاسة الأذن - التى يتوصل اليها الفن الإذاعى - والتى يسميها الفنانون الحاسة الشعبية الديمقراطية لأنها ليست بحاجة إلى تعمق في فهم الأصول الفنية لإدراك معانيها البعيدة ؛ فالأذن حاسة شاعرة تدرك عن الطريق المباشر بوقع الصوت على أعضائها بينما العين تدرك عن الطريق غير المباشر بتحليل ومقارنة الرسوم والألوان بعضها ببعض .

وللإعلام الثقافي كذلك وظيفة تربوية : فهو من جهة « رياضة عقلية » تهذب ملكات النفس ، حتى تدرك النسب الجميلة في الأشياء والإعلام الثقافي يقدم المعارف والعلوم ويبسطها ويحقق التقارب بين أصحاب التخصص في مجالات الثقافة : العلمية والأدبية والفنية ؛ ويسهم في تربية الوجدان الأخلاقي ؛ فالفن الإذاعي مثلاً كثيراً ما يقدم تمثيلات تحت الناس على الفضيلة ؛ وكثير مما يقدمه الفن الإذاعي يتغيا أغراضاً تربوية ، مما يؤكد لنا أن الإعلام الثقافي فن اتصالى فعال من الناحية التربوية فيما يسمى حياة العقل والوجدان والأخلاق .

وللإعلام الثقافي وظيفة علمية فيما يقدمه من تبسيط للعلوم ومن مواد علمية تكسب العقل أسلوباً معاصراً في التفكير العلمي .
كما أن للإعلام الثقافي وظيفة أدبية ، من حيث الارتقاء المستمر بمستويات التذوق الأدبي لفنون الأدب المختلفة .

ولا نغفل الوظيفة الإعلامية للإعلام الثقافي وهي المرتبطة باسمه كمصطلح جديد ؛ وهي وظيفة مشتقة من أهمية الإعلام في المجتمع الحديث . حيث يركز على مخاطبة عقول الجماهير ووجداناتهم ؛ الأمر الذي يجعل أثره واضحاً في تكوين اتجاهات الرأي العام . وإذا كان الفن الإذاعي - كما يقول حكيم الأدب العربي توفيق الحكيم رحمه الله - « وعاء متحركاً للفن والأدب » ، فإن الإذاعة - كما يقول - تتخذ من الصوتيات لغتها التي تسيطر بها على سامعيها . وهنا يحدث التمييز بين التليفزيون - كإذاعة مرئية - وبين الراديو - كإذاعة مسموعة . وهذا التمييز لا يحول دون الاتفاق في الطبيعة « فكلاهما - كما يقول الحكيم - يدرك صنعته المتحركة ، وما تقتضيه من تبسيط يغنى العقل عن المراجعة ! فالإذاعة تدرك أنها صيحة عابرة ، لا تقف حتى يسمعها من ذهل أو يفهمها من جهل ! .. كما تدرك مع السينما جانب الصناعة فيها ، وما تستوجبه من مراعاة المستوى الشائع لجمهور المستمعين ! .. هذا الجانب الصناعي - في الإذاعة والسينما والصحافة - له أثره واعتباره في نوع الإنتاج والأهداف ! .. فتلك أدوات لا تقوم إلا على نظام المؤسسات أى على نظام جماعى يعامل جماعات .. فهي كلها إذن لا تستطيع أن ترضى جماعة دون جماعة ، أو توافق ذوقاً دون ذوق .. وهي دائماً تضع في حسابها حل هذه المشكلة : ارضاء ذوق الأغلبية الغالبة ! « من أجل ذلك اختارت د . سهير جاد « البرامج الثقافية في الفن الإذاعي » موضوعاً لكتابها هذا ، وهو مع كتابها عن « البرامج

التليفزيونية والإعلام الثقافي « يمثل خطوة جادة على طريق تشييد دعائم « علم الإعلام الثقافي » الذي نتصور أنه سيكون سيد علوم الإعلام في السنوات القليلة القادمة ؛ واشكر للمؤلفة هذا الجهد الكبير ؛ وأتمنى أن تواصل مع زملائها من المتخصصين في الدراسات الإعلامية تقديم المزيد .

مقدمة المؤلف

لا شك أن الإذاعة المسموعة بما لها من خصائص وإمكانات من أهم وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحاضر وأكثرها نفذاً إلى البنية الاجتماعية والثقافية والأخلاقية للمجتمع ، وأن مصر وهي تمر الآن بمرحلة تتزايد فيها سرعة التغيير الاجتماعي المصاحب للتطور الاقتصادي والسياسي والحضاري تحتاج إلى دراسات متعددة حول هذه الوسيلة التثقيفية الهامة في المجتمع حيث تقوم الإذاعة بدورها في التطبيع والتنشئة الاجتماعية ^(١) . فهي تسعى لتكامل المجتمع بتنمية الاتفاق العام أو وحدة الفكر بين أفراد وجماعاته ، وتقوم بتثبيت القيم والمبادئ والاتجاهات والعمل على صيانتها والمحافظة عليها بتوسيع مجال الحديث والمشاركة والمناقشة بترويج المفاهيم الجديدة المتعلقة بالنواحي الثقافية بطريقة التبسيط والتفسير .

وخلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة تمت على المستويين الدولي والعربي مجموعة من الاجتماعات للبحث في طبيعة وسائل الاتصال الجماهيري وآثارها ، ومن بينها الإذاعة ، ولكن هذه الاجتماعات إما أنها كانت شاملة تبحث الإطار العام للإذاعة المسموعة ، وإما أنها تناولت تأثيرها ودورها في التعليم والتنمية الريفية والتثقيف العمالي ومحو الأمية وغير ذلك ، ولكن هذه الدراسات والاجتماعات لم تسلط الضوء بالقدر الكافي على آثار الإذاعة في المجال الثقافي والأخلاقي الذي يعتبر من أخطر مجالات التأثير في الحياة الإنسانية ^(٢) .

(١) د . جيهان رشقي : تأثير وسائل الإعلام الالكترونية على حياة الأسرة في المجتمع الجديد ، مجلة الاذاعات العربية - ديسمبر ١٩٧٥ .

(٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : حلقة الاذاعة المرئية - طرابلس ٢٣ - ٣٠/٩/١٩٧٢ .

والإذاعة بما لها من خصائص - تقوم بتزويد الجماهير بزيادة ثقافي وفني واجتماعي وتشترك بصورة واضحة في تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع عن طريق تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها ، وفي تغيير العادات السلوكية وتعديل القيم الأخلاقية من خلال تقديم القدوة والأنماط الإنسانية وفي تكوين الذوق الفني والحضاري من خلال الاختيار والمفاضلة . وهكذا تصبح الإذاعة في البلاد التي تستخدمها من أكثر أدوات التثقيف فعالية وأبعدها أثرا^(١) .

ومن ذلك تتضح أهمية دراسة الإذاعة المسموعة في مصر ، ودراسة وظيفتها الثقافية بخاصة في عصر يمتاز بأنه عصر التواصل الفكري والثقافي حيث أصبحت وسائل الإعلام تشكل المعلومات في أنماط وأشكال ذاتية لها معنى ، ونظرا لأن هذه الوسائل أصبحت تحيط بنا في كل مكان ، نجد أنها خلقت تآلفا ثقافيا أكبر ، ووسعت نطاق تجاربنا الثقافية ، وزدات رصيدنا من المعلومات والأفكار ، وأثرت على آرائنا واتجاهاتنا وخصائص شخصيتنا^(٢) .

وتأسيسا على هذا الفهم ، اختارت المؤلفة : « البرامج الثقافية في الإذاعة المسموعة » موضوعها لهذا البحث ، لما للإذاعة المسموعة في المجال الثقافي من آثار إيجابية ، ولأن « البلاد العربية - وهي تمر الآن بمرحلة تتزايد فيها سرعة التغيير الاجتماعي المصاحب للتطور الاقتصادي والسياسي والحضاري - تحتاج الى دراسات متعددة حول الإذاعة ، حتى يمكن الاستفادة بطاقتها التأثيرية المتزايدة مع انتشارها السريع في عملية التنمية الشاملة للمجتمعات العربية^(٣) . خاصة وأن الإذاعة في مصر وفي غالبية الدول العربية تشرف عليها الدولة مما يتيح فرصة التخطيط المتكامل^(٤) .

وكان من الطبيعي أن يتحدد موضوع البحث بدراسة البرامج الثقافية في البرنامج العام وصوت العرب ، من حيث اعتبار كل من الاذاعتين ذات شخصية مستقلة تفرض طابعها على البرامج الثقافية المقدمة من كل منها ، في إطار من الوحدة والتنوع .

اقتضى المنهج العلمي في هذه الدراسة أن تقسم الى ثلاثة أبواب ، يتناول الباب الأول بفصوله الثلاثة : « مشكلة البحث - البرامج الثقافية ماهيتها ومعاييرها الإذاعية ، وحدد المدخل مشكلة البحث في محاولة الإجابة على عدد من الأسئلة أهمها :

١ - هل تعمل الإذاعة على توفير خلفية ترفيهية فقط ؟

(١) المرجع نفسه ، ص

(٢) جيهان رشتي : المرجع السابق ص ٤١ .

(٣) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المرجع السابق ص هـ

(٤) المرجع نفسه ، ص هـ

٢ - أم أن في مقدورها أن تقدم الثقافة في شكل مستساغ لجمهورها على اختلاف نوعياته ؟

٣ - هل تساهم الإذاعة المسموعة في مصر في تقديم زاد ثقافي وفني يشارك في تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع في إطار من مفهومي « الوحدة » و « التنوع » ؟

٤ - ما هي العقبات التي تعوق الإذاعة عن أداء وظيفتها التثقيفية ؟ وكيف يمكن التغلب عليها ؟

٥ - ما هي الخصائص التي تميز الإذاعة المسموعة كوسيلة تثقيفية ؟

٦ - ما هي طبيعة « البرامج الثقافية » بعامة وفي إذاعتى : صوت العرب والبرنامج العام بخاصة ؟

٧ - هل تقوم البرامج الثقافية في « صوت العرب » بوظيفة مختلفة عنها في البرنامج العام أم أنهما متكاملتان ؟

٨ - ما هي علاقة الإذاعة المسموعة بوسائل الاتصال الأخرى من حيث الوظيفة الثقافية :

الثقافة

التلفزيون - الصحافة - المسرح - السينما ؟

٩ - ما المقصود بالبرامج الثقافية في هذا السياق ؟ وما مقومات الثقافة العربية المعاصرة ، وما أهم سماتها ؟

وفي ضوء هذا الفهم تناول الفصل بالدراسة : « الإذاعة المسموعة ومشكلة الثقافة » ، ماهية البرامج الثقافية ، من خلال دراسة معنى الثقافة - الإذاعة والانتشار الثقافي ، تمهيدا لمحاولة تحديد تعريف للبرامج الثقافية ، أما الفصل الثاني فقد تناول بالدراسة « المعايير الإذاعية للبرامج الثقافية » سعيا لتحديد معايير دراسة هذه البرامج في صوت العرب والبرنامج العام .

وفي الباب الثاني ، قامت المؤلفة بدراسة البرامج الثقافية في إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، فخصصت الفصل الثالث لدراسة البرامج الثقافية في البرنامج العام - تطورها وأهدافها ، وارتباطها ، بالقيم العلمية والفنية وأخلاقيات الإذاعة ، كما درست الموضوعات التي تقدمها هذه البرامج الثقافية في البرنامج العام .

أما الفصل الرابع ، فقد عنى بدراسة البرامج الثقافية في صوت العرب ، فتناول البرامج الثقافية - الأحاديث والندوات - القصة والشعر - المسرح والسينما والموسيقى - الكتاب والمجلات والرسائل الجامعية .

وفي الفصل الخامس ، قامت المؤلفة بدراسة « اللغة المشتركة في البرامج الثقافية التي تقدمها إذاعتا البرنامج العام وصوت العرب ، وخصص الباب الأخير لدراسة « البرامج الثقافية بين الأدب والفنون والعلوم » على اعتبار أن هذه الدوائر الثلاث هي التي تدور فيها البرامج الثقافية ، فخصص الفصل السادس لدراسة التكامل بين الإذاعة وأجهزة الثقافة من خلال تقديمها للفنون - المسرح والسينما والفنون التشكيلية ودورها في تنمية الوعي القرائي ، وخصص الفصل السابع لدراسة الأدب في البرامج الثقافية ، من خلال دراسة الأدب الإذاعي والقصة والشعر والأدب الدرامي في البرنامج العام وصوت العرب .

أما الفصل الأخير فقد خصص لدراسة تبسيط العلوم في البرامج الثقافية ومن خلال هذه الدراسة فقد تبين أن الإذاعة المسموعة أدخلت تعديلات جوهرية على طريقة تلقي الأعمال الفنية والثقافية الأخرى من خلالها ، مثل المسرح والموسيقى والسينما ، وهكذا أدخلت تعديلا أساسيا على التذوق الجمالي والفني في حياة الإنسان المعاصر ، بل تعدت ذلك إلى استحداث أنواع وأشكال فنية لها صفات خاصة من حيث استخدام اللغة والبناء الدرامي وغير ذلك من العناصر الفنية ثم قدمت المؤلفة منهج البحث ونتائج تحليل المضمون وما أسفر عنه البحث من توصيات ولا يسع الباحثة ، وقد انتهت من هذا الجهد المتواضع إلا أن تسجل خالص التقدير لكل من تفضل بمعاونتها وتوجيهها في هذا العمل العلمي ، وتخص بالذكر أستاذتها الدكتورة جيهان رشتي وأستاذها د . عبد الحميد يونس ود . عبد العزيز شرف والمستولين عن هيئة الكتاب واذ تسجل المؤلفة محاولاتها في التزام الحيدة العلمية فإنها تحمد الله على العون والتوفيق .

مدخل

تحاول المؤلفة في هذا المدخل ، أن تحدد مشكلة البحث ، حول البرامج الثقافية في الإذاعة المسموعة ، والدراسة المقارنة بين البرنامج العام وصوت العرب كما تحاول أن تبين أهمية هذه المشكلة ، في ضوء البحوث والدراسات السابقة ، ثم تطرح خمسة افتراضات أساسية يقوم عليها البحث ، في محاولة لمناقشتها من خلال أسلوب تحليل المضمون ، كمنهج اختارته الباحثة في هذه الرسالة .

أولا : مشكلة البحث :

ليس هذا البحث محاولة لاختيار قضايا نظرية ، بقدر ما هو إستجابة لدور البحوث في تطوير الأوضاع الثقافية في مصر والبلاد العربية ، تأسيسا على أن عمليات البناء الثقافي في المجتمع يجب ألا تقتصر على المناهج الدرامية وبرامج التعليم وإنما ينبغي أن تتعداها الى استخدام وسائل الاتصال الجماهيري استخداما واسعا ومجديا .

وقد أجريت عدة تجارب معملية لدراسة قوة تأثير كل من وسائل الإعلام المختلفة ، كما أجريت دراسات أخرى عملية في المجتمع لمقارنة هذه الوسائل وقياس قوة تأثير كل منها في الجمهور . وكانت معظم هذه التجارب منصبة على قياس قوة التذكر لدى الأفراد بعد التعرض لكل وسيلة من وسائل الاعلام وقد اتضح أن وسائل الاعلام السمعية كالإذاعة تساعد على تذكر المواد البسيطة القصيرة . أما المواد الطويلة المعقدة فتلائمها الوسائل البصرية كالصحافة والكتاب^(١) .

(١) ابراهيم امام : العلاقات العامة والمجتمع (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧) ، ص ١٩٨ .

وتأسيسا على هذا الفهم يذهب بعض الدارسين الى أن الإذاعة تتناسب مع التنظيمات اللغوية السهلة والعبارات البسيطة القصيرة . وأن الإذاعة تناسب قليلا الحظ من الثقافة ، بل والأمين أنفسهم . ولما كان عنصر التعبير عن الشخصية متوافرا في الصوت الإذاعي النابض بالحياة ، فإنه من الطبيعي أن تتفوق الإذاعة على الصحافة في هذه الناحية . ومن نتائج ذلك أيضا أن الإذاعة من أصلح الوسائل للاستهواء والايحاء الذى يمكن أن يكون ذا أثر فعال في تقديم الثقافة لمستمعى الإذاعة .

ولعله من أجل ذلك يذهب بعض الدارسين ^(١) الى أن الإذاعة قد أصبحت اليوم « أقوى جهاز تملكه الإنسانية لنشر الثقافة والفن وتوجيه الشعوب » فنحن قد نجد الآن في العالم العربى قرية ليس بها مدرسة أو مكتبة أو لا تصلها الصحف والمجلات فضلا عن الكتب ، وليس بها مسرح أو دار للسينما ، ولكننا نشك في وجود قرية ليس بها جهاز للراديو . ويزيد الراديو انتشارا وتأثيرا في العالم العربى ما تركه التلخف من « أمية وفساد في مناهج التربية والتعليم وأهدافها » ويزيد من أهمية الراديو وشدة إقبال الإنسان المعاصر عليه أنه يمثل أقل الجهود في تحصيل الثقافة هو والسينما والمسرح إذا قيست هذه الأجهزة بالقراءة التى تتطلب مجهودا عقليا وعصبيا لا يتطلبه الراديو . ومن ذلك يتضح أن الراديو قد أصبح من أكثر أجهزة الثقافة انتشاراً وقوة وإقبالا من الناس ، ولعله من أجل ذلك يتضح أيضا ، أن مشكلة هذا البحث تتلخص في دراسة قدرة هذا الجهاز على تثقيف الجماهير واعدادهم للحياة الحقة ، من خلال المضمون الذى تقدمه البرامج الثقافية في الإذاعة .

وقد حرصت السياسة الثقافية في مصر على تأكيد هذا المعنى ^(٢) حيث تمت إعادة النظر في توزيع الخدمات على القنوات الإذاعية وفقا لأهدافها وتعديل بعض أوقات الإرسال الى بعض المناطق وأجريت التعديلات اللازمة اعتبارا من ١٩٧٧/١١/٥ . وبدأت من دورة - إبريل - الإذاعية زيادة كثافة المواد الثقافية في كافة الخدمات ، فضلا عن الدور الثقافى للبرنامج الثانى بهدف ربط المستمع العربى بترائه الثقافى . كما تم وضع خطة خمسية ١٩٨٢/٧٨ تضم جميع المشروعات اللازمة لتقوية الإرسال الإذاعى تبلغ تكاليفها التقديرية ٤٣٥ر٤٠ مليون جنيه مصرى ، كما تستخدم الموجة المتوسطة بالنسبة لإذاعة البرنامج العام في جميع الأماكن المأهولة بمصر ، ويتم ذلك هندسيا بصفة دائمة كسياسة عامة .

(١) محمد مندور : الثقافة واجهزتها ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٢) ، ص ٢١ .

(٢) المؤتمر العام للثقافة والإعلام - القاهرة ٢٢ - ٢٧/٣/١٩٧٨ .

ومن ذلك يتضح أن السياسة الثقافية في مصر ، تنظر للإذاعة على اعتبار أنها وسيلة أساسية ، يمكن أن تصل إلى جميع السكان بسهولة ، وتستطيع أن تصل إلى جماعات خاصة مثل الأطفال وكبار السن ، والأقل تعليماً والمتعلمين ، وغيرهم من الجماعات المختلفة التي قد يصعب الوصول إليها بوسائل الإعلام الأخرى^(٣) . فضلاً عن أن الرسالة المذاعة قد تكون ثقافياً - أكثر فاعلية من الرسالة التي تنقل الاتصال المواجهي لأنه يمكن تقويتها بواسطة الموسيقى والتأثيرات الخاصة التي تترك انطباعات قوية .

وتأسيساً على هذا الفهم ، فإن مشكلة البحث تتلخص في عدد من التساؤلات أهمها :

- ١ - هل تعمل الإذاعة المسموعة على توفير خلفية ترفيهية فقط ؟ أم أن في مقدورها أن تبسط الثقافة وتقدمها في شكل مستساغ لجمهورها على اختلاف نوعياتها ؟
- ٢ - ما هي العقبات التي تعوق الإذاعة عن أداء وظيفتها الثقافية ، وكيف يمكن التغلب عليها ؟
- ٣ - ما هي الخصائص التي تميز الإذاعة المسموعة كوسيلة تثقيفية ؟
- ٤ - ما هي طبيعة البرامج الثقافية بوجه عام - وفي إذاعتى : البرنامج العام وصوت العرب بوجه خاص ؟

ثانياً : أهمية المشكلة :

ومما تقدم يتضح أن هذا البحث يهدف بصفة أساسية إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات حول الدور الذي تقوم به الإذاعة المسموعة تجاه الثقافة العربية المعاصرة وكيفية قيامها بهذا الدور ، وما هو المضمون الذي تنقله البرامج الثقافية وما هي خصائصها الفنية ، من خلال دراسة هذه البرامج في إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب خلال الدورة الإذاعية أبريل - يونية ١٩٧٨ .

فلقد أنشئ البرنامج العام في مصر سنة ١٩٢٤ ، وظلت البرامج الثقافية حتى عام ١٩٦٢ ، تشمل : الأحاديث والندوات والقراءات الأدبية والبرامج الثقافية في قالب منوعات والتمثيلات والبرامج الخاصة ، كما كانت تشمل ، البرامج الدينية .. ولم تلبث البرامج الثقافية في البرنامج العام أن استقرت على التقسيم الحالي لموادها على النحو الآتى :-

البرامج الثقافية العامة - الأحاديث والندوات - القصة - الشعر - المجالات العالمية والعربية - العلوم - المسابقات - البرامج الخاصة ..

(٣) جيهان رشدي : الأسس العلمية لنظريات الاعلام ، (القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٧٥) ، ص ٣٤٣ .

وفي عام ١٩٥٢ رُؤى توجيه برنامج الى الجماهير العربية في جميع اجزاء العالم العربى ، فبدأت إذاعة « صوت العرب » إرسالها في الساعة السادسة من مساء يوم السبت الرابع من يوليو ١٩٥٢ ، وقد استمر الإرسال لمدة نصف ساعة ، ولم تمض ثلاثة أشهر حتى أصبح الإرسال ساعة في كل يوم . وفي يناير ١٩٥٤ ألغى البرنامج الثانى وحل مكانه « صوت العرب » بإرسال يومى مدته ساعتان وارتفع هذا الإرسال في يوليو ١٩٥٤ الى سبع ساعات كل يوم إلى أن وصل ٢٢ ساعة وربع يوميا . ومنذ إنشاء هاتين الإذاعتين الكبيرتين لم تجر بحوث تستهدف التعرف على مدى تحقيق كل منهما للأغراض الثقافية بخاصة ، رغم أهمية مثل هذه البحوث لا لهذه البحوث لا لهذه الإذاعة أو تلك فحسب ، وإنما لتحديد الشخصية الإذاعية لكل إذاعة ، فهل صوت العرب مجرد تكرار للبرنامج العام ؟ أم أن لكل إذاعة شخصية متميزة تفرض نفسها على الطابع الثقافى بحيث تتكامل الإذاعتان في تحقيق الوحدة والتنوع مثلا ؟

إن بحوث المستمعين التى أجريت خلال عام ١٩٧٧ أسفرت عن أن الجمهور يريد إعادة النظر في محطات إذاعاتنا التى يبلغ عددها ١٢ محطة إذاعية والعمل على تخفيض هذا العدد حتى يكون الكم على حساب الكيف في المواد الإذاعية ، وطالب الجمهور بإلغاء البرامج المكررة بالمحطات الإذاعية ، ومن ذلك يتضح ضرورة إجراء بحوث تعنى بمضمون البرامج الثقافية ، بهدف تحديد :

- ١ - العنصر التثقيفى الذى سيميز البرنامج الثقافى عن غيره من البرامج الإذاعية في الإذاعة الواحدة ، وعن مثيله في الإذاعات الأخرى .
- ب - التجديد ، أو البعد الجديد الذى سيضيفه البرنامج الى ميدان الثقافة بإزاء أجهزة الإعلام الأخرى : وكذلك يفترض البحث بداءا ، أن إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ينبغى أن تكون لكل منهما شخصيتها المتميزة وطابعها الثقافى المتميز ، من حيث الوحدة والتنوع في الثقافة العربية فلقد عرفت الثقافة العربية في عصورها السابقة ألوانا من التنوع ، تردت في المقام الأول الى عاملين : أولهما أن الثقافة العربية امتدت فشملت رقعة واسعة جدا من الأرض ، تنوعت فيها أنماط المعيشة وتفاوتت فيها درجات التحضر . وثانيهما ، أن الثقافة العربية كانت متفتحة على الثقافات السابقة عليها والمعاصرة لها ، فاستقبلت تيارات فكرية متعددة جاءت إليها من المشرق والمغرب ، فضلا عن حصيلة ضخمة من التراث السابق كانت تعيش في البيئات نفسها وتتفاعل وثقافتها الجديدة .

ومع هذا ، فقد ظل للثقافة العربية في مختلف مجالات الإنتاج ، طابع مميز ، جعل لها شخصية مستقلة حين تقارن بثقافات الأمم الأخرى في العصور القديمة والمتوسطة

والدارسون المحدثون مهما اختلفت أحكامهم على الحضارة العربية ، يعترفون بهذا التنوع من التميز والاستقلال ويجد فيه ورثة الثقافة العربية مصدرا من مصادر الخصب ووفرة العطاء . والامر في العصر الحاضر لا يختلف كثيرا في هذه الناحية عنه في العصور لسابقة ، فلا تزال الامة العربية تشغل الرقعة الواسعة من الأرض ، ولا تزال تتلقى فيه حضاريا من كل جانب .

وإنما يجيء الخلاف بين العصور القديمة والحديثة في أن العصر الحاضر قد استحدث في مجال الثقافة مفاهيم جديدة أهمها الربط بين الثقافة والمجتمع وتأكيدهما للدور الإيجابي أو القيادي للثقافة في حياة الجماهير وكذلك مكن العصر لأنواع من التعبير الأدبي والفني أن تحتل مكانا لم تكن تحتله من قبل كالفن المسرحي واستحدثت اشكالا إذاعية تقدم فيها هذه الأنواع وهي بطبيعتها تخاطب جمهورا أكثر عددا وأكثر تنوعا من جمهور الكتاب قديما ، وفوق ذلك كله فإن فكرة القومية قد اتخذت لها في الوطن العربي أبعادا جديدة ، وأصبحت محورا يدور حوله نشاط أبناء الامة العربية على جميع مستوياتهم ، ومنفذا لتعبئة طاقات الامة العربية كلها في مختلف ميادين الحياة العامة .

ومن هنا انتقلت فكرة التنوع والوحدة الى وضع جديد يختلف عن وضعها في الماضي ، وأثارت بالنسبة للإذاعة قضايا ومسائل لم تكن تثار من قبل ، فاختلطت أحيانا ، في نطاق الوحدة والتنوع ، فكرة المحلية بفكرة الإقليمية وتداخلت أحيانا أخرى فكرة القومية مع فكرة الإقليمية ، وظهرت العناية بالآداب الشعبية وقامت الحاجة إلى مخاطبة الجماهير بما يفهمونه ، فوجد مجال للقول في مسألة الفصحى والعامية ، لا سيما مع انتشار الامة انتشارا واضحا في مناطق كثيرة من الوطن العربي .

وكذلك أثارت قضية الأصالة من بعض جوانبها فكرة الطابع المحلي والطابع القومي فيما يتصل بالشكل والمضمون معا . ودار حوار حول منهج الدراسة للتراث العربي على ضوء هذه المفاهيم كلها .

وبذلك أصبح من الضروري - بالنسبة للإذاعات العربية والبرنامج العام وصوت العرب بخاصة ، مواجهة هذه القضايا ومناقشة هذه المسائل في ضوء البحث العلمي ، ودراسة أنواع التفاعل في البرامج الثقافية في الإذاعتين بين ما هو محلي وما هو قومي تمهيدا لاتخاذ أسلوب عمل في الإذاعتين لاحداث التوازن الثقافي المنشود ، ولتحقيق التواصل الحى المثمر بين المثقفين في شتى أقطار العالم العربي ، ولتمكين الجماهير في كل قطري عربي من أن تظل قادرة على فهم الإنتاج الثقافي لأبناء سائر الأقطار العربية الأخرى والاستفادة منه .

ثالثا : البحوث والدراسات السابقة :

وإذا كانت البحوث التى تتناول البرامج الثقافية فى الإذاعتين قد تأخرت طويلا فإن الدراسات والبحوث والتجارب قد توالى منذ ظهور الراديو ، وقد أفادت الباحثة من الدراسات التى أشير إليها فى مواضع مختلفة ترتبط بسياق البحث .

ذلك أن من الموضوعات التى أثارت اهتمام المتخصصين فى بحوث وسائل الاتصال : الوظائف المختلفة التى تؤديها الإذاعة بالنسبة إلى وسائل الاتصال الجماهيرى الأخرى ، هذا بالإضافة إلى زيادة الاهتمام فى الآونة الأخيرة بدراسة مشكلات التحول الاجتماعى والصراع الثقافى ، وتأثير الإذاعة على حركة انتقال المعلومات فى البلد الواحد وبين مختلف البلاد والأقطار .

وقد نهجت هذه البحوث منهجا علميا قائما على القياس الكمى والتجريب العلمى ولكن هناك أيضا بعض الباحثين الذين اهتموا بالفكر النظرى القائم على الدراسة التاريخية والتأملات الحضارية ، من أجل فهم طبيعة فن الإذاعة وأثرها فى الثقافة ومن أبرز هؤلاء المفكرين فى مصر : الدكتور عبد الحميد يونس الذى عنى بدراسة فن الإذاعة منذ إنشاء الإذاعة الحكومية فى مصر ، ونشر دراساته فى الصحف والمجلات معتبرا الإذاعة أرقى فى دورها من جميع وسائل النقل والاتصال الأخرى التى تقتصر على الأشياء المادية . وقد ضمن نتائج هذه الدراسات فى الجزء الذى نشره فى كتاب « فن الإذاعة » الذى أصدره مركز التربية الأساسية بسرس الليان ١٩٥٨ ، منطلقا فيه من تفسير ولز للتاريخ الإنسانى ومحددا ماهية الثقافة والتراث الثقافى ، من خلال دراسة تأثير الإذاعة فى الجماهير . كما عنى بدراسة الأدب الإذاعى والإذاعة والفنون الجميلة أما دراسته الشهيرة « اللغة الفنية » والتى نشرت حديثا فى « عالم الفكر » فقد ضمنها تأملاته فى الإذاعة وما استحدثته من آثار حاسمة فى عالم الفنون ، ومناهج البلاغة والتقويم ، وانتهى الى أن الإذاعة من أصلح الأوعية لنشر الثقافة على نطاق واسع ويذهب الى أن الإذاعة كوعاء ثقافى قد بعثت مرة أخرى الفلسفة البلاغية القديمة ، وبخاصة فى أن الفن إنما يستهدف المخاطبين أو المتلقين بالدرجة الأولى ، ويتوقع الدكتور يونس بلاغة جديدة ، تكافئ التقدم المذهل فى العلم والتكنولوجيا ، وهو التقدم الذى « سوف يجعل الكرة الأرضية فى قرية صغيرة ، فى العالم الرحب ، لا يمكن أن يضيق الفكر الإنسانى الخلاق » .

أما الدكتور محمد مندور ، فقد شغل بدراسة الوظيفة الثقافية ضمن دراسته عن « الثقافة وأجهزتها » ، والتى صدرت سنة ١٩٦٢ عن مركز تنمية المجتمع المجتمع بسرس الليان أيضا ، وفيها يذهب الدكتور مندور إلى أن « الإذاعة لا تزال أقدر على التأثير فى الجماهير بالكلمة المسموعة من التليفزيون بنفس الكلمة وذلك لأنه كان يخشى دائما أن تشغل الصورة السامع المتلقى عن الكلمة المسموعة ، كما أنه خشى أن تكون الصورة من

عوامل الإيحاء لمشاهدي التلفزيون بأن جهازه إنما يهدف إلى التسلية والترفيه أكثر مما يهدف إلى التثقيف والتوجيه ، وقد صنف الإذاعة في إطار ما يسميه « الأجهزة الآلية » ولكنه رأى فيها - الإذاعة - أكثر أجهزة الثقافة انتشارا وقوة واقبالا من الناس ، وقام بدراسة المواد الثقافية التي تقدمها الإذاعة وحصرها في : مواد ثقافية ، وأخرى أدبية ، وثالثة فنية .

أما الدراسات والبحوث التجريبية ، فتذكر المؤلفة هنا أن بول لازرسفيلد يعتبر أحد مؤسسي علم الاتصال الجماهيري الحديث . وقد بدأ تجاربه في قياس استجابات المستمعين للإذاعة . وقد أنشأ لازرسفيلد مركزاً للبحوث الاجتماعية التطبيقية في جامعة كولبيا الأمريكية ، نجح في إجراء عدد كبير من التجارب العلمية .

وقد عنى الدكتور ابراهيم أبولغد بدراسة « دور وسائل الاتصال الجمعي في حياة القرية المصرية » ونشرها في عام ١٩٦٣ ، وفيها قام بدراسة التعرض لوسائل الاتصال الجمعي والصحافة والإذاعة في القرى المصرية التي اختارها للدراسة ، وانتهى منها إلى أن الإذاعة تقوم بدور فعال في نقل الأخبار إلى القرويين حتى المتعلمين منهم ولذلك فإنه على الأقل ولعدد من السنين ، وبالرغم من ازدياد انتشار التعليم يتعين الاعتماد على الإذاعة في نقل مادة معينة أو خبر معين .

أما الدكتور لويس كامل مليكة ، فقد قام في مركز التدريب على تنمية المجتمع بسُرس الليان عام ١٩٦٣ ببحث بعنوان : الجماعات والقيادات في قرية عربية ، عنى فيه بدراسة بناء الاتصال في قرية عربية ، وفي هذا البحث ذكر ٧٧ ٪ من أفراد العينة أنهم يستمعون إلى الإذاعة ، بينما ذكر ٢١ ٪ أنهم لا يستمعون إليها ، ورفض ٢ ٪ الإجابة عن السؤال .

وفي العقد الأخير ، عنيت البحوث والدراسات في مصر بالكشف عن آثار البرامج الإذاعية على مشروعات التنمية بصفة عامة ، تذكر الباحثة هنا الدراسة الاستطلاعية التي أجريت في مصريناير ١٩٧٠ حول تقييم البرامج التي تقدمها الإذاعة الصوتية إلى العمال الصناعيين . وفي ١ نوفمبر ١٩٧٠ صدر بحث آخر يشتمل على نتائج دراسة موسعة لما حققه برنامج مكافحة الأمية بالراديو . وفي ١٩٧٣ صدر بحث آخر حول تقييم برنامج تلفزيوني بالاشتراك مع اليونسكو لتبسيط العلوم ونشرها بين جماهير الشعب ، ومن هذه الدراسات أيضا ما تقوم به إدارة البحوث بعنوان « استطلاع معلومات الجمهور المصري عن أساسيات العلم والتكنولوجيا » كما قامت وحدة البحوث في الإذاعة بإجراء دراسة علمية لتحليل محتويات البرامج الثقافية في التلفزيون ما بين ١٩٦٥ وعام ١٩٧٠

ولا تعلم الباحثة عن بحث كهذا بالنسبة للإذاعة المسموعة في مصر من حيث دراسة المضمون الفني والمحتوى الثقافي وتشعب الموضوعات ... الخ .
ومما تقدم جميعا يتضح أن مشكلة الثقافة التي تثيرها وسائل الاتصال الجماهيرية والراديو بخاصة ، يمكن أن تتحدد في السؤال التالي :

هل نستطيع أن نؤسس ثقافة قوية خصبية على الصور والأدوات السمعية ؟
هذا سؤال ألقاه عدة مرات جورج ديهاميل على مثقفي العالم كله ، وفي « الفصل الأول » من هذا البحث تقدم الباحثة الدراسات التي أجريت في محاولة للإجابة على هذا السؤال ، كما تحاول الفصول الأخرى الإجابة على التساؤلات المطروحة في هذا المدخل .

رابعاً : الافتراضات :

والافتراضات التي يطرحها هذا البحث هي بمثابة إجابات احتمالية للتساؤلات التي أثارت من خلال الدراسات السابقة التي تناولت الإذاعة المسموعة ومشكلة الثقافة :
١ — أن البرامج الثقافية في البرنامج العام وصوت العرب تحقق التكامل بين المحلية والقومية .

٢ — نسبة البرامج الثقافية في البرنامج العام وصوت العرب أقل بالمقارنة إلى البرامج الترفيهية والبرامج الإعلامية والسياسية .

٣ — أن البرامج الثقافية في الإذاعة تتكامل مع وسائل الثقافة والفنون وتروج لها مثل : الصحافة — الكتاب — المسرح — السينما — الموسيقى — الفنون التشكيلية ، من خلال برامج تخصص لهذا الغرض .

٤ — أن اللغة في البرامج الثقافية في صوت العرب هي العربية الفصحى المشتركة في حين تترسل في البرنامج العام بالعامية أحياناً .

٥ — أن البرامج الثقافية تقابل مختلف الأذواق والميول والتخصصات .

(أ) بسبب تنوع برامجها وموضوعاتها وجمعها بين ألوان مختلفة من المعارف الإنسانية .

(ب) بسبب استخدام الأشكال الإذاعية المختلفة في تقديم الثقافة للمستمع في شكل جذاب .

(ج) بسبب سعيها للتقريب بين أصحاب الثقافتين : العامية والأدبية من خلال تقديم برامج أدبية في الشعر والقصة مثلاً وبرامج في تبسيط العلوم الطبيعية والإنسانية . وللأدب الصدارة في هذا المجال .

خامسا : منهج البحث :

يستخدم هذا البحث أسلوب تحليل المضمون ، على إعتبار أن المضمون يحتل موقعا رئيسيا في عملية التثقيف ، ويعنى مضمون الثقافة مجموعة من المعاني التي يعبر عنها بالرموز - اللفظية والموسيقية أو المؤثرات الصوتية في الإذاعة المسموعة ، والتي من شأنها أن تنشئ الاتصال ذاته من خلال الراديو . ويقصد بأسلوب تحليل المضمون الأسلوب الذي يتغيا الوصف الموضوعي النظم والكمي للمضمون الظاهر لموضوعات الاتصال .

فتحليل المضمون إذن أسلوب علمي يستخدم لوصف مختلف أوجه مضمون الاتصال بأسلوب مختصر بل وللتنبؤ بعدد من الوقائع أو الأحداث من خلال البرامج الثقافية في الإذاعة المسموعة ، كما يحاول هذا الأسلوب أن يجيب على التساؤلات التي طرحتها افتراضات هذا البحث .

وقد عيّنت المؤلفة بتحديد فئات التحليل للبرامج الثقافية ، بهدف تحليل مضمون البرامج الثقافية التي قدمتها إذاعتنا البرنامج العام وصوت العرب خلال الدورة الإذاعية : أبريل يونية ١٩٧٨ ، وتحديد نسبة ما يقدم من كل فئة من فئات البرامج الثقافية إلى المجموع الكلي لارسال هذه البرامج ، ومناقشة الافتراضات التي طرحت فيما تقدم .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن فئة موضوع الاتصال تضم :

- ١ - الثقافة العامة .
- ٢ - الثقافة الأدبية .
- ٣ - الثقافة الفنية .
- ٤ - الأحاديث والمعارف العامة .

أما فئة المرجع أو المصدر فهي تشير إلى المصدر الثقافي الذي استقى منه البرنامج مادته ، وقد تضمنت استمارة التحليل إلى جانب هاتين الفئتين فئة خاصة بشكل البرنامج وأخرى بلغة البرنامج .

الفصل الأول

ماهية البرامج الثقافية

نحاول في هذا الفصل أن نتعرف على ماهية البرامج الثقافية في الإذاعة المسموعة ، وتأسيسا على أن الثقافة كمضمون لا تنفصل في يسر عن الوعي^(١) الإذاعي فإن هذا الفصل يحاول أن يتعرف أولا : على الثقافة كمضمون ، وثانيا : على « الوعي الإذاعي » الذي ينقل هذه الثقافة من خلال « البرامج الثقافية » .
ونبدأ أولا بتحديد ماهية الثقافة ، ثم نتحدث بعد ذلك عن التكامل بين الشكل الإذاعي والمضمون الثقافي في البرامج الثقافية

أولا : الثقافة كمضمون :

حدث خلاف كبير بين العلماء حول مفهوم لفظ « ثقافة » ، ولذلك فإن تعريف الثقافة بإزاء البرامج الثقافية الإذاعية ، يقتضى بالضرورة استبعاد عدد كبير من المعانى التى ترتبط عادة بلفظ « الثقافة » . ولا تود الباحثة أن تدخل في تفاصيل المعانى المتعددة لهذا اللفظ ، الذى يبدو أنه يزداد تعقيدا وغموضا كلما ازداد تداوله بين الناس ، ولكن تكفى الإشارة بوجه عام الى أن لفظ « الثقافة » ظل طوال السنوات الأخيرة يزداد اتساعا بالتدريج^(٢)

فالثقافة بالمعنى الذى يستخدمه به علماء الاجتماع المعاصرون ، تكاد تشير الى كل ما تدخلت فاعلية الإنسان فى صنعه ، أى كل ما هو مضاف لنتاج الطبيعة التلقائى : أى أن العلم والأخلاق والتكنولوجيا والفن والدين ثقافة ، وأبسط محاولة من الإنسان لتجاوز مستوى الحياة الطبيعية المباشرة ، ولتعديل ردود أفعاله وتكييفها وفقا للظروف المحيطة به ، تنتمى الى مجال الثقافة ، وبطبيعة الحال فإن هذا المعنى العظيم الاتساع يختلف الى أبعد حد عن المعنى الذى ظل الناس يستخدمون به لفظ الثقافة ردحا طويلا من الزمان : ويعنى به تلك الدرجة الرفيعة من الكمال العقلى الذى تضيفه المعرفة ورهافة الحس على الإنسان فإذا سأل سائل عن المعنى المقصود حين نستخدم الثقافة فى هذا البحث فإن الإجابة ستكون أقرب الى المعنى القديم الضيق للفظ الثقافة ، أى أن البحث لا يتحدث عن الثقافة من حيث هى نتاج لكل فاعلية إنسانية تسعى الى تجاوز الطبيعة ، بل يتحدث عن الثقافة الرفيعة ، ولكن هذه الثقافة المنشودة مشكلة فى حد ذاتها .

فهل يستطيع تيار الحضارة الآلية الحديث - كما هو الحال بالنسبة للراديو - أن يحل محل التربية التقليدية التى ساعدت على ظهور العبقريات التى أكسبت حياتنا منذ البحث العلمى الى اليوم ذلك النبل وتلك القوة اللذين ننعم بهما الآن ؟

وهذا التساؤل يلخص ما نعنيه « بمشكلة الثقافة » فى سياق الحديث عن الراديو كوسيلة ثقافية ، ونعرض هنا لاتجاهين خالصين حول هذه المشكلة :

الاتجاه الأول :

اتجاه متشائم يذهب الى أن ثقافة الجماهير تذيب الفوارق الثقافية الموجودة ، والتى يعتبرها « جورج ديهاميل »^(٢) من مقومات الفردية الخالقة Individu alisme تلك الفردية التى يعتبرها روح الخير القوامه على جماعاتنا البشرية ، ويذهب أصحاب هذا الاتجاه الى أن هذه « الفردية الخالقة » تمحى ويحل محلها مذهب « الطابعية » Confor- misme التى يقصد بها أن يكون الناس كلهم على طابع واحد فهى على هذا المعنى ضد الفردية ، كما أنها أى الطابعية تقترب باقتصار ثقافة الجماهير على الترفيه والامتناع لأكبر عدد ممكن من الناس^(٤) .

ذلك أن الاستخدام الشائع لاصطلاح « الثقافة الجماهيرية » Culture de masse يشير الى السلع المصنعة فقط من أجل السوق الجماهيرية التى تقدم صوراً منطبعة ، والتى يستجيب لها الجمهور بشكل غير نقدى ، وعلى عكس ثقافة « الصفوة » أو الثقافة الرفيعة التى تقدم مضمونا تراعى فيه التقاليد الجمالية ، وتتسم استجابة الجمهور لها على هذا المضمون بالحاسة النقدية ، نجد الثقافة الجماهيرية موصوفة ومكتوبا عليها أن يكون مستواها الثقافى أدنى من مستوى الثقافة الرفيعة . ويقول المفكر ريتشارد

هوجارت ، إننا لا يجب أن نهتم بالثقافة « الجيد » و « الرديء » داخل الثقافة الجماهيرية ويذهب الباحث ماكدونالد إلى أن هناك ثلاث ثقافات مختلفة في المجتمع الجماهيرى^(٥) :

١ — الثقافة الرفيعة أو الراقية .

٢ — الثقافة الجماهيرية .

٣ — الفن الشعبى .

الثقافة الرفيعة أو الراقية :

هى الثقافة التى امتدحها دى توكفيل وديهاميل وأضرابهما وهى تشير الى العمل الدعوب الذى تقدمه الموهبة العظيمة والعبقرية وهو العمل الذى يحاول أن يصل الى أقصى درجة أو أعلى درجة من أجل الفن . هذا العمل صنعه الصفوة المثقفة أو تم صنعه تحت إشراف تلك الصفوة الثقافية وأفراد تلك الصفوة هم القمة بين الرجال فى مجالات التعليم والجماليات والتربية .

أما الثقافة الجماهيرية :

فهى تشير الى السلع الثقافية التى تنتج فقط من أجل السوق الجماهيرى وهى سلع متماثلة لأنها تميل الى إرضاء أذواق جمهور غير متنوع . ووفقا لتوكفيل فإن هذه « الثقافة الجماهيرية تجذب ، ولكنها ليست أصيلة تماما لأنها تهدف الى الاستهلاك الجماهيرى وليس الى تحقيق الكمال ومن الأمور التى تميز الثقافة الجماهيرية أنها تجعل الجمهور يهتم بالرموز التى تتناول الأشياء العامة والاهتمامات البعيدة وأنها تعتمد على تلك الأشياء والاهتمامات (مثل القومية المتطرفة ، والحب الشديد للوطن ، أو الوعى الطبقي الماركسى ، أو العنصرية) .

أما الفن الشعبى :

فهو الموهبة الطبيعية عند الشخص العادى الذى ينتمى الى الطبقات الشعبية ، ويتم التعبير عنه بالأغاني الشعبية والرقص الشعبى والرسوم البدائية وما شابه ذلك . والثقافة الجماهيرية تستمد مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية ولقد كانت ثقافة الصفوة قبل انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية فى القرن التاسع عشر منفصلة تماما عن الثقافة الشعبية ، ولكن الثقافة الجماهيرية التى استمدت مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية أصبحت تختلف تماما عن هاتين الثقافتين . وحطمت الثقافة الجماهيرية الجدار الذى كان يفصل بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية وأدمجت الثقافة الجماهيرية قطاعات الشعب المختلفة ، وقدمت لهم ، كما يقول البعض « ثقافة رفيعة هابطة » .

ولكن لماذا تعتبر الثقافة الجماهيرية مشكلة ؟

يذهب أصحاب هذا الاتجاه الى أن هذه الثقافة تنطوى على خطرين جسيمين^(٦) :

أولهما : الخطر الكامن في محو الثقافة الشعبية .

ثانيهما : الخطر الكامن في تهديد الثقافة الرفيعة ، بل وتهديد وجودها ذاته تأسيسا

على القول المأثور إن « الثقافة الرديئة تمحو الثقافة الجيدة » .

ويقول الباحث دوايت ماكدونالد إن مستوى الثقافة الجماهيرية قد ارتفع بشكل كبير

مع تطور وسائل الإعلام وازدياد قدرتها . ولكن التحسن الذى ظهر هو نفسه إفساد

للثقافة العليا « فما من شيء أكثر فجاجة من الثقافة الجماهيرية المتطورة » .

الاتجاه الثانى :

وهناك اتجاه متقائل ، يذهب الى أن الطابع الأساسى لثقافة الجماهير ، هو ما يتسم

به هذا الطابع من عالمية ، إذ نجد لأول مرة أعضاء المجتمع جميعا يشتركون في إطار دلالي

موحد Cadre de Reference ونجد كذلك لأول مرة ، رغم عدم انتشار المساواة

الاجتماعية أن جميع الأفراد يكتسبون المواطنة الثقافية ، ويذهب أصحاب هذا الاتجاه ،

تأسيسا على ذلك ، الى أن ثقافة الجماهير أيا كانت تخرج الكتل الجماهيرية من ظلام

الجهل ، ومن حلقة الروتين الذى تعيش فيه من ذى قبل^(٧) .

تعريف الثقافة :

ويتضح من هذين الاتجاهين ، الغموض الذى يكتنف مدلول الثقافة وماهيتها ، وهو

الغموض الذى حدا بشاعر كبير مثل : ت . س . اليوت T. S. Eliot الى أن يخصص

كتابا من مؤلفاته لتعريف الثقافة ، ويبلغ به الحذر حدا يجعله يضع عنوان كتابه :

« ملاحظات نحو تعريف الثقافة » ، Notes Towards A Definition of Culture ، وهو

في هذا الكتاب لا يحاول أن يقدم حولا لمشكلات ثقافية قائمة فعلا ، بل يحاول أن يرسم

صورة للثقافة الراقية كما يتصورها ويلاحظ اليوت بقلق متزايد تاريخ كلمة « الثقافة » ،

ويذهب الى ضرورة التفرقة بينها وبين كلمة « المدنية أو الحضارة » ، Civilization ، وهى

التفرقة التى نبه اليها الأستاذ العقاد عندما تحدث عن وجه استعمال كلمة الثقافة

Culture في اللغة العربية ، يقول : « إن كلمة الثقافة بمعنى الحذق والدراية والتهديب

قديمة في اللغة العربية نجدها في كل معجم من معجمات اللغة السلفية والعصرية ، مع

الشواهد التى تدل عليها من الأحاديث والأمثال والأبيات الشعرية ، ومن معانيها الغالبة

(التسوية والتقويم) ولهذا تسمى الاداة التى تقوم الرماح « بالثقاف » وقد وردت في

كلام ابن خلدون بمعنى قريب من معناها الشائع في العصر الحاضر ، فليست هى من

ابتداع الكتاب المعاصرين ، وإنما احتاج الكتاب المعاصرون الى التمييز بين مدلول

الحضارة وكلمة الثقافة ، بهدف التفرقة بين المظاهر المادية التى تقترب بالحواسر الكبرى وعمران الثروة وبين التربية الخلقية والفكرية التى تتمثل فىما تملكه الأمم من ثمرات التهذيب والتثقف من محصول ثروتها النفسية ، وعند المحدثين من الأخلاقيين والاجتماعيين أن نهضات الأمم تبدأ بالثقافة أو بالعقائد والأمثلة العليا ثم تنتهى إلى العمران المادى الذى يتراءى فى الأشياء المحسوسة وينقص نصيبه رويدا رويدا من المعانى الوجدانية حتى يؤول إلى الزوال فلا تقوى الأمة على الاحتفاظ بالعمران ولا بالأمثلة العليا ، ولا ترجى لها نهضة أخرى بغير عقيدة متجددة ، تبعثها إلى الحركة والطموح^(٨) .

وقد سأل سائل عن كلمة (تثقيف) ومعناها الحرفى تجريد العيدان من الزوائد والفضول - وعن وجهة استعارتها ، خاصة وأن الثقافة تحصيل وليست تجريدا وإبعادا ، فكان رده : « أما أن الثقافة تحصيل وليست بتجريد ، فالعبرة بالنتيجة فى كلتا الحالتين ، وقد يكون تجريد هذه الشجرة من الزوائد والنفايات وسيلة لتحصيل التغذية الخالصة بدلا من سريان هذه التغذية إلى أجزاء الشجرة التى لا تفيد ، وربما كان تقويم العود كذلك شرطا من شروط التسديد والنفاد ، ولم يكن مجرد إزالة وتعديل ، ولا بد فى كل استعارة من النظر إلى الغاية والنتيجة التى يتحقق بها الغرض من العمل كله ، وإلا لم تبق كلمة واحدة من كلمات الاستعارة فى لغتنا أو غيرها ، وأولها كلمة الكتور باللغات الأجنبية : فأين معناها الأصل وهو الزراعة .. من معانيها التى تنطوى فيها اليوم ؟ » . ومن ذلك يبين أن لفظة Culture فى اللغة الفرنسية تعنى حرفيا « الزرع » واللفظ المقابل هو « الثقافة » فهم يرون فى التعليم غرسا للمعرفة فى النفوس ، ونحن نقصد من لفظنا إلى تثقيف العقول على نحو ما نتقف السلاح أى نقومه ونشجذه ، ولذلك قال ديهاميل ما ترجمه الدكتور مندور حرفيا بـ « الغرس » يتطلب الجهد ، الجهد بآتم معانيه أى المحراث الذى يشق والفأس التى تحطم والزحافة التى تسوى ، وهو ما يشير إلى المعنى الاشتقاقى الفرنسى ، والذى يقابل فى الترجمة العربية وفقا لاشتقاق كلمة الثقافة فى لغتنا العربية : « الثقافة » تتطلب الجهد : الجهد بآتم معانيه « أى النار التى تصهر والمطرقة التى تثقف والمبرد الذى يشحذ » .

وهكذا يشير المعنى الاشتقاقى لكلمة الثقافة إلى الامتحان والتجربة والعمل . ويربط هذا المعنى بين الثقافة والعمل الإنسانى والخبرة الحية . وهذا هو ما يميز الثقافة عن التعليم .

فالتعليم هو تلقى معلومات منظمة ، بطريقة مخططة لصياغة الفكر وتوجيه الوجدان وتحديد المسلك الأخلاقى على نحو معين ، أما الثقافة فهى ثمرة المعيشة الحية التلقائية فى أغلب الأحيان وهى ثمرة التمرس بالحياة ، والتفاعل مع تجاربها وخبراتها المختلفة ، وقد

يكون التعليم أحد مصادرها . والتعليم كما يقول طه حسين - كلمة ضافية كما كان يقول أرسططاليس ، تقبل السعة الى غير حد ، وتقبل الضيق الى غير حد أيضا ، فالذى يتاح له التعليم الأولى ثم يضطر الى الوقوف عنده ولا يتيح له ظروفه أن يتجاوزه الى غيره من درجات التعلم لا يستطيع أن يحب المعرفة إلا بمقدار ، ولا يستطيع أن يتقبلها إلا بمقدار . والناس تختلف حظوظهم من التعلم . فمنهم من يتعلم الكتابة والقراءة وأوليات من المعرفة ، ومنهم من يتجاوز هذا الخط فيتعمق المعرفة شيئا ما ويضيف الى التعليم الأولى ما يسمى بالتعليم الثانوى كله أو بعضه ، ثم يقف عند ما أتيح له من ذلك ، ومنهم من يتجاوز هذا المقدار من الدرس ، فيبلغ التعليم الجامعى ، ويظفر منه بحظيؤه لدرجة الليسانس أو البكالوريوس ، ثم يضطر الى الوقوف عند ذلك ، ومنهم من يتاح له التعمق في التعليم ، فيتجاوز هذه الدرجة الجامعية أو ما يعادلها الى درجات أرقى منها ثم تشغله ظروف الحياة عن المضى في الدرس وتعمق العلم وهكذا^(٩)

فالتعلم إذن والتعليم - كما يقول طه حسين - كلمتان لهما حظهما من المرونة تتسعان أحيانا وتضيقان أحيانا أخرى فليس لسعتهما أو ضيقهما حد . والثقافة كذلك كلمة ضافية مرنة تتسع وتضيق ، وبمقدار ما تختلف حظوظ الناس من المعرفة تختلف حظوظهم من الثقافة فمنهم ذو الثقافة العميقة الواسعة ، ومنهم ذو الثقافة الضيقة الضحلة ، والرجل الذى يتعمق لونا من العلم حتى يحسنه ويأخذ منه بأعظم حظ ممكن ويمرن على أن يحب هذا العلم ويسعى الى التقدم فيه ما وجد الى ذلك سبيلا ، ثم يقصر نفسه على هذا العلم الذى أتقنه ولا يتجاوزه الى غيره من ألوان المعرفة رجل حسن الحظ من العلم ، ولكنه محدود الثقافة فهو عالم بالطب أو عالم بالهندسة أو متقن للرياضة ، أو ما شئت من فروع العلم ، ولكن ثقافته تقف عند هذا الحد فلا يستطيع أن يشارك في الأدب ذوقا أو إنتاجا أو في كليهما ، ولا يستطيع أن يتذوق شيئا من ألوان المعرفة غير الفرع الذى تخصص فيه . هذا الرجل عالم متقن لمادته ، ولكن ثقافته ضيقة لأنه لا يستطيع أن يتجاوز هذه المادة التى أتقنها فالثقافة إذن أوسع من التعلم ، وليس كل متعلم مثقفا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .

على أن كلمة الثقافة ، كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود ، هى من تلك الكلمات التى يكون المعنى الواحد « منها كالقصر المسحور ، فيه غرف لا حصر لعددتها لا تمتاز منها غرفة على غرفة وكل ما عليك أن تفعله هو أن تتخير الغرفة التى تناسب الساعة المعينة »^(١٠) . ومن أجل ذلك يذهب الدكتور زكى نجيب محمود ، الى أن المثقف - فى السياق الذى يتناوله - هو الشخص الذى يروج للقيم العليا - أخلاقية أو جمالية - وفى هذا يكون الفرق بين من تخصص فى فرع من العلوم ووقف عند تخصصه ، وبين المثقف ، لأن مجرد التحصيل العلمى - كما تقدم - لا يدل بذاته على أى الأشياء وأى المواقف يكون

أفضل لحياة الإنسان ، أما المثقف فهو الذى لا ينشر الفكر لمجرد أنه فكر وكفى بل ينشره لأنه فى نظره الفكر الذى ينتج حياة أفضل أو أجمل ، إن « العالم الأكاديمى الذى يحيط علما بالنظريات السياسية أو الاقتصادية مثلا - ثم لا يدرى أيها أنسب لجماعة معينة من الناس ، تعيش فى ظروف معينة ، إنما يكون عالما ، ولا يضمن له علمه ذاك أن يكون مثقفاً ، لأنه لم يعرف به ترتيب الأوضاع الى ما هو أعلى وما هو أدنى . »

ومن ذلك يتضح أن تعريف الثقافة يتسم بقدر من التعقيد ، لأننا نستخدم الثقافة بدلالات مختلفة ، على أنه فى أغسطس ١٩٤٥ نشر نص مشروع قانون أساسى لمنظمة « سميت » منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) وقد حددت الفقرة الأولى غرض هذه المنظمة كما يلي : -

١ - أن تنمى وترعى الفهم المتبادل والتقدير المتبادل لحياة شعوب العالم وثقافتها ، وفنونها ، ودراساتها الإنسانية وعلومها ، باعتبار ذلك أساساً للتنظيم الدولى الفعال ، والسلام العالمى .

٢ - أن تتعاون فى إمداد جميع شعوب العالم بحصيلة من المعرفة والثقافة من أجل خدمة الحاجات البشرية المشتركة ، وفى ضمان إسهامها فى الاستقرار الاقتصادى ، والأمن السياسى ، ورغد العيش بوجه عام ، لشعوب العالم .
ونحن نستشهد مع اليوت بهذه الكلمات لتوجيه الاهتمام الى كلمة « الثقافة » ،
والتي ينبه الى أنه قبل العمل على تنفيذ هذه القرارات ينبغى أن نحاول معرفة ما تدل عليه هذه الكلمة الواحدة . وليس هذا الا مثلاً واحداً من أمثلة كثيرة يمكن ايرادها لاستعمال كلمة لا يشغل أحد نفسه ببحثها . إن هذه الكلمة تستخدم عادة بأحد طريقين : إما بنوع من المجاز ، عندما يعنى القائل عنصراً من عناصر الثقافة أو مظهراً من مظاهرها ، « كالفن » مثلاً ، وإما على أنها نوع من مثيرات الانفعال أو مخدراته - كما فى الفقرة السابقة^(١) .

ويذهب « إليوت » الى أن ارتباطات كلمة « الثقافة » تختلف بحسب ما نعنيه من نمو فرد ، أو نموفئة أو طبقة ، أو نمو مجتمع بأسره وجزء من دعواه أن ثقافة الفرد تتوقف على ثقافة فئة أو طبقة ، وأن ثقافة الفئة أو الطبقة تتوقف على ثقافة المجتمع كله ، الذى تنتمى اليه تلك الفئة أو الطبقة .

وبناء على ذلك فإن ثقافة المجتمع هى الأساسية ، ومعنى كلمة « الثقافة » بالنسبة الى المجتمع كله هو المعنى الذى يجب بحثه أولاً . وحين تستعمل كلمة « الثقافة » للدلالة على التصرف فى كائنات حية دنيا - كما هو الحال فى عمل البكتريولوجى أو الزراعى - فإن المعنى يكون واضحاً الى درجة كافية ، لأننا نجد اتفاقاً تاماً فى الراى بالنسبة الى الغايات التى يراد الوصول اليها ، أما حين تستعمل لترقية العقل البشرى والروح البشرية ، فإن

احتمال اتفاقنا على ما هي الثقافة يكون أقل وتاريخ الكلمة نفسها ، باعتبارها دالة على شيء يقصد اليه قصدا واعيا في أمور البشر ، ليس بالتاريخ الطويل ، وكلمة « الثقافة » بمعنى شيء يتوصل اليه بالجهد المقصود ، تكون أقرب الى الفهم حين نتكلم عن تثقف الفرد ، الذى ننظر الى ثقافته المنسوبة الى أساس من ثقافة الفئة والمجتمع . وخير ما يمكن أن يبين الفرق بين الاستعمالات الثلاثة للكلمة أن نسأل الى أى حد يكون وجود هدف واع هو تحصيل الثقافة شيئا له معنى بالنسبة الى الفرد ، والفئة ، والمجتمع باعتباره كلا . ويمكن تجنب كثير من الاضطراب اذا امتنعنا عن أن نضع أمام الفئة مالا يمكن أن يكون الا هدفا للفرد وأمام المجتمع باعتباره كلا مالا يمكن أن يكون الا هدفا لفئة .

وقد ازدهر المعنى العام أو المعنى الأنثروبولوجى لكلمة « الثقافة » كما استخدمه أ . ب تايلور مثلا في عنوان كتابه « الثقافة البدائية » بمعزل عن المعنيين الآخرين ، ولكننا « اذا كنا ننظر في مجتمعات بلغت درجة عالية من النمو ، ولا سيما مجتمعاتنا المعاصر ، فيجب أن ننظر في العلاقة بين المعانى الثلاثة وعند هذه النقطة تدخل الأنثروبولوجيا في علم الاجتماع . وقد جرت عادة رجال الادب - والأخلاق على أن يتحدثوا عن الثقافة ، بالمعنيين الأولين ، ولا سيما المعنى الأول ، دون أن يصلوا بينهما وبين المعنى الثالث . وأول مثل يحفزنا لهذا الاختيار هو ما فعله ماثيو أرنولد في كتابه « الثقافة والفوضى » ويذهب إليوت كذلك الى أن الجماعات المعنية بكل من المناشط الثقافية في مجتمع ما ، مهما تكن درجة ثقافتها ، لا يمكن أن يتحقق التماسك الضرورى للثقافة فيها الا بالتداخل والمجارة في الاهتمامات ، وبالمشاركة والتقدير المتبادل .

وفي المحيط العربى ، نجد الثقافة تدل على الحذق والفهم حيناً ، فمن حذق شيئا وفهمه حق فهمه وبرع فيه كان ثقفا . كما كانت تطلق على الفطنة والذكاء ، كما كانت تطلق على العلم بشئون الحياة . ومن هذا الحديث لام حكيم بنت عبد المطلب حيث تقول : « إني حصان فيما أكلم وثقاف فيما أعلم » تريد أنها كانت ذات خبرة بالأمور فهى ليست في حاجة الى من يبصرها .

وإذا نحن نظرنا الى تلك الدلالات التى عرفت الثقافة حذقا وخبرة وفطنة وعلمنا وجدناها تتفاوت شيئا ، ووجدناها على تفاوت ما بينها تكاد تشير الى ما هو فوق المستوى العام ، تكاد تجمع الحسى الى المعنوى ، وان كانت دلالتها على المعنوى أوسع وألصق ، وهذا يدلنا على أن الثقافة ولدت ذات مدلول عام غير متميز ولا محدود ، مع التقبل القطرى فما من شك في أن التقبل القطرى - كما يذهب الى ذلك الأستاذ الإيبارى - كان يعد كل ما جاوز المستوى ثقافة ، وهو بهذا منته الى ما انتهى اليه التقبل الاستقرائى^(١٢) .
فهناك إذن مدلولان للثقافة أولهما عام ، والآخر خاص .

(أ) المدلول العام للثقافة :

مستخلص من الدراسات الأنثروبولوجية ويتلخص في هذا التعريف « الثقافة » هي كل معرفة ، وكل خبرة ، وكل مهارة يمكن أن يحصلها الفرد من إطاره الاجتماعي بوسائل التحصيل المختلفة ، كالتجربة والخطأ ، والمحاكاة ، والتلقين المباشر والانخراط في المؤسسات النظامية المصطلح على تسميتها بالمؤسسات التعليمية وهي مؤسسات تعترف البيئة الاجتماعية بحدودها وبرامجها ومراحلها وتشترط شيئا من الإشهار العلني الذي يؤكد أن الفرد قد حصل على معرفة عن درجة معينة ومن نوعية معينة .

(ب) المدلول الخاص للثقافة :

سنجد أولا عندما نتحدث عن المؤسسات الدولية ، أن هناك منظمة اليونسكو وهي « منظمة التربية والعلوم والثقافة » ، وفي هذه التسمية نجد اصطلاحا خاص ، لأن « العلم » معرفة وخبرة ، وكذلك « التربية » أيضا نوع من الخبرة ونوع من تنظيم السلوك الفردي والاجتماعي ، فالتربية خبرة كما أنها تصدر عن معرفة .
أما « الثقافة » فقد اتخذت دائرة أضيق وهي « دائرة المعارف والخبرات والمهارات التي يحصلها الأفراد أو تحصلها الجماعات عن غير طريق التربية بمنظوماتها ومناهجها المعروفة وعن غير طريق المناهج العلمية بالمفهوم العلمي الطبيعي القائم على التجربة والملاحظة » .

وحيث نتحدث عن البرامج الثقافية في الراديو فإننا نقصد المدلول الخاص للثقافة حيث تنتقل الثقافة عن غير طريق « التربية » إلى الأفراد عبر وسيلة اتصال جماهيرية هي « الإذاعة المسموعة » وهنا نرقى درجة أخرى في البحث لنقف عند الإذاعة وانتشار الثقافة .

ثانيا : الإذاعة وانتشار الثقافة :

لئن تعددت الثقافات وتباينت باختلاف المجتمعات وتباينها إلا أنها ليست منقطعة الصلة لأن العالم وحدة واحدة ولأنه قد حدث احتكاك قديم وحديث بين الشعوب بسبب الهجرة والحروب والغزوات والاحتلال وبسبب التبادل التجاري الذي يحتمه اختلاف حاجات الإنسان واختلاف البيئات في المناخ والتضاريس والتربة وبالتالي اختلاف الإنتاج .. وفي العصور الحديثة زاد الاتصال بين أجزاء العالم المختلفة بسبب سهولة المواصلات وتقدم الاختراعات خاصة الإذاعة وتداخل المشكلات السياسية والاقتصادية^(١٢) .

وهناك آراء مختلفة في انتشار الثقافة Culture diffusion فثمة رأى يعتقد أن لكل من الأنماط الثقافية أصلا واحدا فقد وجدت في مجال ثقافي واحد Culture area ثم

انتشرت بعد ذلك الى بقية اجزاء العالم وتعبّر عن هذا الرأى نظرية الانتشار الثقافى المطلق Pure Culture diffusion وهناك رأى آخر يقول إن تشابه الظروف فى بعض المجالات الثقافية مع تشابه الطبيعة الإنسانية كان سببا فى ظهور أنماط ثقافية متشابهة فى أكثر من مجال ثقافى واحد ومن هذه المجالات انتشرت هذه الأنماط الثقافية وتعبّر عن هذا الرأى نظرية الأصول الثقافية المستقلة^(١٤) Cultural Independent Origins.

وكذلك نذكر أن انتشار الثقافة إما يكون بطريق موجه كما يحدث فى أحوال الغزو والاحتلال أو البعثات التبشيرية أو العلمية أو عن طريق غير موجه كما يحدث عند انتقال الأفراد للزيارة المؤقتة أو الهجرة واقتباس النمط الذى يبدو ملائماً للاستفادة منه ، وفى الإنسانية أمثلة كثيرة لانتشار الثقافات مثل الأفكار الدينية والأنظمة السياسية من ديمقراطية أو ديكتاتورية ومن نظم اقتصادية من رأسمالية واشتراكية ، وكذلك انتقال الفنون وتأثرها بعضها ببعض ومن الأمثلة الطريفة صليب أيرلندا الذى نقش عليه باللغة العربية لفظ « الله » وكذلك عملة الملك Offa التى نُقِشت عليها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله^(١٥) .

أما فى العصر الحديث فإن انتشار الثقافة مائل للبيان ، فالمخترعات الحديثة قد عمت كل مكان بسبب سهولة المواصلات وترابط مشكلات العالم .

وقبل أن ننظر فى انتشار الثقافة من خلال برامج الإذاعة ، لابد أن نسجل أن الثقافة كمضمون لا يمكن أن تنفصل فى يسر عن الوعاء الذى يحملها والوعاء هنا وسيلة الاتصال الإذاعى بال جماهير ، وهى وسيلة تحدد معالم برامجها الثقافية ، من حيث طبيعة الثقافة من ناحية ، وديموقراطيتها من ناحية أخرى ، وطبيعة الفن الإذاعى وخصائصه من ناحية ثالثة ، بحيث تيسر للجمهور الحصول على الثقافة دون عناء .

فالبرامج الثقافية فى الإذاعة ، تتحمل مسئولية تطور الإنتاج الثقافى من ناحية ، وتيسيره للناس من ناحية أخرى ، فتتحقق بذلك الركيزتان اللتان تقف عليهما الثقافة : التقدم المستمر فى غير تراخ ، وتحقيق الديموقراطية العقلية والوجدانية فى المجتمع . ويستلزم هذا من الإذاعة أن تبحث دائماً عن صيغ جديدة مبسطة تقدم فيها هذه البرامج الثقافية . ويصبح من واجب الفنانين والمثقفين أن يشاركوا الإذاعة فى الوصول الى صيغ ملائمة يقدمون بها ثمرات الفكر وزهرات الفن على أوسع نطاق وفى أرحب دائرة ، دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى فى الإنتاج الثقافى ، الا دفعا لها الى مزيد من التفوق والإجادة .

وتنص كل قوانين الإذاعات التى تنفق عليها الدولة كالإذاعة المصرية او تلك التى تحميها قوانين الدولة للانفراد بالإذاعة فى أراضيها نتيجة الحصول على نسبة معقولة من

حصيلة رخص حيازة الأجهزة المستقبلية ، تنص على أن « هيئة الإذاعة » تستهدف ثلاثة أغراض هي الإعلام والتثقيف والترفيه .. أى أن واجبها أن تقدم لجمهور المستمعين في دائرتها الأخبار والمواد التى ترفع من مستواهم الثقافى والمواد التى ترفه عنهم (١٦) . ولما كانت الإذاعة تقدم خدماتها لجميع المواطنين على اختلاف أذواقهم وميولهم وأعمالهم ، أصبح من الضرورى أن تتنوع برامج الإذاعة وفقا لأهدافها الى :

— برامج الإعلام .

— برامج الترويج .

— برامج التثقيف .

وقبل أن نتحدث عن هذه البرامج ، نرى من الأوفق أن نشير الى أهمية الإذاعة وتغوق أثرها فى مجتمعنا المصرى العربى ، وهى العوامل التى يمكن ذكرها على النحو التالى : — ١ — أن ارتفاع نسبة الأمية فى المجتمع ضاعفت من أهمية الإذاعة كوسيلة للتثقيف وجعلها تتميز على غيرها من أجهزة الثقافة الأخرى ذلك لأن الاستماع الى الكلمة المنطوقة من الراديو لا يحتاج الى معرفة بأصول القراءة والكتابة ، كما هو الحال بالنسبة للصحيفة أو المجلة أو الكتاب .

٢ — أن الاستماع الى الإذاعة يمثل موقفا من المواقف الاجتماعية اذا ما قورن بقراءة كتاب أو بالاطلاع على صحيفة ، فالمستمع يتفاعل مع صوت المتحدث أو المذيع بفضل ما تثيره طريقة الإلقاء أو تنغيم الصوت من معان واستجابات ومشاعر ، ولذا كانت البرامج الإذاعية بفضل هذه المزية أكثر قدرة على الإيحاء وأدعى الى استقرار الأفكار أو المشاعر التى يحاول المذيع أن ينقلها الى المستمع .

٣ — أن التحصيل الثقافى عن طريق الراديو لا يحتاج الى جهد كبير إذا ما قورن بالقراءة التى تتطلب مجهودا عقليا وعصبيا لا تتطلبه الإذاعة وهذا يزيد من إقبال الجماهير عليها . إن مطالب الحياة المعاصرة تدفع بالإنسان الى تلمس وسيلة للتثقيف لا تتطلب جهدا كبيرا كالإذاعة .

٤ — تعتبر الإذاعة أكثر شمولاً من غيرها من وسائل الثقافة العامة لتنوع برامجها وموضوعاتها وطرق أدائها . مما يقلل من جفاف المعلومات ومن حاجة المستمع الى التركيز العقلى .

٥ — تقابل الإذاعة مختلف الأذواق والميول والحرف ، بسبب تنوع برامجها وجمعها بين ألوان مختلفة من المعارف الإنسانية ، فوق أنها تستخدم لغة مفهومة للجميع . ونظرا لهذه الأهمية البالغة للإذاعة فى مصر فقد أشرفت عليها الدولة إشرافا كاملا ، وأولتها من العناية ما يتكافأ مع رسالتها فى المجتمع .

ويزيد من أهمية الإذاعة وشدة إقبال الإنسان المعاصر عليها أنها تمثل أقل الجهود في تحصيل الثقافة هي والسينما والمسرح ، إذا قيسست هذه الأجهزة بالقراءة التي تتطلب مجهودا عقليا وعصبيا لا يتطلبه الراديو ، فالراديو يستمد قوته من قانون إنساني عام هو قانون أقل الجهود ، وجاذبية هذا القانون للإنسان المجهد في عصرنا الحاضر .

وإذا كنا نخلص من كل ما تقدم الى أن الراديو قد أصبح من أكثر أجهزة الثقافة انتشارا وقوة وإقبالا من الناس ، فقد بقى علينا أن ننظر في مدى قدرة هذا الجهاز على تثقيف الناس وإعدادهم للحياة الحقة ، وللقيام بهذه الدراسة ، يجب أن ننظر للراديو ومثله التليفزيون والسينما على أنها سلسلة من الاكتشافات ومجموعة من العمليات الفيزيائية والعقلية ، العملية والثقافية ، الفردية والجماعية ، بعضها قديم وبعضها الآخر جديد متجمع وغير واضح ^(١٧) .

لقد استعملت ألفاظ هذه الاكتشافات ، والتي أصبحت واقعا في معجمنا السمعى والمرئى ، لتضع وسائل تكتيكية كبيرة في خدمة الاتصال الإنساني والثقافي والفنى ، وتختلف الإذاعة المسموعة والمرئية عن المسرح والفنون التشكيلية ، كالتصوير والنحت ، من حيث إن الإذاعة وما يشبهها من وسائل الاتصال الجماهيرية ، كالسينما والتليفزيون ، هي أساسا وسائل ميكانيكية للنقل والتسجيل للنشر ، فهي تقوم بإذاعة كل ما يوضع أمامها من مواد ، مهما كانت طبيعتها ^(١٨) . ويمكن أن نتبين خطر الإذاعة وما يشبهها حين نقارنها بالسوبرمان ، على حد تعبير « جان تاردو » ، إذ الإنسان هو الذى اكتشف هذا الجهاز الجماهيرى الخطير ، وهو الذى أبدعه ولكن الإذاعة مع ذلك كالسوبرمان تظل أقوى من الإنسان ، حينما نسمع شخصا من الأشخاص في أحد الأحاديث « ان الراديو قال ذلك ، رأيت في التليفزيون ذلك .. إنهما لا يمكن أن يخطئا » .

ويذهب « مارتن اسلن » الى أن الأثر المترتب على صفة الاستمرار التي تتسم بها طريقة عرض المواد من أجل الترفيه هو الخلط بين المميزات الكيفية لهذه الأنواع المختلفة من المواد ولقد أبرز « كلود اولييه » Claude Allier المؤلف المسرحى الفرنسى هذه الخاصية المزعجة لوسائل الإعلام في تمثيلية إذاعية تبين منها في نهاية الأمر أن اغتيال أحد رؤساء الدول ، نتيجة إعداد مسبق قامت به إحدى هيئات الإذاعة نظرا لاحتياجها الى موضوع إخبارى واقعى مثير ، نابع من مصدر الأحداث مباشرة . وأن الأنباء التي تنشر من وقت لآخر عن تأخير تنفيذ أحكام الإعدام ، أو إعدادها لصالح مصدرى التليفزيون في بعض الحروب الأهلية الأفريقية لتدل على أن الكاتب الساخر لم يكن في هذه الحالة مبالغا

إن المسرحية المتزايدة للسياسة والحياة العامة ، وكذلك اختيار المرشحين في الانتخابات على أساس قابلية وجوهرهم للتأثر بمستحضرات التجميل (الماكياج) ، فضلا عن إدارة الحملات الانتخابية على أساس الخصائص الإذاعية للموضوعات بدلا من إدارتها على أساس الأهمية الحقيقية للمشكلات ، كل هذه الأمور ناجمة في نهاية الأمر عن الحاجة الشديدة - الملحة للمادة الترفيهية ، كما أنها تنجم عن إصرار المشاهدين على ضرورة التسرية عنهم بطريقة ملائمة في أى وقت يشعرون فيه بحاجتهم الى التحول بأذهانهم أو عقولهم من الوعى الفردى الى الوعى الجمعى

ومن ناحية أخرى لا ينبغي أن نتغاضى عن الآثار الإيجابية والمفيدة لذلك الكم الهائل من المواد التى تطور الأحداث الواقعية ، ونصف الواقعية ، وشبه الواقعية والتى تتدفق من الإذاعة والتلفزيون . فقد ترتب على تبعية السياسة والشئون العامة لصناعة الترفيه وتفرعها عنها أن أصبحت هذه المسائل أكثر قربا الى ملايين الناس الذين لم يعنوا بالتفكير فيها من قبل ، ومن جهة أخرى ، فلقد كانت قدراتنا قديما تتميز بالانتباه الإيجابى والبطء فى البحث والتفكير المثمر ، ولكن فى الوقت الحاضر يمكن القول إن الوسائل الحديثة تحول التراث الموجود فى الفن والفكر والسياسة الى قوة محركة ولكنها مرهونة بزمن معين . إن هذه الوسائل - كما يقول جان تاردو - تعرض لنا قيمة عليا تعايش السرعة والترفيه والهجوم الخاطف المفاجىء . وذلك كله كبديل للتوازن السكونى القديم

على أن الإذاعة المسموعة والمرئية ، معا ، ليستا وسيلتين لنشر المعرفة بين الجمهور العريض فحسب ولكنهما تشتركان فى تغيير محتوى هذه المعرفة وشكلها معا . ونحن نعرف أن كل ما يذاع أو يرى ، يجب أن يخضع لتحولات ترتبط بفنية الفن الإذاعى المسموع أو المرئى ، وهى تحولات تغير فى شكل المادة الثقافية وغيرها تغييرا عميقا . وينتج عن ذلك كما يقول « اسلن » ، أن المادة المذاعة فى نظر المستمع أو المشاهد - تغدو شيئا من نوع واحد ، رغم أنها فى الحقيقة خليط من مواد متنافرة أشد التنافر بأعمق ما تؤديه هذه الكلمة من معنى ، من حيث الكيف . أو كما يقول « تاردو » فإن هذه المواد المتنافرة تغدو عند المستمع أو المشاهد كحقائق موضوعية ، حتى ولو كانت مجرد قصص خيالية ، أو قد ينظر الى الحقيقة الموضوعية على أنها مجرد خيال محض . وفى ذلك ما يجعل من الإذاعة المسموعة والمرئية شاهدين على القلق الكبير الذى يميز عالمنا الإنسانى اليوم . وإن ذلك الطفل الذى لاحظ عند رؤيته لأول هبوط على سطح القمر أنه قد شاهد من قبل معالجة تليفزيونية لهذا الموضوع بطريقة أكثر إثارة فى حلقة من سلسلة علمية خيالية منذ وقت طويل مضى ، هذا الطفل قد سلط الأضواء على مشكلة حقيقية ذات آثار مفزعة ، على المدى الطويل .

ومهما يكن من شيء ، فإننا نتجه الى الإفادة من الراديو كوسيلة للمعرفة والثقافة ، ويقتضى ذلك الاتجاه ، أن ننظر الى أن تاريخ العلم والتاريخ العام ، قد أثبتا أن كل وسيلة من الوسائل الهامة الجديدة حين تظهر ، فإنها لا تقضى على كل الوسائل والأدوات والأجهزة السابقة عليها ، ولكن هذه الوسيلة الجديدة ، إنما اكتشفت لتضيف أولتندمج مع هذه الوسائل السابقة ، لتصلح من أخطائها ، وتسد ثغراتها ، وتتجه بها نحو الإفادة العامة .

وعلى امتداد تاريخ الثقافة ، نلاحظ هنا نوعا من التوازن والتعاقب بين القيم الملموسة للغة المرئية التي تسيطر عليها الصورة ، وكذلك الحال في الإذاعة المسموعة التي تعتمد على اللغة والصوتيات من ناحية ، ومن الناحية الأخرى القيم المجردة للكلمة المكتوبة المعتمدة على التعبير الهجائي والعلامات الرياضية ، والنوتة الموسيقية إلخ .. وهنا نلاحظ أن الذى يتغير إنما هو تعاقب دعائم وسائل الدعاية لهذه القيم المتكاملة .

ويمكن أن نضيف الى هذه الاستطرادات ، ذلك التطور الدائم لوسائل إذاعة الرسالة المكتوبة أو المذاعة سمعيا أو بصريا . وهنا نجد أن الثقافة قد استمرت تنتشر منذ كانت تعتمد على المخطوطات ، الى أن اخترعت المطبعة والكتاب المنشور واستخدام الصحافة كوسيلة لنشر الثقافة ، ووجدنا أن الراديو لم يقتل الكتاب ، كما أن التصوير الفوتوغرافي لم يقتل الفن التشكيلي . ولم تقض السينما على فن المسرح ، إن جميع الوسائل القديمة والجديدة ، يعتمد بعضها على البعض الآخر ، ولكنها في تقدم مستمر ، شأنها في ذلك شأن الجمهور في نموه المستمر .

كما أن التوسع الهائل في وسائل نشر الثقافة ، يشمل الكتاب والأسطوانة وغيرها كوسائل مستقلة بجانب الراديو ، والفيلم والتصوير الفوتوغرافي بجانب التلفزيون ونخلص من ذلك الى أن الراديو والتلفزيون يضيفان إمكاناتهما الخاصة للدعوة المؤثرة الى هذه الوسائل المستقلة ذاتها . بحيث يمكن القول إن هاتين الوسيلتين الجماهيريتين ترتبطان بحركة التقدم العالمى التى تفتح أبواب الثقافة على مصاريحها أمام الجماهير العريضة والتى اخترعنا من أجلها وسائل لتبسيط الثقافة مثل : كتاب الجيب ، والمسارح الإقليمية والشعبية ، وبيوت الثقافة ، والتوسع الهائل في المجلات المصورة ... إلخ من الوسائل التى تتآزر وتنمو ، لتلاحق الجماهير بمضمونها الثقافى في لغة مسموعة أو مرئية . ويمكن أن نقول مع « تاردو » ، إن هناك الآن تغييرا في النسب والأبعاد بين وسائل الاتصال الثقافى المختلفة ، وليس تنافرا وتمزقا ، كما يمكن أن نقول إن التفوق الآن للثقافة الدينامية على الثقافة الاستاتيكية وهو التفوق الذى يخلق نوعا من الحماس للمسموع والمرئى . وإن المسموع المرئى ليضع في حسابه التراث الثقافى القريب والبعيد ، ولكنه يعرضه في ثوب جديد .

وحين نتحدث عن **الخلق والإبتكار والإبداع** ، فإننا نكون **مبالغين** حين نذهب الى أن المسموع المرئى يقدم الثقافة الشاملة أو **الفن المتكامل حقيقة** أن المسموع والمرئى ينتشران في كل مكان ، ويمتزجان بكل شيء ويقدمان إمكاناتهما **الهائلة** ، التي تقابل التقدم الآلى ، ولكنهما في نهاية الأمر يمثلان شيئا مصنعا . وتأسيسا على هذا الفهم نجد أن الإذاعة المسموعة أو المرئية ، والراديو بخاصة يقوم بدورين مختلفين في أساسهما الأول : هو التوصيل ، والثانى هو الإبداع . وفي **الحالتين** يقوم الراديو بعملية توصيل ، ولكنه في الحالة الأولى لا يفعل شيئا سوى نقل المحتوى الذى تطلب اليه نقله ، أما في الحالة الثانية فإنه يقوم بعملية ابتكارية ، حين يبتكر طرقا وأساليب جديدة للتعبير ، كما يبدع فنونا جديدة . على أن عملية التجديد تبدو أمامنا كما لو كانت عرضا مسرحيا ، ولكنه من غير المجدى أن نتفكر للدور الرئيسى **الذى يقوم به** المسموع والمرئى ، وخاصة فنون الإذاعة المسموعة ، فهذه الوسائل مصادر **للخلق والإبداع** .

فهى بالنسبة للراديو طريقة جديدة أو وسيلة جديدة من وسائل الثقافة ، ولكن السؤال هنا هو : كيف يعرض الراديو هذه الثقافة ، وما هى الخاصية المميزة التي تسيطر عليه وتشيع فيه ؟ .

وحين نجيب على هذا السؤال نجد أن الثقافة التي يقدمها الراديو والكاميرا هى ثقافة « فى شكل قطرات مطر » ، على حد تعبير تاردو والذين تمرسوا فى العمل الإذاعى وتنظيم برامج الراديو أو التليفزيون ليعرفون مدى الفروق بين الوسائل التي يستطيع أى إنسان أن يتخيلها والرسائل التي تصل الى المستمع والمشاهد للتليفزيون حقيقة هناك فرق بين كل قناة أو برنامج إذاعى ، فى الراديو والتليفزيون ، ولكنه - فى الواقع - لا يوجد فرق فى **الحالتين** بين نقطة الإرسال - المنبع الخلاق للبرامج المرسلة ونقطة الاستقبال حيث يتمثل المستهلك ويحتفظ بالمعلومات فى ذاكرته .

إن أى حدث صغير فى المنزل يمكن أن يشئت انتباه المستمع أو يوزعه على الأقل ولكن الراديو مع ذلك يتميز بأنه يتوجه الى **الصغير والكبير** ، وفى ذلك ما يجعل التركيز على أعداد الرسائل التي توجه الى الجماهير رمزا لا ينفصل عن إمكانات هذه الوسيلة الجماهيرية . لكيلا تصل هذه الرسائل الى الجماهير كما لو كانت سفنا تالفة شوهتها العواصف .

ونخلص مما تقدم الى عدة ملاحظات يسيرة ، يمكن إجمالها فيما يلى :

١ - أن الراديو ، من وجهة نظر القائمين بالعمل الإذاعى ، شأنه فى ذلك شأن التليفزيون ، وسيلة جماهيرية مؤثرة ، بمعنى أنه ليس أداة إعلام وترفيه ووسيلة ثقافة وتعليم فحسب ، ولكنه أيضا وسيلة ذات تأثير تتمتع بقوة أدبية معنوية واجتماعية وتفرض هذه النظرة على الدارسين ، اجراء دراسات نفسية على الصعيدين الفردى والجمعى ، لإمكان تحديد سلبيات هذه الوسيلة الجماهيرية

٢ - أن الراديو ، وكذلك التليفزيون ، من وجهة نظر المستهلك ، يبدو نوعا من الإبداع أو الصناعة الكمية ، بينما تغدو الرسائل الإعلامية والثقافية غذاء ثقافيا تقدمه هاتان الوسيلتان الجماهيريتان ، ولكنه غذاء في شكل قطرات المطر ، كما تقدم أو غذاء يشبه غذاء الأسماك .

٣ - أن الراديو يقوم بتزويد الجماهير بزيادة ثقافي عن تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها في المجتمع المتحضر الذي يتميز بظهور « علوم وفنون وتخصصات باللغة التجريد والتعقيد »^(١٩) تجعل الإذاعة حلا لصياغة المعرفة ، الأمر الذي يجعل من البرامج الثقافية وسيطا بين الخبير المتخصص من ناحية والرجل العادي من ناحية أخرى . وفي هذا الصدد يقول الكاتب الأمريكي والترليمان « إن المجتمع الحديث لا يقع في مجال الرؤية المباشرة لأحد ، كما أنه غير مفهوم على الدوام ، وإذا فهمه فريق من الناس فإن فريقا آخر لا يفهمه » .

وهكذا تقوم وسائل الإعلام والراديو بخاصة بالتبسيط والتفسير والتكامل ، والتوصيل الجيد للمعرفة بأشكالها وأنواعها المختلفة للفئات المختلفة من الشعب ، وذلك في مختلف برامجها ، وخاصة تلك التي تعالج جوانب الثقافة .

وعندما نتحدث عن وسائل الاتصال بالجماهير ، فإننا نواجه بالغموض الذي نشأ في الرأي العام بين الوسيلة أو الوعاء والمضمون الذي تنقله^(٢٠) ، فإذا افترضنا أن « الثقافة » هي المضمون الذي تقدمه الإذاعة كوسيلة أو وعاء ثقافي ، فإن الإذاعة لا تخرج عن كونها أداة للنشر والتعمير ، فهي امتداد تكنولوجي للغة والكلمة والإيماء ، ولقد استخدمت وسائل الاتصال منذ عصر التدوين ، إلى عصر المطبوع في الكتاب والصحيفة ، كأوعية للثقافة ، لذلك لم يقتل الراديو الكتاب ، كما لم يقتل التصوير الفوتوغرافي الفن التشكيلي ولا السينما قضت على المسرح ، ذلك أن جميع الوسائل القديمة والجديدة تتكامل مع بعضها البعض في أداء الوظيفة التثقيفية ، ولكن هذه الوسائل في تكاملها لا يلغى بعضها بعضا ، وإنما تتقدم باستمرار لأداء وظائفها على نحو أشمل .

٤ - ويشهد عصرنا الحاضر ظواهر لهذا التقدم الاتصالي ، فالكتاب والاسطوانة مثلا وسيلتان مستقلتان إلى جوار الراديو ويؤديان معه الوظيفة التثقيفية فضلا عن كتب الجيب والمسارح الإقليمية والشعبية والمجلات والصحف ، كل هذه الوسائل تنمو وتتقدم ويتكامل بعضها مع البعض الآخر في تحقيق وظائف الاتصال ، فالإنسان في حاجة دائما إلى وسيلة تراقب له الظروف المحيطة به وتحيطه علما بالأخطار المحيطة به أو الفرص المتاحة له ، وسيلة تقوم بنشر الآراء والحقائق وتساعد الجماعة على اتخاذ القرارات ،

وسيلة تقوم بنشر القرارات التى تتخذها الجماعة على نطاق واسع ، وسيلة تقوم بنقل حكمة الأجيال السابقة ، والتطلعات السائدة فى المجتمع الى الأجيال الناشئة .

٥ — تعتمد الإذاعة المسموعة على التبسيط والتجسيد والتصوير والواقعية الحية ، مستعينة فى ذلك بفنون الإخراج الإذاعى من موسيقى ومؤثرات صوتية ، ومستعينة فى ذلك بتطبيقات البلاغة الجديدة ، وإمكانات الكلمة المنطوقة فى إفراح مجالات التخيل والتصوير والتفكير أمام المستمع وذلك أن الراديو ينتمى الى عائلة وسائل الاتصال السمعية ، بمعنى أنه فى مقدوره أن يرسل أصواتا تحمل رسائل متنوعة الأشكال هادفة الى العديد من الأغراض التى من بينها الأغراض ذات الطابع الثقافى .

٦ — الإذاعة المسموعة استمدت المادة لبرامجها من الفنون السابقة على وجودها فى المجتمع ، كما نجد بالنسبة للموسيقى والغناء ، فقد أفادت من المسرح والسينما ولاعت بين طبيعتها وطبيعة الوسيلة الجديدة ، ومثال ذلك يتضح فى التمثيلية الإذاعية فهى مأخوذة أصلا عن المسرحية كما عرفها الناس على المسرح ، ومرت بمراحل إعداد خاصة ، كما يتضح فى الحديث الإذاعى المأخوذ عن المقال ، والخبر الإذاعى المنقول عن الصحافة^(٢١) . هذا الإعداد أو هذه الملاءمة للفنون الموجودة فى المجتمع لكى تصبح صالحة إذاعيا ، يجعلنا نفترض أن الإذاعة فى مقدورها أن تنقل الثقافة الى جمهورها من خلال الإفادة من وسائل الاتصال الأخرى كالكتاب والصحيفة والمجلة المسرح والسينما .

٧ — أدركت الحكومات أهمية الإذاعة المسموعة لما تتميز به من إمكانات ضخمة فى نشر الثقافة والوعى السياسى والتعليم والدعاية ، لذلك فرضت عليها نوعا من الرقابة سواء كان ذلك فى انجلترا أو أمريكا وفى غيرهما من البلدان على أن هذه الرقابة والسيطرة تختلف شدة ولينا ، فبينما نجد الرقابة فى الدول ذات النظام الإذاعى التجارى خفيفة هينة نجد أن الحكومات المستبدة أو الديكتاتورية تفرض على برامج الإذاعة رقابة قاسية وتستغلها للدعوة لمذهبها السياسى .

وفى مصر ألغت الحكومة الإذاعات الأهلية نهائيا فى عام ١٩٣١ ، وتم الاتفاق بين الحكومة وشركة ماركونى على إنشاء محطة إذاعية لاسلكية وفقا لنصوص المعاهدة الدولية للبرق واللاسلكى المنعقدة فى واشنطن عام ١٩٢٧ والتى كانت مصر قد اشتركت فيها . وفى ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ تم افتتاح الإذاعة المصرية . ولاعتبارات قومية أنهى عقد شركة ماركونى وتسلمت وزارة الشؤون الاجتماعية الإذاعة اللاسلكية فى ٤ مارس سنة ١٩٤٧ ونظرا لما وضع من الأهمية الكبرى للإذاعة بوصفها أداة تثقيف ووسيلة إرشاد للرأى العام الداخلى والخارجى عن شئون البلاد ، ورغبة فى استقلال الإذاعة اللاسلكية استقلالاً يساعدها على تحقيق هذه الأهداف ، فقد رأى أن يستقل هذا الجهاز اعتبارا من

١٨ مايو ١٩٤٧ وأن يشرف عليه مجلس أعلى يوجه سياسته العامة ويتابع البرامج التي تحقق هذه السياسة .

وتؤكد القوانين التي **صدرت** بشأن الإذاعة المصرية الغرض الذي افترضناه حول إبراز الحكومات للدور الثقافي للإذاعة المسموعة ، ففي عام ١٩٤٩ صدر القانون ١٨ بإلحاق الإذاعة المصرية برئاسة مجلس الوزراء وبأن تكون لها الشخصية المعنوية وفي ١٠ نوفمبر ١٩٥٢ صدر المرسوم بقانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ بإنشاء وزارة للإرشاد القومي وألحقت الإذاعة المصرية بها نقلا من رئاسة الوزراء ، وصدر القرار الجمهوري ١٨٢ لسنة ١٩٥٨ بإلحاق الإذاعة برئاسة الجمهورية وفي ١٩٥٩ صدر قرار من رئيس الجمهورية رقم ٧١٧ بتنظيم إذاعة الجمهورية العربية المتحدة وبمقتضى هذا القانون اعتبرت الإذاعة مؤسسة عامة لها الشخصية الاعتبارية وأطلق عليها إذاعة الجمهورية العربية المتحدة . وحددت المادة الثالثة من هذا القرار عملها بالمشاركة في التوجيه القومي العام ورفع مستوى الشعب ثقافيا واجتماعيا وأخلاقيا . كما نص القرار على أن تسعى الإذاعة لعدة أغراض في **مقدماتها** النهوض بمستوى الفنون بكافة أنواعها ، والمساهمة في نشر الثقافة بين الأوساط الشعبية ، وإحياء التراث العربي الأدبي والعلمي والفني ، وإطلاع الشعب على خير ما أنتجته الحضارة الإنسانية وتشجيع المواهب في شتى نواحي الفكر والإبداع .

وفي عام ١٩٧١ صدر القانون رقم ١ بإنشاء اتحاد الإذاعة والتليفزيون الذي نص على أن يتولى شئون الإذاعة المسموعة والمرئية في مصر وتكون له الشخصية الاعتبارية ويتبع وزير الإعلام ، وأكدت المادة الثانية من هذا القانون على الدور الثقافي للإذاعة ضمن أهداف الاتحاد .

٨ — تمتاز الإذاعة المسموعة بحيوية تنبض في الصوت الإنساني وفي الموسيقى وفي الأحاديث المباشرة ، وهي مميزات تعاون في تقديم الثقافة من خلال الراديو تقديمها مستساغا **للمتلقي** كما أن الإذاعة المسموعة لا تتطلب من المستمع معرفة القراءة والكتابة والهجاء واستعمال النظر في المتابعة وقلب الصفحات وهي من مستلزمات الكلمة المطبوعة ، لا يتطلبها الاستماع الإذاعي . ومن المعروف أن الراديو عاجز عن أن يعكس أو يرد الشيء بكامله إلى المستمع ، فهو يلجأ إلى الكلام ، وفي هذه الحالة لا يستطيع أن يصل إلا للون من الإبداع الأدبي ، أو إلى الصورة الصوتية أي إلى استثارة الخيال البعيد في تشكيل الصورة الغائبة . إن الميكروفون لا يستطيع أن يلتقط الواقع الملموس . وهو من هذه الناحية لا يمكن أن نعتبره أفضل من الكتاب . إنه ينشئ بوسائل سمعية واقعا وهميا يمكن أن يسهم في إعداد ما يتجاوز الواقع .

واستثارة الخيال في الفن الإذاعي من الخصائص التي تتيح له مسرحية الثقافة ،
فالبرامج الثقافية التي تبسط الثقافة بتقديمها على شكل مسامع حية تتميز بجذبها
للانتباه عن طريق خلق جو إنفعالي جديد .

٩ - أن الفن الإذاعي يخلق حالات نفسية خاصة ، حيث يتوجه إلى الفرد في
خصوصية .. وأن «عالمى الكلام أو الموسيقى» يؤثران في شعورنا ليحثانا على الإخلاق إلى
راحة مطلقة حتى ينطلق الخيال بحرية ، بينما ينتزعنا التليفزيون من أنفسنا لأنه أقوى
 ويفرض نفسه على شخصيتنا . ومن الناحية الفكرية ، فالراديو أقرب إلى الكتاب ، ويطل
من هذه الناحية تجريديا وينقل رسالته بوساطة التصور بينما يظل التليفزيون في نطاق
المحسوس .

وإذا كان الراديو يعد من وسائل الاتصال القومية ، فإن ذلك يشير إلى أهميته
التثقيفية ، حيث يمكن أن يصل إلى جميع السكان بسهولة ، «مخطيا حاجز الأمية
والحواجز الجغرافية» .. ويستطيع الراديو أن يصل إلى جماعات خاصة مثل الأفراد
كبار السن والأطفال ، والأقل تعليما والمتعلمين ، وغير ذلك من الجماعات المختلفة التي قد
يصعب علينا الوصول إليها بوسائل الإعلام الأخرى . ولا يحتاج الراديو إلى أى مجهود
من جانب المستمعين . وحيث إن غالبية الناس أصبحوا مشغولين وليس لديهم وقت
للتفرغ للقراءة أو المشاهدة ، أصبح الراديو هو الوسيلة السهلة التي تبقيهم على علم
بما يحدث . والرسالة المذاعة قد تكون أكثر فاعلية من الرسالة التي تنقل بالاتصال
المواجهى لأنه يمكن تقويتها بوساطة الموسيقى والتأثيرات الخاصة التي تترك انطبعا
قويا . وقد أظهرت التجارب أن المواد البسيطة السهلة التي تقدم بواسطة الراديو يسهل
تذكرها مما لو قدمت مطبوعة ، خاصة بين الأفراد الأقل تعليما والأقل ذكاء .

ولعل في ذلك ما يدعو إلى افتراض أن الراديو يمكن أن يساهم في القضاء على أمية
الفكر ، سيما وأن المجتمع المصرى يعانى من أمية الحرف حيث تصل نسبة من يعرفون
القراءة والكتابة ثلاثين فى المائة ، فضلا عن ذلك فإن مجرد الإلمام بالقراءة والكتابة
لا يكفى وحده ليجعل من الإنسان مواطنا مثقفا وإنما يجب أن يكون قادرا على استخدام
المادة بالقراءة والكتابة فى الاستمرار فى تحصيل المعرفة ومتابعة تقدم الإنسانية فى مختلف
ميادين العلوم والفنون .

من هنا كانت مقدرة الراديو على مواجهة أمية الفكر عند المتعلمين وغيرهم على
السواء ، ميزة أساسية للإذاعة المسموعة التي تنتشر بين جميع أفراد المجتمع ، فهناك
من الكبار من فاتتهم فرصة التعليم وهناك من المتعلمين من ارتدوا إلى أميتهم ومن هنا
كذلك تبرز أهمية الإذاعة المسموعة كوسيلة تثقيفية ، تكمل رسالة المدرسة والأسرة ،
ومسئولة عن تكوين رأى عام مستنير ، كما أنها مسئولة عن تعبئة الموارد البشرية .

١٠ — يصل الراديو الى الجمهور بطريقة مختلفة غالبا عن الطريق التى تصله بها الوسائل الأخرى ، فالراديو يقدم للمستمع ما يمكنه من المشاركة فى الأحداث الفعلية المذاعة وذلك بحكم كونه أكثر اقترابا من الاتصال الشخصى .. والاتصال المواجهى ، ويتميز الراديو بقدرات عالية فى الإقناع والتأثير لأنه عادة ما يكون الوسيلة الأولى فى تقديم المواد للجمهور الا أنه ليس هناك من البحوث ما يدعم هذا الحديث عن الراديو أو يرفضه (٢٢) .

وهذه القدرات ترتبط بما استحدثته الإذاعة من آثار حاسمة فى عالم الفنون ، ذلك انها أصبحت كالسينما تعتمد على أساليب خاصة فى الكتابة إليها ، مع فارق واضح بينها وبين الصورة المتحركة الناطقة ، من ناحية الجماهير التى تفيد من البلاغة الجديدة ، ذلك لأن السينما كالسرح من حيث إن الجمهور يحتشد فى صعيد واحد ، لتلقى الفن والتفاعل معه ، أى أن العقلية الجمالية تتغلب الى حد ما على العقلية الفردية ، ويقتضى ذلك توقيتا محكما للعروض كما يقتضى إطارا معينا وسياقا زمنيا ، لا ينبغى تجاوزه إلا بالحد المعقول . أما الإذاعة فالمستمعون إليها فرادى ، ولو اجتمعوا فى أماكن اختاروها ولم تفرض عليهم ، ومعنى هذه الحقيقة أن الفرد تغلب عليه عقليته ، ولا يذوب تماما فى العقلية الجماعية لجمهور المشاهدين ، ولذلك يتسم الحديث الإذاعى مثلا بأنه موجه إلى أفراد .. إنه يختلف عن الخطبة ، ويختلف عن الحوار فى المسرحية أو الفيلم ، مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعد وأصولها ، إلى أخرى لها شخصيات أخرى .

ومن البدهى أن تفيد الإذاعة فى تقديم الثقافة للجماهير من الفنون الزمنية كلها ، حيث تعود الأغنية والموسيقى بفضل الراديو الى مجدهما القديم ، وتستغل فنون العرض والتمثيل استغلالا كاملا . ولقد وجد أنها من أصلح الأوعية لنشر المسرحيات ، على نطاق أوسع من حدود دور التمثيل ، وكل ما احتاجت اليه بلاغتها الجديدة هو الاستعانة براوية فى المواقف الغامضة ، والتنبية الى الحركة والنقلة ، ولم يكتف القوامون على الإذاعة بتجاريبهم ، ولكنهم طلبوا الاتفاق بمراجعة ما يقدمون للمستمعين ، وتم لهم ذلك بفضل استغلال أجهزة التسجيل الصوتى التى أتاحت لهم المراجعة والتنقيح ، قبل العرض ، ولكن الإذاعة تعرضت لما تعرضت له الأوعية الثقافية ذوات الإنتاج الكبير لتعدد المحطات ، وطول الساعات ، والتنوع الواجب فى البرامج ، والتجديد المستمر فى المادة المذاعة ، كل أولئك جعل البرامج تميل فى معظم أنحاء العالم الى الكم أكثر مما تميل الى الكيف وتترخص فى الارتجال فى بعض الأحيان .

سجل المفكرون للإذاعة المسموعة ، أنها تعين على ديمقراطية التثقيف لأنها تتيح للأفراد والجماعات فى كل مكان أن تفيد من المعرفة وأن تتذوق الفن ، وأنها أقوى من

الطباعة في تأصيل هذه الديمقراطية الثقافية ومن هؤلاء المفكرين أفراد ، حاولوا التبشير ببلاغة جديدة ، وكان على رأس هؤلاء برنارد شو ، وبخاصة عندما عين مقررا لمجلس الإذاعة البريطانية . وضم هذا المجلس علماء في الصوتيات والنفس والتربية إلى جانب الفنيين والمتخصصين في الإذاعة ويذكر الجيل الماضى المناظرات والدراسات والتعليقات الكثيرة على هذا الوسيط الثقافى ، وبرزت تساؤلات لها قيمتها : منها البحث عن طبيعة الجماهير ، التى تتلقى الإذاعة ، وعن الوحدات والأنماط التى تتألف منها ، وحرص بعض المعنيين بالفكر والفن على الإشارة الى البرامج الثقافية ، واستخدمت الإذاعة منهج العمل الميدانى وقياس الرأى العام فى تفهم حاجات الجماهير ، وحاولت ولا تزال تحاول - أن تصل ما بين الإنتاج من ناحية وبين التلقى من ناحية أخرى . وهذا ما سارت عليه أوعية الثقافة على اختلافها ، فقد تفننت فى وضع الأسئلة التى تكشف عن رغبات المستمعين من هذه الوسائط على تباعد ديارهم ، وتباين مهنتهم بعد ذلك بتحليل الإجابات لكى تفيد من النتائج فى وضع البرامج وتلبية ما يطلبه أولئك وهؤلاء ، من آداب وفنون رسمية وشعبية .

ويلاحظ الدكتور يونس ، أن أوعية الثقافة الجديدة - من وسائل الاتصال بالجماهير قد بعثت مرة أخرى الفلسفة البلاغية القديمة ، وبخاصة فى أن الفن إنما يستهدف المخاطبين أو المتلقين بالدرجة الأولى ، أى أن الأثر الفنى يقوم على مقومات الصناعة ، وهى تصميم العمل طبقا لمقال سابق ، وثانيا تنفيذ هذا العمل على أساس من قواعد محكمة ، تعنى أولا ، وأخيرا بعلاقة الجزء بالجزء وعلاقة الجزء بالكل ، وثالثا افتقار هذا العمل إلى آلات وأجهزة لا يمكن أن يتحقق بدونها ، والمقوم الوحيد الذى يخرج من مجال الصناعة هو أن البرامج الفنية ليست مجرد إعادة لصياغة مادة سابقة .

ونخلص مما تقدم الى أن الإذاعة اللاسلكية بين وسائل الاتصال بالجماهير لم تكن إحلالا لتيار الحضارة الآلية الحديث محل التربية التقليدية التى ساعدت على التلوين الثقافى ، وإنما عززتها ، ودعمت أساليبها ، كما أسهمت فى تحقيق ديمقراطية الثقافة ونشرها بين الجماهير وليس يخشى من هذه الوسيلة الجديدة على الفردية الخلاقة Individualisme ، على النحو الذى ذهب اليه ديهاميل ، من أن الناس سيصبحون جميعا نسخا متشابهة لا أصالة لأى منها ، فتصير عقليتهم عقلية القطيع . ذلك أن الأفراد يختلفون اختلافا كبيرا من حيث قدرتهم على الاتصال من ناحية ومن حيث الفرص الاتصالية السانحة أمامهم من ناحية أخرى ، وحيث يلاحظ أن الفروق الفردية فى القدرة الموروثة والاستعداد والتمرين والمعرفة ثقف حائلا دون المشاركة المتساوية فى ثقافة مجتمع معين فى فترة معينة ، كما نجد أيضا فى مجال الأشكال الكلامية - مدى واسعا من الالفاظ ، يتفاوت الناس وفقا له تفاوتا كبيرا ، وملحوظا ، وهنا نقول إن الاتصال قد يوسع

مجال الاهتمام دون أن - يصاحب ذلك تعمق أو اتساع في مجال الفهم المتعلق بالثقافة ،
فبينما يتعلم قارئ الصحف شيئاً عن السياسة الأمريكية أو الروسية أو الإنجليزية أو
الفرنسية إلا أنه عادة ما يكون على قدر ضئيل من الفهم بالنظم السياسية الأمريكية
والروسية والإنجليزية والفرنسية (٢٣) .

ثالثاً : تعريف البرامج الثقافية :

وتأسيساً على ما تقدم يمكن تعريف البرامج الثقافية في الإذاعة المسموعة على أنها :
البرامج التي تقدم من إذاعة « عامة » وليست متخصصة كإذاعة البرنامج الثاني
وتبسط موضوعاً أو فكرة ثقافية في صورة إذاعية مقبولة تقوم على الإفادة من إمكانات الفن
الإذاعي ، تتميز بالتجديد والتبسيط في تقديم ثمرات الفكر والفن والعلم على أوسع نطاق
وفي أرحب دائرة دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى في الإنتاج الثقافي
إلا دفعاً لها إلى مزيد من التفوق والإجادة .

فالبرامج الثقافية في الإذاعة العامة كالبرنامج العام في مصر مثلاً لا تتوجه إلى
الصفوة وإنما تتوجه إلى الجماهير كلها ، والإذاعة بذلك تسعى إلى تحقيق المدلول الخاص
للثقافة من حيث تقديم المعارف والخبرات والمهارات للمستمعين ، والبرامج الثقافية تقوم
كذلك بالتقريب بين أصحاب الثقافتين : العلمية والأدبية ، كنتيجة لما لوحظ من جهالة
الأدباء بالعلم وجاهالة العلماء بالأدب ، كما سيجيء ونخلص من ذلك إلى أن البرامج
الثقافية هي التي تتوجه إلى الجمهور العام من جهة بهدف تثقيفه ، وهي التي تتوجه إلى
ذوى الثقافتين العلمية أو الأدبية من جهة أخرى بهدف تهيئة العقول لقبول الثقافة مهما
تختلف فروعها ومهما تكن مادتها . وينبغي أن يقوم البرنامج الثقافي على عدة معايير
أساسية :

(١) معايير البرنامج الثقافي :

- ١ - أن يفيد من إمكانات الإذاعة في تقديم الثقافة للجماهير في شكل مستساغ
سمعيًا .
- ٢ - أن يعتمد على تبسيط الثقافة تبسيطاً لا يهبط بمستواها وإنما يجعلها مفهومة .
- ٣ - أن يتخطى عقبات الملل الذي يصاحب المادة الجافة من خلال استخدام
العناصر الدرامية ووسائل جذب الانتباه .
- ٤ - أن تتنوع البرامج الثقافية بحيث تحقق التكامل بين فروع الثقافة المختلفة .
- ٥ - أن ترتبط هذه البرامج الثقافية بمفهوم الثقافة باعتبارها كياناً له مقوماته
التي تميزه عن التعليم من ناحية وعن الإعلام والترشيد من ناحية أخرى .

(ب) البرامج الثقافية وانتشار الثقافة :

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن البرامج الثقافية تتمثل طبيعة الانتشار الثقافي من الكبار إلى الصغار في حركة دينامية ، كما تقوم على نماذج لها قدرة من العمومية ، وعلى تبسيط المعارف ، والخبرات تبعا للقدرات في مراحل النمو المختلفة ، وبصور مختلفة ، وبعبارات مختلفة عن تلك التي تستعمل في الحياة اليومية .

والبرامج الثقافية حين تتوسل بالإذاعة في الانتشار بين جماهير المستمعين فإنها تنقل الثقافة من أعلى الكيان الاجتماعي إلى أسفل الكيان الاجتماعي ، أيا كان شكل هذا الكيان ، فالثقافة تتحول من الخبراء الذين يعرفون إلى الذين تقل معرفتهم والخبرة بالشكل البدهي الظاهر تنتقل من القمة ، من الممتاز إلى الأقل امتيازا ، أي الذي يعرف أكثر إلى الذي يعرف أقل ، على أنه يجب أن نذكر هنا تحفظين نجدهما عند الأنثروبولوجيين وعلماء الفولكلور عندما يتحدثون عن الثقافة الشعبية في انتشارها ، إذ يذهبون إلى وجود حركتين متوازيتين مع ما تقدم .

— من الصغار إلى الكبار .

— من القاعدة إلى القمة .

ذلك أن هؤلاء العلماء يذهبون إلى الثقافة وهي موضوع علمهم ، وإن كانوا يختلفون في تعريفها ، وفي نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان هناك شبه اتفاق عام بين العلماء على الأخذ بالتعريف الشهير الذي وضعه العلامة « تايلور » وافتتح به كتابه « الثقافة البدائية » وفيه يقول : « الثقافة » هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع (٢٤) .

ومهما يكن من شيء ، فإن هناك — كما تقدم — ثقافتين الأولى هي ثقافة القلة المفكرة ، والثقافة الثانية هي ثقافة الكثرة العاملة وعلى حين فرغت القلة للتفكير ، فرغت الكثرة للعمل ، تحمل أعباء الحياة كلها على عاتقها في الحقول وفي المصانع ، ومع كل خطوة على وجه الأرض وفي جوفها ، ومع كل حركة على سطح البحر والأنهار وفي جوفها . وما فكرت القلة إلا لتريح الكثرة من عناء الفكر ، وما عملت الكثرة إلا لتخلي القلة لتفكيرها . أخذ وعطاء كان يجب أن تقوم عليه الثقافتان الأولى والثانية غير أن العهود الأرستقراطية التي مرت تقصر ثقافة القلة على القلة ، وتجعل الثقافة الأولى بمعزل عن الثقافة الثانية ، وحين عاشت الثقافتان لا صلة لإحدهما بالآخرى عاشت الثقافة الأولى تدور حول نفسها ، ولا تملئ إلا عن نفسها ، ولا تعبر إلا عن نفسها ، لا صدى فيها للشعب ولا أثر فيها للشعب ، ولا توجيه فيها للشعب .

وهناك من يقسم الثقافة قسمين آخرين : يطلق على أحدهما عادة اسم الثقافة الأدبية ، وعلى الآخر الثقافة العلمية ويتجه أفراد الثقافة الأدبية بسبب تعليمهم وطبيعتهم ميولهم واستعداداتهم الفطرية الى كل ما يمت للأدب ، بما تنطوى عليه الكلمة من عناصر الإطلاق والتعميم كالثروة الشعرية ، النثرية والدراما ، والرواية والقصة وتذوق الجمال والسلاسة في ألفاظها والسمو في معانيها ، سواء أكان ذلك في اللغة القومية أم في اللغات الأجنبية ، أم في هذه وتلك معا . ويتجه أفراد الثقافة العلمية الى المواد الرياضية ، والطبيعية ، والكيميائية والفلكية ، والبيولوجية والسيكولوجية ، ويميلون عادة الى البحث عن الصلة بين هذه المواد وتطبيقها على الحياة اليومية تطبيقا عمليا ، بجانب دراستها من الناحية النظرية البحتة .. وهذا بخلاف الثقافة الأدبية التي تميل الدراسة فيها إلى أن تكون نظرية خالصة .

وإذا كان الفن الإذاعي ، قد اتجه الى الصفوة المثقفة ، حين خصص إذاعات كاملة تقوم على الثقافة الرفيعة ، كإذاعة البرنامج الثانى فإن الفن الإذاعي المتجه الى الجماهير العريضة حين يخصص برامج ثقافية « يتوجه بها الى الجماهير » فإنه كذلك من خلال هذه البرامج يسعى الى التقريب بين الثقافتين العلمية والأدبية كنتيجة لما لوحظ من جهالة الأدباء بالعلم وجهالة العلماء بالأدب وقد صور سيرتشارلس سنو في كتابه « الثقافتان والثورة العلمية » صورا واضحة للفروق الشاسعة بين أولئك الذين نشئوا نشأة أدبية بحتة ، وأقرانهم الذين عاشوا في معامل الأبحاث والأجهزة العلمية يقول :

« كلما ألقيت نظرة على كل من أفراد هاتين الطائفتين الذين بلغت ثقافتهم منزلة أرسقراطية ممتازة ، تبين لى أنهما يتفقان فى عنصر السلالة والدم ، وفيما حبتهم الطبيعة من نعمة الذكاء ، وأنهما لا يختلفان كثيرا فى الأصل الاجتماعى الذى ينحدران منه ، كما أنهما يتساويان تقريبا فى الحالة المالية . ولكنهما برغم ما بينهما من عوامل التجانس والتشابه هذه ، كفا عن الاتصال ببعضهما البعض ، وأن الشقة بينهما من النواحي الذهنية والخلقية والسيكولوجية قد بلغت من الاتساع درجة ، انهارت بسببها كافة العوامل المشتركة بينهما ، حتى اذا انتقلت من الفريق الواحد الى الفريق الآخر فى المدينة الواحدة أو الحى الواحد ، خيل اليك أنك انتقلت الى ما وراء البحار ، ولا شك أن العيب فى هذه الظاهرة ينسب ، كما أجرت العادة ، الى النظم التربوية ، كما نراها فى انجلترا وفرنسا وفى مصر وغيرها من البلدان التى نسجت على منوالها . فمن الملاحظ أن المتعلمين والمشتغلين بالعلوم الطبيعية الحديثة فى هذه الدول ، لا يميلون الى عناصر الثقافة الأدبية والفنية والتقليدية ، ولا يتذوقونها (اذا استثنينا الموسيقى) بسبب هذا النوع من النظام التعليمى . فمن جهابذة العلوم الطبيعية فى انجلترا وفرنسا الذين يقرعون بعض

كتب الادب أحيانا يعسر عليهم فهم ديكنز وشكسبير ، كما يعسر على زملائهم في البلدان العربية فهم أبى تمام والبحترى والنابغة الذبياني ، ولا نبالغ إذا قلنا إنهم في هذه البلاد قلما يلمون بشيء من مؤلفات طه حسين والعقاد وسائر رجال الادب المعاصرين .

وتأسيسا على هذا الفهم ، يمكن القول إن البرامج الثقافية هي التي تتوجه إلى الجمهور العام من جهة بغية تثقيف الجماهير ، وهي التي تتوجه إلى ذوي الثقافتين العلمية أو الأدبية من جهة أخرى بغية تهيئة العقول لقبول الثقافة مهما تختلف فروعها ، ومهما تكن مادتها . وكان القدماء - كما يقول طه حسين - من الأدباء لا يحبون أن يقف الادب بأدبه عند الشعر والنثر والنقد وإنما يستطيع أن يأخذ من كل شيء بطرف كما كان يقال في الأيام الماضية .. ومن المحقق أن أفلاطون أو أرسططاليس كانوا علماء وكانوا مثقفين بالقياس إلى العصور التي عاشوا فيها ولم يظفر أحدهم بأجازة جامعية ، لأن ذلك لم يكن معروفا في أيامهم . وهم مع ذلك ملئوا الأرض علما وثقافة .

وإذا كان العالم المتخصص في فرع بعينه من فروع العلم مكلفا أن ينفع الناس بهذا العلم ، فإن الإذاعة - من خلال برامجها الثقافية - مسئولة عن توسيع نطاق الثقافة ونشرها بين الجماهير من جهة ، ومسئولة من جهة أخرى بأن تضيء للناس سبل الحياة من خلال برامجها الثقافية المتنوعة . ذلك أن الثقافة - كما يقول طه حسين - تجمع بين هاتين الخصلتين فهي معرفة يجب أن تنشر بين الناس ، وهي في الوقت نفسه تذكي عقل المثقف وتيسر له فهم الحياة وتعينه على حل بعض المشكلات التي تعرض للناس في حياتهم اليومية (٢٥) .

ومن العلماء المتخصصين من يقف بتخصصه عند حد معين ، وهو حين يفعل ذلك يفقد صفة التخصص ، ويصبح صاحب فن من الفنون التطبيقية يمارس فنه ويعيش منه ، ويفرض ذلك على البرامج الثقافية متابعة التقدم العلمي والثقافي بوجه عام . فالمعرفة الإنسانية لا تعرف الحدود ، وإنما هي متحركة أبدا ومتحركة دائما ولا يدركها الركود إلا حين تصيب الحضارة آفة من الآفات أو عارض من العوارض فتمنع العقل من نشاطه وتكف المعرفة عن المضي إلى أمام : « فالعالم المتخصص حقا يتجدد علمه في غير انقطاع ، والمثقف الجدير بهذه الصفة تتجدد ثقافته في غير انقطاع . وكلما ازداد تخصص العالم أو اتسعت ثقافة الرجل المثقف عظمت تبعته أمام بيئته ووطنه ، ووجب عليه أن ينفع الناس بكل ما حصل وبكل ما اكتسب .

ويفرض هذا الفهم على البرامج الثقافية الإذاعية أن تعيش بين الناس وتفهم حياتهم وتتعمق نظمهم الاجتماعية والسياسية وتلاحظ نشاطهم اليومي لتكون نافعة حق النفع ، ولتكون لهم معلماً وهادياً إلى الخير ولكيلا تتحول إلى ثرثرة ينبغي عليها أن تضع الثقافة

موضع الحاجة اليها وليشعر الناس بأن الإذاعة نافعة لهم حقا ، تعلمهم ما لم يعلموا ، وتدلهم من سبل الرقى على ما لم يهتدوا اليه .

وتستهدف البرامج الثقافية التأثير في اتجاهات الافراد وسلوكهم وتوجيهها نحو النفع والخير والرقى على النحو المتقدم ، كما تستهدف مساعدة الجماهير على تتبع تقدم الإنسانية في مختلف ميادين العلم والفن والثقافة ، فالثقافة التى تستهدف الإذاعة تحقيقها تمكن المواطن من الإلمام بأهم الاتجاهات السائدة فى عصره ، وبحيث يصبح مؤثرا فيها ومتأثرا بها .

وتحقيق الثقافة بهذا المعنى يستلزم برامج تثقيفية متعددة - فهناك برامج الثقافة الأدبية ، وهناك برامج الثقافة العلمية ، وبرامج الثقافة الصحية ، وبرامج الثقافة النفسية ، وبرامج الثقافة الدينية ، وغير ذلك كثير من البرامج الثقافية التى يمكن التعرف على أهدافها من أسمائها .

الإذاعة وتبسيط الثقافة :

كما يقدم الراديو مواد ثقافية فى صورة أحاديث أو محاضرات أو ندوات وهنا نجد أن البرامج الثقافية يجب أن تتسم بالبساطة والتبسيط^(٢٦) : « وهنا كثيرا ما يقع المشرفون على الإذاعة فى خطأ كبير هو ظنهم أن تقديم مثل هذه المواد لا يحتاج الى كبار الأساتذة والعلماء والمفكرين ، بل قد يكفى لذلك أوساطهم أو المبتدئون منهم . وذلك مع أن تبسيط المعرفة لا يستطيعه الا اكبر الأساتذة والمفكرين ، لأن التبسيط يتطلب ممن يقوم به أن يكون قد تمثل المادة وهضمها هضمًا تاما ، كما أنه يتعرض لخطر كبيرين : أولهما الإسهاب الضار الذى تتميع فيه المادة وتختلط التفاصيل بالحقائق الكبرى التى يجب التركيز عليها وإيضاحها كمسامير أساسية للثقافة . وثانيهما الغموض الذى يأتى من غموض فى عقل المتحدث نتيجة لعدم سيطرته على المادة التى يتحدث عنها أو نتيجة لإيجاز مغل يقع فيه أو إحالة على مجاهيل بالنسبة للسامعين . ومن المعلوم أن السامع يطلب سهولة ووضوحا وتشويقا يجذبه الى متابعة الحديث واستيعابه فى شرحه ، وبخاصة أنه لا يستطيع توقعا للفهم ، أو مراجعة لما يسمع ، أو استيضاحا للمتحدث ، على نحو ما يفعل عندما يقرأ كتابا أو يستمع الى أستاذ يحاضر فى قاعة الدرس » .

ومن الواضح - كما يقول الدكتور مندور - أن تبسيط المعرفة لا يعنى اختزالها ، وذلك لما هو معلوم من أن المعرفة المختزلة المتيسرة قد تكون أكثر ضررا من الجهل . فنقص المعرفة بالأمراض المختلفة مثلا ووسائل علاجها قد يقود المستمعين الى أوهام وكوارث صحية . وهكذا الأمر فى علوم وفنون التخصص الأخرى التى يجب ألا يعمل الراديو على إيهام الناس بأنهم يعلمون عنها شيئا ذا غناء مع أن الجهل أسلم عاقبة من هذه الننف

الضارة ولذلك ربما كان من الخير أن يفيد الراديو من أحدث وسائل وفنون تبسيط العلوم ، فتوصيل الثقافة للجماهير - كما يذهب الى ذلك الدكتور حسين فوزى - ليس أبداً بأن نهبط بها عن مستواها ولذلك يجب أن نفصل بين البرامج الإعلامية والبرامج الثقافية ، والبرامج الترويحية ، ولا نقصد بذلك أن يتم هذا الفصل عند نهايتها عندما تصل الى جمهور المتلقين لأن ذلك يتعذر ، فبائع الكتب مثلاً يعرض كل أنواع الكتب ، الجيد منها والغبث ، ولا تستطيع أن تمنعه من ذلك ، بل نقصد أن يكون الفصل عند المنبع ، لأن - الإعلام بطبيعته أقوى من الثقافة ، فإذا لم نفصل بينهما عند المنبع فلا بد أن يحول الإعلام الثقافة الى عبد له ، ويسخرها في خدمة أهدافه ، وهذا أخطر ما يمكن أن نتعرض له الثقافة (٢٧) .

ويذهب الدكتور فوزى - الى أن الإذاعة أداة خلاقة ومنفذة لشئون الثقافة والإعلام والترفيه كلها ، يقتضى الأمر أن تصلها الروافد كل بحسب منبعه الخاص وعليها هي أن تجرى عملية « المزج الفنى » سواء في البرنامج الواحد ، أو في تعدد البرامج . ولقد عرفنا أن الإذاعة كفن جديد استمدت مادتها في بداية الأمر من الفنون السابقة عليها في المجتمع ، ثم أعدتها الإعداد الخاص بها ، كما رأينا أن برامج الإذاعة بصورة عامة تقوم على الموسيقى والكلمة المنطوقة ، والبرامج الثقافية تقوم على هذين الركنين الإذاعيين ، بحيث يمكن القول إنها برامج تستخدم فيها جميع إمكانات الراديو ، من موسيقى ، وتسجيل داخل الاستوديو ، ولقاء ميكرفون في صورة حوار بين اثنين - ولقاء ميكرفون مع أكثر من فرد .. وتسجيل خارج الاستديو ، ومؤثرات صوتية إلخ (٢٨) ...

وليس معنى ذلك أن كل برنامج ثقافى ينبغى حتماً أن تستخدم فيه كل هذه الإمكانيات دفعة واحدة ، بل المقصود أن البرنامج الثقافى له أكثر من دعامة يستند إليها . كما أن البرنامج الثقافى يعتمد على تبسيط المعرفة والثقافة ، كما تقدم ، وهذا التبسيط هو مادته ومحتواه فهو لا يعتمد على الخيال وإنما يقوم على العلم والمعرفة والثقافة بفروعها ، وهذا يجعل مهمة معد البرنامج الثقافى مهمة دقيقة ، ذلك لأن البرنامج الثقافى كذلك يخاطب العقل ، كما يخاطب العاطفة ، فهو برنامج وظيفى هادف ، ولكنه يجب أن يتخطى عقبات الملل الذى يصاحب المادة الجافة الأمر الذى يجعله يفيد من الإمكانيات الدرامية ، ووسائل جذب الانتباه وهو لذلك برنامج يتميز بالحركة والحركة السريعة ، كما أن البرنامج الثقافى برنامج قابل للتطور الدائم ، ويتميز بموضوعيته ومعالجته للثقافة بمختلف فروعها . تلك كلها مميزات تتميز بها البرامج الثقافية ، بحيث يمكن القول إنها البرامج التى تبسط موضوعاً أو فكرة ثقافية في صورة إذاعية مقبولة تقوم على الإفادة من إمكانيات الفن الإذاعى ، تتميز بالتحديد والتبسيط في تقديم ثمرات الفكر والفن والعلم على أوسع نطاق وفى أرحب دائرة ،

دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى في الإنتاج الثقافي ، إلا دفعها الى مزيد من التفوق والاجادة .

فالبرامج الثقافية في الإذاعة العامة - كالبرنامج العام - لا تتوجه الى الصفوة كما يتوجه البرنامج الثانى - وإنما تتوجه الى الجماهير كلها كما تقدم وكان طبيعيا إذن أن ترتبط هذه البرامج بمفهوم الثقافة باعتبارها كيانا له مقوماته التى تميزه عن التعليم من ناحية وعن الإعلام والترشيد من ناحية أخرى ، وان تداخلت الوسائل التى تحمل العناصر الثقافية وتعمل على بثها عن طريق الكلمة والصوت والصورة .

وكان ارتباط البرامج الثقافية بالإذاعة ووسائل الاتصال الجماهيرية تأكيدا لحق الجماهير فى استكمال مقوماتها الإنسانية بواسطة الثقافة ، وموضعا للجانب الوظيفى للثقافة باعتبارها « عصا الميزان » التى تجعل التطور الفكرى والوجدانى لجماهير الشعب مسائرا للتطور المادى الذى يستحدثه العلم التطبيعى فى عالم الإنتاج الكبير .

ومن ذلك يتضح أن البرامج الثقافية الإذاعية ليست مجرد تعبير عن الحاضر بل تنمية لامكاناته ، وتنوير به ، وتصفيته ، وإثراؤه ، وتحويله وذلك أن مهمة البرامج الثقافية لا تقف عند حد التسجيل ، وإنما تعتبر وسيلة إثراء وتطوير عن طريق تنوير الوعى حتى يحاط عمل المرء بجوفكرى يجعل منه إنسانا يعيش قيم عصره ويشارك فى توجيهها ، فلا سبيل لنا الى « ذلك بالقاء الأوامر ، أو بيان قوائم المشروع وغير المشروع والا ضاع مفهوم الثقافة ، إذ يستلزم بها المرء ، فيظل أداة ووسيلة لا يتفاعل مع ما يعمل ، ولكن آليا . فلا مناص إذن من أن تكون الثقافة وسيلة تنمية الوعى الحرتنمية رشيدة ثمرتها انتقال الفرد الى مرحلة الرشد الإنسانى (٢٩) » .

البرامج الثقافية بين الفكر والفن :

ومن ثم نصل الى مجالين كبيرين من مجالات البرامج الثقافية الإذاعية كل منهما مندرج فى مفهوم الثقافة بمعناها المراد السابق : البرامج الثقافية تقوم بالاستنارة الفكرية المحضنة ، عن طريق تغذية العقول بما تمخضت عنه الإنسانية من نظريات وأفكار تمس طريق السلوك ، بقصد الوقوف على حقيقتها أولا ، فضلا عن تقويمها وذلك عن طريق تقديم ثمار التأليف والترجمة فيما يخص مسائل الثقافة إذاعيا ، أى تنوير الوعى العام منهجيا وعلميا ، ويندرج فى هذا النوع من البرامج ميدان النقد الفنى من حيث الدراسة المنهجية والنظرية والفلسفية للأدب وأجناسه وعلوم الجمال . والنوع الثانى من البرامج الثقافية معنى بالنشاط الفنى وهو ينصرف جوهريا إلى النشاط الأدبى ، وما يتصل به عن قرب من فنون جميلة أخرى .

وأهم ما يميز النشاط الجمالى فى البرامج الثقافية من أدب وفنون أنه مثير الفكر والشعور معا ، مما يتيح للبرامج الإذاعية استغلال قوالب فنية ناضجة ذات أثر عميق فى الوعي وفى توجيهه وجهة إيجابية . وللأدب الصدارة فى هذا المجال ، كما يذهب الى ذلك المرحوم الدكتور غنيمى هلال ، ذلك أن الأدب اذا أحكمت بنيته الإذاعية يتميز بالإقناع المثير الذى يتوجه الى الفكر من خلال الصور السمعية ، فيمس مناطق الفكر والشعور معا ، ويثير الإرادة الى العمل ، كما ينمى الوعي الإنسانى ويعمقه تعميقا .

والبرامج الثقافية - فى هذا المجال الفكرى - لا صلة لها بإلقاء الأخبار او الأوامر ، حتى لو كانت الأوامر مشروحة فى ذاتها ، دون أن تدعمها النظريات والأفكار ، والا فقدت الثقافة الفكرية جوهرها المتحضر ، كما يقول الدكتور هلال - فى خلق المواطن الإيجابى المتصرف عن اقتناع ، والمشارك بجهوده فى عصره وقومه ، وفيما يخص البرامج الثقافية فى مجالها الفنى ، لا شك أن القوالب الأدبية إذا لم تتضح فيها القدرة الفنية ، فانفصلت فيها الفكرة عن قالبها ، وطغت على شكلها ، فبرزت صريحة مباشرة ، فإن خطر ذلك لا يقتصر على الهبوط بمستوى العمل الفنى ، ولكنه يتعدى ذلك الى ابتذال الفكرة نفسها ، تصبح مباشرة ، مما يخرج بها عن مجال الثقافة أولا ، ثم يفقد ^{بنيتها} كل تأثير لها ثانيا . فالإحكام الفنى يجب أن نحرص عليه فى البرامج الثقافية ، لا من أجل الفن والأدب فحسب ، ولكننا نحرص عليه لأن الأدب - بدونها لا يكون أدبا ، لأنه يهبط الى مجرد الإرشاد أو الإعلام المباشر . وفى هذه الحال لا يبعث على تحريك الفكر ولا على بعث الإرادة .

والسؤال الآن ماذا يستطيع الراديو أن يقوم به فى أداء وظيفة « التثقيف » ؟ . فى ميدان توصيل الثقافة والتأثير على الاتجاهات الفكرية وفنيا ، ينبغى أن نفرق أولا بين الثقافة ومجالات الإعلام والأخبار ، وأن نفرق ثانيا بين وسائل الاتصال وبعضها البعض ما دامت المعلومات المراد توصيلها توجد فى ظروف مماثلة وتحوى نفس الموضوع وتخاطب نفس الجمهور . وقد أمكن إثبات هذا من خلال الأبحاث التى أجريت . فقد ثبت دون أدنى شك أنه مهما تكن وسيلة الاتصال فإن كمية المعرفة التى يمكن أن يمتصها الشخص تتوقف على نفس العوامل ، ألا وهى . مدى صلتها وصحتها من المصدر لتشعر المستمع أنه يشارك فيها وتتواجد فى مكان حدوثها . والإذاعة تستطيع أن تجعل من الثقافة أمرا كثير المرونة بما تسهم به من أقلمة سريعة للعالم الكثير التغير ، كما أن بإمكانها أن تكشف للوعي عن عوالم وآفاق ما كان لها أن تبين لو ظلت تجريدية ، وطالما استشهد المصلحون والمفكرون ، بل وعلماء النفس ، بالنماذج الأدبية التى كانت من محض الخلق الأدبى ، مثل النماذج الأدبية التى حلفها شكسبير وجوته وبلزاك

وسرفانتس ، وديستويفسكى .. إلخ . وأى برنامج ثقافى إذا عى يمكنه أن يتوسل بأساليب الإنتاج والإخراج التى تشد الانتباه وتجذب الناس ، بل وتسهم فى التنوير بما تعرضه من تحديات للذهن ، كما تستطيع أن تؤثر على المشاعر والاتجاهات ، لأنها تصل الى جماهير تختلف من حيث قدراتها الذهنية ، لم يكن من الممكن الوصول اليها إلا عن طريق الجديد جدا من الوسائل السمعية ، كل هذا يمنح الراديو مكانا متميزا من حيث قدرته على التثقيف ، بل وعلى إثارة الرغبة فى الثقافة

الثارة

الهوامش

- (١) عبد الحميد يونس : «الثقافة الجماهير» — محاضرات القاها في هيئة الاستعلامات — القاهرة ١٩٧٢ .
- (٢) فؤاد زكريا : «الاذاعة المراثية والثقافة العربية المعاصرة» في حلقة الاذاعة العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — مرجع سابق ذكره ص ٦٥ .
- (٣) جورج ديهاميل (ترجمة الدكتور محمد مندور) : الدفاع عن الأدب (القاهرة دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ) ، ص ٣٤ .
- (٤) Cherif khazndar: Radio et culture de messe” dans, Jean Tardieu, Grandeurs et Faiblesse de la Radio, (Paris, unesco, 1989 p. 190.
- (٦) Cherif khazendar, op . cit, p. 190
- (٧) Lucien karpik, specificite de la sociologie americaine, dans, Le monde, suppl. au no 7056, 20 septembre 1967.
- (٨) عبد العزيز شرف : عباس العقاد بين الصحافة والأدب (القاهرة : مكتبة الانجلو : ١٩٨٠) ، ص ١٨٠ .
- (٩) عبد العزيز شرف : طه حسين وزوال المجتمع التقليدي ، (القاهرة : هيئة الكتاب ، ١٩٧٦) ، ص ١٧٥ .
- (١٠) زكي نجيب محمود : «جماعة المثقفين» — جريدة الأهرام في ٢٠ يونية ١٩٧٥ .
- (١١) ت . س . البيوت : ملاحظات نحو تعريف الثقافة ، (ترجمة شكرى عياد) (القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٤) ص ص ١٥ ، ٢٣ .
- (١٢) ابراهيم الايبارى : «بين ثقافتين» في مجلة المجلة ع . ٦٢٧ في نوفمبر ١٩٦٢ .
- (١٣) ماهر كامل وامين عبد الله صالح : ثقافة اساسية (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧) ، ص ١٦ .
- (١٤) Bogardus, E. S., sociology, N. X. Macmillan, 1950, p. 49.
- (١٥) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩) ، ص ١٧ .
- (١٦) عبد الحميد الحديدى : «الاذاعة وسيلة حديثة للثقافة في مجلة الفن الاذاعي ع ٢ م ١ يناير ١٩٥٧» ، ص ١٠ .
- (١٧) Jean Tardieu, La Radio au carrefour des arts et des Techniques dans, Jean Tardieu, op cit p. 18
- (١٨) مارتن اسلن (ترجمة الدكتور ابراهيم امام) ، : «التليفزيون بين الكم الجماهيري المطلوب ، والكيف الفني المعروض» مجلة العلم والمجتمع الطبعة العربية من مجلة Impact ع ٣ م ٥١ يونيو ١٩٧١ .

- (١٩) ابراهيم امام ، دراسات في الفن الصحفي (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠) ، ص ٧ .
- (٢٠) Jean Tardieu, op. cit., p. 19
- (٢١) أنور المشري : «البرامج الاذاعية واخراجها» في فن الاذاعة (سرس الليان ، مركز تنمية المجتمع : ١٩٦٢) ، ص ٤٦
- (٢٢) D. M. White, Mass communications, Research: A View in perspective in, Dexter and White, (eds)., people society and Mass Communication, cglencoe, Illinois, 1964) pp. 521-546
- (٢٣) W. Albigh, Modern public opinion, (N. Y. Me Graw-Hill Booke Company, (1956), pp. 34-65
- (٢٤) الدكتور عاطف وصفي : الثقافة والشخصية (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٤) ص ٦٨ .
- Tylore E. Primitine (London, John Muray) 1913J, p. 3
- (٢٥) الدكتور طه حسين : «ثقافة . . . ومتقفون» جريدة الجمهورية، في ٩ ديسمبر ١٩٦١ .
- (٢٦) محمد مندور : المرجع السابق ، ص ٢٧ .
- (٢٧) في مجلة الكاتب ع ٢٥ م ٣ في ابريل ١٩٦٣ (رحلة مع السندباد المعصري) .
- (٢٨) عبد الحميد شكرى : «مفهوم البرنامج الخاص في الفن الاذاعي» ع ٤ م ١٢ يناير ١٩٦٨ -
- (٢٩) محمد غنيمي هلال : «الثقافة واجهزتها بين الكم والكيف» - مجلة الكاتب - يناير ١٩٦٠ .

الفصل الثاني

المعايير الإذاعية للبرامج الثقافية

حين نتحدث عن معايير البرامج الثقافية ، فإننا ننطلق من اعتبار هذه البرامج مشروعا ثقافيا متداخلا ، يجب أن يتم بطريقة تكفل السيطرة على عناصره الأساسية ، وهى العناصر التى نحاول تقويم البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب على أساسها :

- ١ — تخطيط البرامج الثقافية .
- ٢ — إنتاج البرامج وما تتطلبه من مواد مساعدة .
- ٣ — استخدام هذه البرامج .
- ٤ — المتابعة والتقويم .

أولا : تحديد الاهداف ومشكلات التخطيط :

تتناول البرامج الثقافية فى مضمونها ألوان الثقافة المختلفة من آداب وفنون وعلوم ، سواء كان ذلك مباشرة عن طريق تعريف المستمع بأحدث الأعمال الأدبية والكتب وإعداد عرض سريع لها وبإقامة الندوات الأدبية والفنية أو بطريقة غير مباشرة بتضمين هذه الأعمال فى قالب درامى أو نصف درامى .

والحقيقة أنه من غير المجدى أن نصف أى برنامج إذاعى بأنه برنامج ثقافى أو غير ثقافى على أساس الشكل الذى يقدم به هذا البرنامج أو ذاك والخط الفاصل هنا يجب أن يكون على أساس المضمون والهدف والاثـر الذى يحدثه البرنامج وكل برنامج يمكن أن يعتبر ثقافيا إذا كان هدفه الأول هو توسيع الآفاق وتعميق الفهم ورفع المستوى التذوقى ، مهما كان شكل هذا البرنامج وطالما أنه بعيد عن الدعاية الرخيصة أو الإعلان البغيض^(١) .

مشكلات التخطيط :

إن تحديد الهدف فى تنفيذ خطة متكاملة يجب أن يرتكز على معرفة عميقة باحتمالات وحدود الوسيلة المستخدمة ، فكل وسيلة من وسائل الاتصال لها ميزات تساعد على الإسهام بذاتها . وإذا ما استخدمت الوسائل معا وفى وقت واحد فإنها تشد بعضها البعض وتمهد السبيل لثقافة حية يمكن أن تحتوى على العديد من القواعد العريضة لمهام الثقافة ، ولكن على الرغم من ذلك فإنه يجب ألا تفرض وسائل الإعلام ذاتها أهدافا ثقافية معينة بل على العكس فإن الأهداف هى التى تفرض نفسها على الوسيلة ، بل وعلى الطريقة وعلى السبل الفنية والاتجاهات التى تسهم فى علاج أية مشكلة ثقافية ما ، بمعنى أن الأهداف هى التى تحدد المهام وهى التى تحدد الوسيلة بوصفها أحد مكونات المضمون الثقافى .

١ — وتحديد الأهداف يجب أن يقوم على معرفة تامة بالـأحوال الفنية التى تعمل فى ظلها الوسيلة ، ولذا فإنه قبل البدء فى تخطيط أى برنامج ثقافى مهما كان نوعه يجب أن يتم مسح شامل لدى الرقعة التى تغطيها الوسيلة ولقوة الهوائيات فى بعض المناطق المعنية وفى أوقات معينة ومدى جودة الاستقبال على مدى ساعات الليل والنهار وأصول الصيانة وغيرها من المشاكل الفنية ، وبعض البرامج التى خططت دون دراسة مسبقة لكل هذه العوامل باعث بالفشل الذريع^(٢) .

وحين ننظر فى البرنامج العام الذى أنشئ فى ٣١ مايو ١٩٧٤ سنجد أن عدد ساعات إرساله اليومى عند الإنشاء كان ١١ ساعة فقط بلغت ١١ ق ٢٠ فى عام ١٩٧٢ أما صوت العرب الذى أنشئ فى ٤ يوليو ١٩٥٣ بإرسال لا يتجاوز نصف الساعة يوميا فقط فقد زاد إرساله إلى ٢١ ساعة ونصف فى عام ١٩٧٢ . ومن الواضح أيضا أنه ينبغى أن يكون هناك بناء واضح المعالم للنواحي المالية والموارد البشرية والتنظيمات التى تساعد على نشر الثقافة .

٢ — ويأتى بعد ذلك تخطيط منهج مضمون البرامج ، وذلك عن طريق تكوين لجان مؤلفة من إخصائيين في الثقافة وفي وسائل الاتصال ، حتى يمكن الاتفاق على الأولويات وكيفية معالجتها .

وتخطيط مضمون البرنامج لا يمكن فصله هو الآخر عن الخطة الثقافية للبرامج ككل ، فالبرنامج لابد أن يأخذ في اعتباره موقف المذيعين مثلا والمادة الثقافية ، وأى العناصر يستحسن أن تقدم عن طريق الإذاعة لذلك يبدو عمل اللجان المتخصصة على درجة كبيرة من الأهمية في نجاح البرنامج الثقافى الإذاعى . ففى استطاعة هذه اللجان استنباط طرق حديثة واتجاهات علمية جديدة في نشر الثقافة^(٣) .

ومن الأفضل ان ترسم خطوات البرنامج ، ويبدأ في تنفيذها على مراحل وعلى خطوات واعتبارا من رقعة الارسل الى عدد البرامج الى الموضوعات التى ستعالج ثم إلى عدد أجهزة الاستقبال ، وأخيرا إلى عدد الجمهور المستهدف .

٣ — وتأسيسا على هذا الفهم ، فإننا نحاول فيما يلى تصور الدور الذى يمكن أن تقوم به البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب ، وهو الدور الذى نرجو أن تكون له شخصية متميزة ومتكاملة فى الإذاعتين موضع المقارنة والدراسة ، أو ما نعنيه بالوحدة والتنوع ، ذلك أن تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية يشير إلى أن التيار الثقافى العام . إنما هو تأليف لمختلف الثقافات المحلية المتميزة التى تعايشت وتعاقبت فى المكان والزمان وتفاعلت وغذى بعضها بعضا ، فانسجمت آخر الأمر وأصبحت إحدى دعائم الفكر العربى الإسلامى فى « جوهره وشتى مظاهره وجوانبه المتطورة المتجددة »^(٤) .

وفى هذا المعنى يؤكد ت . س إليوت « القيمة المطلقة — فى مجال الثقافة ، هى أن كل منطقة ينبغى أن تكون لها ثقافتها المميزة التى ينبغى أيضا أن تنسجم مع ثقافات المناطق المجاورة وتثريها . وأن الثقافة القومية حصيلة عدد غير محدود من الثقافات المحلية التى لوحلت هى نفسها لتبين أنها مكونة من ثقافات محلية أصغر » .

فالتنوع بهذا المعنى هو اثرء للوحدة وتثبيت لجذورها وضمان لبقائها ، واذن فمن الواجب أن تواصل البرامج الإذاعية مع غيرها من الجهود ، الخلق والابداع والابتكار ، وأن تسعى فى الإذاعات العربية الى الصدق فى الاستلهام والتعبير والتقارب والتماثل لا التباين والتجافى ، والمساهمة فى بناء الحضارة الإنسانية والحوار الواعى البناء مع كافة البشر ، لا اجترار الماضى أو استهلاك الفكر المدخول^(٥) .

فاذا كان التنوع هو الخصوصية والطرافة — لا الاقليمية المنطوية على نفسها
أو الشعوبية الضالة — فانه يكون أكبر دعامة للوحدة الثقافية العربية الإسلامية
السليمة وخير مساهمة في تقدم الفكر الإنسانى المعاصر .

ودراسة البرامج الثقافية في اذاعتى صوت العرب والبرنامج العام تشير الى ضرورة
ضبط مظاهر الوحدة في الثقافة العربية المعاصرة المنبثقة من حضارة واحدة وهي
الحضارة العربية الإسلامية والنظر في مدى تنوع هذه الثقافة وتعدد روافدها المنصبة في
نهر الثقافة العربية المعاصرة . وبصورة اخرى محاولة تقصى الجدلية الموجودة منذ قديم
الزمن بين وحدة الثقافة أو وحدة الثقافات في البلاد العربية وتنوعها^(٦) .

ولعل في ذلك ما يشير الى الشخصية التى ينبغى أن تتميز بها كل إذاعة من الاذاعات
العربية ، فالبرنامج العام يمثل التنوع وصوت العرب يمثل الوحدة في الثقافة العربية ،
ويبين أن تتكامل الشخصيتان لتحقيق الوحدة والتنوع . على أن أحدث الدراسات التى
انتهت اليها هيئة الاذاعة المصرية في عام ١٩٧٥ للاستماع الإذاعى على مدى أسبوع
كامل ، تذهب الى نتيجة هامة حول نسبة عدد المستمعين لكل إذاعة . تقول نتيجة
الاستفتاء إن ٦٧ ٪ يستمعون الى البرنامج العام ، ثم إذاعة الشرق الاوسط ويبلغ عدد
مستمعيها ٣٢٥ ٪ ثم إذاعة صوت العرب وتبلغ نسبة مستمعيها في مصر ٢١٤ ٪ وتأتى
بعدها في الترتيب إذاعة الشعب ونسبة مستمعيها ١٠٥ ٪ اما إذاعة القرآن الكريم
فيستمع اليها ٤٥ ٪ وفى نهاية الاذاعات المصرية يأتى البرنامج الثانى حيث تصل نسبة
مستمعيه ٠٤ ٪ وفى ذلك ما يلقي تبعه أكبر على الاذاعات العامة وعلى البرامج الثقافية
الموجهة الى الجمهور العام ، وربما يرجع السبب في النسبة الاقل من المستمعين المحليين
لاذاعة صوت العرب انها موجهة الى المستمع العربى في البلاد العربية . وقد اعتمدت هذه
الدراسة على النتائج الاولى لبحث بارومتر الاستماع الذى أجرى بمدينة القاهرة وشمل
ثلاثة آلاف و ٤٩٩ مواطنا كعينة تمثل سكان العاصمة ، البالغين من العمر ١٥ سنة
فأكثر .

ويبين من هذا الاستفتاء عدم وضوح شخصية مميزة للمحطات الإذاعية الأخرى
باستثناء البرنامج العام ... سببها أن الجمهور الكبير الذى اعتاد الاستماع للبرنامج
العام لسنوات طويلة بوصفه اقدم المحطات ، لم يجد في أكثر الاذاعات المحلية الأخرى غير
صورة لما تعود الاستماع إليه من البرنامج العام ، فأثر البقاء مع الاصل . يقول رئيس
الاذاعة انها تحاول تحديد شخصية كل محطة في ضوء اهدافها والغرض من انشائها من
خلال ساعات ارسال البرامج المتشابهة من المحطات المختلفة مع حصر الفقرات المكررة ،
وتلك التى لا تلقى الاستجابة المناسبة ، والغائيا أو تقويتها^(٧)

وقد أثار البحث أيضا موضوع العلاقة بين المحطات الإذاعية : هل تتنافس على المستمع ، أم تتكامل فيما بينها ؟ .

ولهذا فإن الإذاعة قررت أن تضع نظاماً أكثر احكاماً للتنسيق بين المحطات الإذاعية بحيث تمنع التكرار والتضارب في مختلف صورهما ، وبحيث لا يقتصر الأمر على عدم التوافق الزمني ، بل يمتد إلى منع تقديم الفكرة الواحدة في أكثر من برنامج واحد مهما اختلفت أسماء البرامج . بل اننا نتطلع الى امتداد هذا التنسيق ليكون أيضا بين الإذاعة والتلفزيون ، بحيث يقدم كل منهما ما يتلاءم مع امكاناته وخصائصه وبغير تعارض زمني أيضا .

كذلك كشف الاستفتاء أيضا أن التلفزيون قد أثر على الاستماع الى البرامج المسائية التي تقدمها الإذاعة ولهذا قررت الإذاعة مضاعفة الجهود لعرض برامج إذاعية تنسم بالابتكار والتجديد والتشويق ، وتتفهم بالحقائق العلمية حاجات المستمع ، وتطلعاته ، وبهذا تختلط المحطات الإذاعية بجماهيرها . ويمكن أيضا الاستفادة في تخطيط البرامج بمراعاة اقبال المستمعين على الفقرات القصيرة التي لا تتجاوز خمس الدقائق تمشيًا مع الإيقاع السريع للعصر . وايضا استثمار البرامج الترفيهية والدرامية في تحقيق اهداف قومية وثقافية بأساليب مبتكرة تتفهم سيكولوجية الجماهير وحاجاتها المتغيرة .

هذا الفهم ، من شأنه أن يعطى للبرامج الثقافية في اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، بخاصة ، معنى أرحب وأفقا أشمل ، ودورا أخطر بكثير في تحقيق الوحدة والتنوع في الثقافة العربية ، وليس وجه الصعوبة هنا ما تعرفه من تداخل ما هو قومي مع ما هو محلي ، وما هو عربي مع ما هو إقليمي على صعيد الثقافة العربية بحيث تصبح التفرقة بينهما في كثير من الاحيان عسيرة أو مصطنعة ، لكن الصعوبة — كما يقول الأستاذ فاروق شوشة — تكمن في أن الوجدان الثقافي العام للمستمع الذي تتجه اليه النصوص والبرامج الثقافية والإذاعية — وجدان يلتحم فيه القومي بالمحلي .. ومن خلال هذا الالتحام الذي أكدته الموروث الثقافي المستمر ، والدين واللغة الأم في صراعها المستمر مع اللهجات المحلية وهو موضوع يتخذ بعدا خاصا من خلال أجهزة وسائل الاتصال بالجماهير وفي مقدمتها الإذاعة يصبح التحديد القاطع للمفاهيم والاتجاهات والسمات أمرا قد يتضمن بعض الخطر والمجازفة ، كما قد تصبح التفرقة بين ما هو مصري وما هو عربي — على سبيل المثال — تفرقة تتطلب بحثا حضاريا متكامل العدة والوسيلة وهو أمر لم تتح دراسته حتى الآن (٨) .

ثانيا : الدور الوظيفي للبرامج الثقافية :

وعندما وضع علماء الأنثروبولوجيا تعريفهم الواسع الشامل لكلمة ثقافة اتجهوا الى ان الثقافة بهذا المفهوم كانت وما زالت تؤدي وظيفة في حياة المجتمعات الإنسانية ... ولذلك فان دراستهم لأنماط السلوك في التجمعات الانسانية والعادات والاتجاهات الفكرية تطورها جميعا هي من بين المؤثرات التي يعتمدون عليها في تحديد مسار التطور الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع الانسانى بعد أن ثبت لهم أن أنماط السلوك والاتجاهات الفكرية والعاطفية المختلفة وما قام حولها من أنظمة إنما كانت تلعب دورا محددًا في مسار المجتمع وتثبيت أنشطته الاجتماعية والاقتصادية .. وقد سميت هذه النظرية الأنثروبولوجية الوظيفية ، وهذا هو الشأن ايضا في النظر الى الثقافة بمعناها المعاصر فقد كاد يستقر الرأى على أن الثقافة بالرغم من انها تعبير عن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة الا انها ليست تعبيرًا او انعكاسًا آليًا مباشرًا كانعكاس صورة الشئ في المرآة ، اذ يدخل في تشكيل الثقافة عامل الارادة الشخصية والخلق ، فالثقافة هي تعبير عن الواقع الا انها ايضا وسيلة فعالة لتغييره^(٩) .

وقد وضع هذا المعنى في التقرير النهائى الخاص بندوة « السياسة الثقافية » التى عقدتها المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم فى موناكو (١٨ — ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧) وحدد السياسة الثقافية بأنها « مجموع النشاط الواعى الذى يهدف الى مواجهة الاحتياجات الثقافية واستغلال المصادر البشرية والطبيعية المتاحة فى المجتمع الى اقصى حد ممكن كما اكد التقرير فى أكثر من موضع ضرورة ربط السياسات الثقافية بالتطور الاقتصادى والاجتماعى ١٠ »

ونحن اذا نظرنا الى البرامج التى تقدمها الاذاعة لوجدنا أنها تعكس طريقة الحياة بعامة فى مجتمعاتنا العربية بما تتضمن من انماط السلوك والحرف والمباريات ، الى جانب ما تقدم من الوان التعبير العقلى والفنى ... الامر الذى يجعل الثقافة بمفهومها الأنثروبولوجى الشامل غير بعيد ، عن اطار هذا البحث ولعل هذا المفهوم ايضا أن يكون هو الدافع الى بعض المقترحات التى سنوردها عند التعرض لدور الاذاعة فى خلق ثقافة عربية وظيفية متوازنة بين الوحدة والتنوع ، واذا كانت الوظيفة التثقيفية قد تحددت على نحو ايجابى ، فان وظائف الاذاعة يمكن أن تحدث آثارا عكسية ، تتناقض مع الاهداف المنشودة أو الآمال المرجوة . فليس من الضرورى ان تتطابق الاهداف مع النتائج^(١٠) ولقد أصبح من السهل تواتر الانتقال السريع للاشكال الثقافية المادية واللامادية من جماعة الى أخرى ، ومن طبقة الى أخرى ومن اطار ثقافى الى اطار آخر وذلك بفضل

الاتصال السهل والانتقال الميسر^(١١) . ويرى البج Aibig أن فقدان الاتصالات السهلة هو السبب في استمرار بعض المجتمعات دون تغير كبير أو في حالة استاتيكية ، كما يرى أيضا أن الاتجاهات الفردية والعوامل السيكولوجية التي تشجع التغير السريع هي — في حد ذاتها — نتاج للموقف الثقافي الذي شكلها بهذه الصورة^(١٢) . ومن الشائع في التراث الاجتماعي والانثروبولوجي أن الثقافة المادية أكثر قابلية للانتشار من الثقافة غير المادية إلا أن هذه القضية التقليدية أصبحت في حاجة إلى مراجعة وإعادة نظر في ضوء دور وظائف الاتصال الجماهيري^(١٣)

أنه

وهناك نموذج من نماذج التحليل الوظيفي — يعتقد تشارتس رايت ، أنه يمثل أملا كبيرا أمام نمو وتطور نظرية وظيفة في الاتصال الجماهيري تهتم بدراسة نتائج أو تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيري على المجتمع والفرد والنظم الثقافية^(١٤) .

وقد اضاف رايت الى نموذج هارولد لازويل الذي يقول إن دراسة الاتصال الجماهيري تهتم بدراسة من — يقول ماذا — لمن — كيف وبأى تأثير — اضاف معانى ومفاهيم جديدة حيث يشير بأن هناك مهام ظاهرة (ومقصودة) ومهام خفية (غير مقصودة) لكل مادة اعلامية يتم نقلها بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرية ، وأن أى اتصال له فوائد ايجابية ونتائج سلبية على النظام الاجتماعى الذى يحدث فى اطاره ، وعلى الجماعات ، وعلى الافراد وعلى النظم الثقافية^(١٥) .

ويطرح الباحث الأمريكى رايت السؤال الاساسى عن نتائج وتأثيرات وسائل الاعلام بهذا الشكل : « ماهى المهام الظاهرة أو « الكامنة » للأخبار والافتتاحيات أو المقالات ، والثقافة ، والتسلية — التى يتم نقلها بوسائل الإعلام على المجتمع والجماعات الفرعية والافراد والنظم الثقافية ؟ ومن ذلك — بالنسبة للنظام الثقافى^(١٦) أن الاخبار التى تنقل بوسائل الاتصال الجماهيري تؤثر على الثقافة ذاتها فالمعلومات التى تنقلها وسائل الاتصال عن الثقافات الأخرى قد تجعل ثقافة المجتمع أكثر ثراء وتنوعا ، بالإضافة الى أن الثقافة يحتمل ان تنمو وتتكيف نتيجة لهذا الاتصال . أما النتائج غير المرغوبة فهى أن الاخبار التى تنشر عن الجماعات الأخرى التى لا تخضع للسيطرة والرقابة قد تؤدي الى غزو ثقافى وتعمل على اضعاف الثقافة المضيفة .

أما نقل التراث الثقافى بواسطة الاتصال الجماهيري^(١٧) ، فهو يزيد التشابه أو التماثل ويحافظ على الاجماع الثقافى أو يبقى عليه ، كمهام مطلوبة (ظاهرة وكامنة) ، ولكنه يقلل من تنوع الثقافات الفرعية كمهام غير مطلوبة (ظاهرة وكامنة) وهذا ما نعيه بالوحدة والتنوع فى البرامج الثقافية الامر الذى ينبغى دراسته لتلافي ضعف النواحي

الجمالية وإتاحة الفرصة للتنوع ، ولتقديم مضمون يتسم بالذوق الرفيع ، ونعنى المضمون الذى يشعر نقاد وسائل الاعلام انه افضل من ناحية الذوق^(١٨) .

ثالثاً- تكامل العناصر القومية والمحلية فى الثقافة :

ولقد كان موضوع الوحدة والتنوع فى مجال الثقافة ، موضع اهتمام كثير من المفكرين على المستوى العالمى .. ولعل من أهم ما ظهر فيها من افكار ، ما كتبه إليوت تحت عنوان « الوحدة والتنوع بالنسبة للإقليم فى كتابه ملاحظات نحو تعريف الثقافة : « فلكى تزدهر ثقافة شعب ما ينبغى ألا يكون شديد الاتحاد ولا شديد الانقسام فكلا النقيضين يعوق افراد النمو فى الثقافة ، والوحدة المقصودة فى هذا المجال يجب ان تكون وحدة لا شعورية الى حد كبير . فمن المهم ان يشعر الانسان بأنه مواطن فى امة معينة فحسب ، بل مواطن فى جزء معين من بلاده وله ولاء محلى ، وهذا الولاء ينشأ من الولاء للأسرة . وان القيمة المطلقة فى مجال الثقافة هى بأن كل منطقة ينبغى ان تكون لها ثقافتها المميزة التى ينبغى ايضا ان تنسجم مع ثقافات المناطق المجاورة وتثريها ، وان الثقافة القومية محصلة عدد غير محدود من الثقافات المحلية التى لو حلت هى نفسها لوجدنا انها مكونة من ثقافات محلية اصغر » .

ولعل تاريخ الحضارة الاسلامية والحضارة العربية ان يعطينا مثالا نموذجيا على استفادة التيار الثقافى العام من روافد الثقافات المحلية المتنوعة والمتعددة التى تغذيه وتلتئم معه فى انسجام يثريهما معا^(١٩) .

والسؤال الآن حول الدور الذى يمكن ان تقوم به اذاعة جمهورية مصر العربية بمحطاتها المختلفة ومن بينها البرنامج العام وصوت العرب بخاصة ، فى إثراء الثقافة العربية المتوازنة .

وللإجابة على هذا السؤال المحورى ، نقول إن بعض محطات الاذاعة المصرية تطلق على بعض قطاعات برامجها — كما تقدم — عبارة « البرامج الثقافية » وتعنى بها مجموعة البرامج التى تتعرض بشكل مباشر للأنشطة المتصلة بالادب والنقد الادبى والدراسات الادبية والفنون والمسرح والعلوم والدراسات الانسانية وما الى ذلك . وتقسيم البرامج إلى برامج اخبارية وبرامج ثقافية وبرامج ترفيهية او فنية وبرامج تعليمية وبرامج طوائف الخ ، من الوحدات البرنامجية انما هو تقسيم اصطلاحى بحث مقصود به فى الدرجة الاولى تيسير عمليات الادارة وارتفاع بالمستوى .. الحرقى .. للإنتاج وليس المقصود به تعريف طبيعة البرامج وتحديد نوعية جمهورها وما تخلقه فيه من أثر^(٢٠) . والواقع ان كل برامج الاذاعة يمكن ان يكون لها اثر فى التكوين الثقافى للفرد والمجموع سواء كانت برامج للطوائف او برامج سينمائية او اخبارا او برامج متصلة بالاحداث

الجارية أو سواء كانت تمثيلات أو برامج توجيهية تنشر مجرد التسلية ، بل إن مثل هذه البرامج خليقة بأن تترك أثرها الثقافى فى الفرد والمجموع — بطريق غير مباشر وبأكثر ماتفعله البرامج والدراسات والندوات الجادة المتصلة اتصالا مباشرا بالأدب والفن أو العلم .

والأثر الثقافى الذى تتركه هذه البرامج قد يكون اثرا مباشرا أو غير مباشر أو بمعنى آخر قد يكون عاجلا ، أو يظهر على المدى الطويل دون وعى من*المستقبل^(٢١) . وقد يتصل الاثر بمجرد اضافة معلومات أو خلق اتجاه جديد ، أو اضعاف اتجاه قديم .. أو المعاونة على خلق وجهة نظر محددة جديدة . أو متحولة من وجهة نظر أخرى ، وقد يكون فى خلق قيمة جديدة أو تدعيمها أو الاضعاف من قيمة قديمة أو التحول عنها .. وقد يتمثل الاثر فى تعديل سلوك قائم أو العدول عنه .. إلى سلوك جديد .. وهذا كله هو ما يعرف باتجاهات التأثير . وينبغى ألا ننسى فى هذا المجال نظرية التأثير الوظيفى .. أى الذى يأخذ الظروف الأخرى فى الاعتبار « أو كما يسميها البعض نظرية « التأثير الذى يهتم بالظواهر الأخرى^(٢٢) » .

١ — الفصحى واللهجات العامية :

ولقد مرت نظرتنا الى قضية اللغة بمزالق قومية خطيرة ، كان ابرزها الدعوة العنيفة التى تدعو إلى التمسك بالفصحى وحدها لغة للتعبير والحياة باعتبارها لغة القرآن ولغة التراث واللسان الذى يربط بين ابناء الوطن العربى الواحد والذى بدونه لا يكون تفاهم ولا تواصل ، وارتبطت هذه الدعوة بالهجوم العنيف على العاميات أو اللهجات المحلية والقطرية باعتبارها غير جديرة بالتعبير والحياة والاستمرار وعلى اساس أن التعصب لهذه العاميات يخفى موقفا على القومية العربية وترديداً لدعوات الانفصال والعزلة^(٢٣) .

على أن مشكلة العامية والفصحى قد خفت تماما بفضل الاذاعة واصبح الانسان يستطيع أن يستشرف المستقبل ، ويعرف أن حركة التطور اللغوى فى العالم العربى تختلف عما كانت ايام القوميات فى أوربا ، ذلك لأن اللغة الفصحى ، بانتشار التعليم ، تلتقى باللهجات المحلية ، كما ان اصطناع الاذاعة للغة الفصحى لتكون عروة وثقى بين الاقطار العربية كلها ، يجعل التطور امرا محتوما ، واضح الغاية وعلى هذا الاساس سنجد أن تقاربا تحدثه الاذاعة بالفعل شئنا أو لم نشأ ، بين اللهجات التى نسميها بالعامية تجاوزا ، وبين اللهجة الفصحى ، فتصبح بذلك الفصحى أكثر مرونة مما كانت وتتخلص من كثير من الظواهر التى لصقت بها من طريق التدوين وعن طريق التعقيد . وسنجد أن الفصحى تلتقى بالعامية . ومن الدراسات النوعية فى الاستماع الاذاعى ، ودراسة هيئة الاذاعة عن « الاستماع الاذاعى بين العمال الصناعيين » نجد ان حجم

الاستماع للبرامج الثقافية يشير الى أن الغالبية العظمى (٩٠ر٩ ٪) قررت انها تستمع اليها ولم يقل غير ذلك الا ٩ر١ ٪ من المجيبين على هذا السؤال ويشير البحث الى أن ٤٦ر٥ ٪ منهم يستمعون الى هذا اللون من البرامج بصفة منتظمة ، واستنادا الى ذلك يمكن القول بأن النسبة الحقيقية لمن يستمع اليها بصفة منتظمة في المجتمع العمالي الذي سحبت منه العينة تنحصر بين ٤٢ر٤ ٪ ، ٤٨ر٨ ٪ من هذا المجتمع وذلك بمستوى ثقة

٠ر٥

وقد يرجع ذلك الى أن بعض البرامج تتضمن احاديث دينية وتفسيرات للقرآن الكريم وسيرة الرسول ، وقد وضع من هذا البحث الاتجاه الديني لهذا المجتمع ، وقد يكون السبب ايضا ذلك الاتجاه العام السائد الآن في جميع القطاعات تقريبا والذي يتميز بالإقبال على متابعة الاحداث من خلال التعليقات السياسية وهي ايضا مواد كلامية .

ويشير هذا البحث الى العلاقة بين السن والاستماع الى البرامج الثقافية ، ويذهب الى أن كبار السن كانوا أكثر استماعا الى هذا اللون من البرامج . كما يشير الى العلاقة بين المستوى التعليمي والاستماع الى هذه البرامج ، وبين أن الذين يقرءون ويكتبون والحاصلين على مؤهلات أقل من المتوسطة ، ترتفع بينهم نسبة الاستماع إلى الاحاديث والندوات إلى نحو ٩٢ ٪ من جملتهم في حين تقل النسبة إلى حوالي ٨٧ ٪ في طرفي المدرج الأدنى والأعلى ، أي بين الأميين وذوى المؤهلات المتوسطة ، ونلاحظ نفس الظاهرة إذا أخذنا في الاعتبار فقط الاستماع المنتظم إلى هذه البرامج .

ب - البرامج والمضمون الثقافي :

ويبين من تأمل نصوص الاذاعة وموادها الثقافية أنه لا خلاف على التراث الثقافي العربي كركيزة أساسية ومنطلق رئيسي في تشكيل الوجدان الثقافي العام للمستمع ، بل ولا صعوبة في العثور على هذا التراث والاهتداء إليه في مظانه ومصادره المختلفة ، وبالتالي فإن تناول هذا التراث داخل مواد الإذاعة وبرامجها الثقافية أمر ميسور غير مختلف عليه (كما هو الحال في البرامج الثقافية والأدبية والخاصة التي تعرض لشخصيات وأعلام التراث العربي . شعراء وأدباء ومفكرين ومصلحين وبرامج المختارات الشعرية والكتابات الأدبية والمواقف الحضارية واللمحات التاريخية الدالة ... الخ) . لكن المشكلة الحقيقية هي في تناولنا الثقافي العربي المعاصر - على مستوى الوطن العربي - ومدى الافادة منه (٢٤) .

« وهنا ، لابد من الإشارة الصريحة الى طغيان العنصر الاعلامي المباشر الوثيق الصلة بالحياة السياسية اليومية على غيره من مكونات الحياة العربية المعاصرة ، وتحكم هذا العنصر في مدى الانفتاح أو الانغلاق على الحياة الثقافية في قطر عربي دون آخر ، وإلى

تعذر وسائل المتابعة والاتصال بالنسبة للانتاج الثقافى فى كثير من اقطار الوطن العربى - نتيجة لصعوبات النشر والتوزيع والقيود المفروضة على الكتاب والمجلة والصحيفة - مما ادى الى استئثار بعض العواصم العربية بالواجهة الثقافية لكل الوطن العربى (على سبيل المثال : القاهرة وبيروت) بينما بقيت فى الظل عواصم عربية اخرى لم يتم التعرف على وجوه حياتها الثقافية المعاصرة بصورة كاملة ، فى احسن الفروض ولم يتم التعرف عليها أصلاً فى الاغلب الاعم (٢٥) .

« بالإضافة إلى هذه الملاحظة ، ملاحظة أخرى لا تقل عنها أهمية وهى خاصة بانفتاح العواصم الثقافية العربية على الثقافات العالمية المعاصرة وخضوع هذا الانفتاح فى كثير من الاحيان لظروف التأثير السياسى والإعلامى - سلبا وإيجابا - دون أن تتحقق له متطلباته الصحية المتمثلة فى فتح جميع النوافذ ، والاتساع لكافة الثقافات ، معامما ادى الى ردود فعل متضاربة إزاء بعض المفاهيم والتيارات الاساسية فى الثقافات ... المعاصرة رفضا وقبولا - وإلى اختلاف فى المواقف من حيث النظرة العربية القومية إلى هذه المفاهيم والتيارات (على سبيل المثال لا الحصر : الفكر الماركسى والاشتراكى والوجودى ، تيارات العبث واللامعقول وفكر العنف والغضب ، الفكر الثورى بوجه عام ..) .

ومن هنا ، فإن النظرة إلى نصوص الاذاعة وموادها الثقافية لم يعد ينبغى حصرها فى إطار قومية الثقافة ومحليتها فقط ، وإنما ايضا فى إطار قومية الثقافة ومحليتها وعالميتها (٢٦) .

ملاحظة ثالثة ، يكشف عنها تأمل نصوص الاذاعة وموادها الثقافية - فى اطارها العام - هى أنه ليس هناك تصادم بالضرورة بين ما هو قومى وما هو إقليمى ، بين ما هو عربى وما هو محلى ، لكن المشكلة هى دائما فى المنهج الذى يتناول هذا وذاك والرؤية التى بها نستطيع ان نضع كلا منهما فى مكانه الصحيح من الخارطة الثقافية للانسان العربى المعاصر بحيث يتم التركيز على الاصيل والجوهرى ويصبح كل ما هو اقليمى ومحلى وعابر زيادة فى الغنى والثراء والتنوع فى الاشكال والالوان والظلال والسمات ، بهذا وحده يتحقق التكامل والتنوع (على سبيل المثال : التناول الاذاعى لموضوع أدبى كأحمد شوقى شاعر العصر الحديث ، من الممكن أن يصبح تناولا اقليميا محليا ، ومن الممكن أن يصبح تناولا قوميا عربيا ، فالعبرة هنا بمنهج الرؤية وأسلوب التناول) .. (٢٧) .

على صعيد التطبيق :

تحرص خطة هذه الدراسة على أن تقدم بحثا إحصائيا ميدانيا من واقع النصوص والمواد الثقافية الإذاعية ، ولذلك كان اهتمامها الاول والرئيسى أن نشير إلى ابرز الظواهر

والاتجاهات الموجودة فعلا ، ذلك أن تأمل هذا الواقع يكشف عن بعض الاتجاهات العامة ويمهد لبعض التوصيات التى يمكن أن تكون مجال مناقشة^(٢٨) :

أ (يمثل البرنامج الثانى لاذاعة القاهرة ذورة الاهتمام الثقافى المتخصص لدى الاذاعة والموجه أساسا لمستعملى الثقافة الرفيعة ، والطابع العام لما يقدمه البرنامج الثانى يتمثل أولا فى أنه يعكس أول ما يعكس الثقافة العالمية المعاصرة (الدراما العالمية - البرامج الخاصة التى تتناول موضوعات وتيارات وأعلاما من المعاصرين - المترجمات الحديثة فى القصة والشعر والادب بوجه عام) ..

تأتى بعد ذلك من حيث النسبة العددية لساعات الارسلان ما يخصه البرنامج الثانى من حيز للثقافة المحلية ، شعرا ونثرا ، قصة وحديثا ؛ بالإضافة إلى بعض البرامج العلمية والادبية والخاصة ..

وفى المرتبة الثالثة ، يجىء ما يخصه البرنامج الثانى للثقافة العربية ممثلة فى برامج خاصة تتناول موضوعات من التراث (شخصيات ادبية وفكرية وعلمية) .. وهكذا تتضاعل المساحة المخصصة للثقافة القومية وتنكمش ، لتأتى قبلها فى الاهمية والمساحة الزمنية المعطاة : الثقافة العالمية ثم الثقافة المحلية .

ب (اذا نظرنا إلى اذاعة اخرى هى « اذاعة صوت العرب » ، وهى كما يفهم من اسمها اذاعة قومية بالدرجة الاولى ، سنجد أن هذا الطابع القومى يصدق أكثر ما يصدق على موادها ونصوصها السياسية أكثر من انطباقه على نصوصها وموادها الثقافية التى تظل فى كثير منها خاضعة للإمكانات ومتطلبات الثقافة المحلية ، خاصة ما يتصل منها بالآداب والفنون ، فضلا عن الصعوبات التى سبق الحديث عنها والتى تتصل بالعزلة الثقافية بين كثير من اقطار الوطن العربى الواحد ، وانعدام القدرة والوسيلة على التواصل والتعرف على ملامح الحياة الثقافية المعاصرة فيها (على سبيل المثال : اين هى الصورة المكتملة لدينا عن واقع الحياة الثقافية فى السعودية أو فى اليمن أو فى السودان ؟ وما هو الدور الذى تقوم به النصوص والمواد الثقافية الاذاعية بالنسبة لحركة التعريف فى المغرب أو فى الجزائر وهى حركة عربية قومية فى المحل الاول ؟ وإلى أى حد تعكس برامجنا الثقافية الاذاعية النشاط العلمى العربى الموحد لعدد من الجامعات العلمية المتماثلة فى دمشق وبغداد والقاهرة وإلى أى حد تستطيع أن تؤدى هذه النصوص والمواد الثقافية دورا بالنسبة لتوحيد المصطلح الذى يجد سبيله إلى الثقافات الاخرى ، والذى يعبر عن حيويتها وتطلعاتها وجذورها التاريخية العميقة وخبراتها التى اكتسبتها فى مقارعة ظروف الانماط ومواجهة الاستعمار ، وليس هو التنوع المفتعل الذى يناقض الوحدة أو يخالفها أو يخرج عنها .

لذلك ينبغي أن تفرق الاذاعة بين اتجاهين في التنوع :

التنوع الداخلى والطبيعى الذى يكسب الوحدة دعما واثراء ، والتنوع المفروض والمفتعل الذى يهدف إلى تقويض الوحدة الثقافية ويعوق تكاملها ، وهو الامر الذى ينبغي أن تسعى البرامج الثقافية إلى تجديد مسارها في اطاره ، بحيث تؤدي برامج صوت العرب وظيفة تتكامل مع وظيفة البرنامج العام من حيث الوحدة والتنوع .

وليس الشكل الفنى للبرامج الثقافية مجرد طلاء خارجى يضاف على المضمون الثقافى ، بل انه ليتوحد معه ، وفي هذا التوحد كل ما للبرنامج الثقافى من قوة وقيمة ، وبه يكتسب المضمون الثقافى ابعادا ، واعماقا نفسية واجتماعية جديدة تتولد عنها الآثار العميقة الخصبة الانسانية .

وكما أن مأتى الخطر على الثقافة الفنية التى تتمثل فى الادب وما يتصل به من فنون - هو فى أن نهبط بمستواها الفنى نشدانا لانتشارها ، كذلك يكون مأتى الخطر على الثقافة الفكرية فى نشدان التيسير باسم التبسيط المفهوم خطأ ، وتعللا بالكم أيضا فى البرامج الثقافية ، مما يؤدي إلى تعجلها باذاعة القشور ، وتشجيع التوافه من الاعمال . ولا يخطر فى بالنا ان ننكر التبسيط فى مجال الثقافة الفكرية من خلال برامج الاذاعة ، لانه امر ضرورى ولكن التبسيط اذا اريد منه أن يؤدي رسالته قد يكون أصعب منالا من البحوث ذات المستوى الرفيع التى لا يتاح موردها لكثير من طلاب الثقافة ومع اعترافنا أن كلا من النوعين من البحوث المبسطة وغير المبسطة على جانب كبير الاهمية فى البرامج الثقافية . فاننا نشير إلى امر نعتقد انه فى ذاته واضح كل الوضوح وان عمت الغفلة عنه فى الاذاعة بصفة عامة ... ذلك أن التبسيط - كما يقول المرحوم الدكتور غنيمى هلال - ليس معناه الاقتضاب ، أو اقتطاع اجزاء من تذهب بروحه فلا يبقى منه سوى جسم هامد ، ولكن التبسيط تيسير عرض الجوهر وتسهيل ورود المسائل المعتمدة على المستمع ، والمنطقى لفهمها والاحاطة بها ، واختيار ما يعين على النفوذ إلى صميمها ، وهوفن ومقدرة لن تتاح الا للمتخصصين الامر الذى يجعلنا نوصى بأن مسئولية البرامج الثقافية فى الاذاعة يجب أن تلقى على عاتق هؤلاء المتخصصين لانه لا يصح بحال أن يلجأ فيها إلى مبتدئين أو إلى من لم يتعمق فى موضوعه فيقف فيه على كل ما يتصل بنواحيه قبل أن يمسك بالميكروفون . وهذا امر مسلم به لدى وسائل الاتصال بال جماهير التى تعنى بالتبسيط العلمى والفكرى للجمهور .

ومما يقعد باذاعتى صوت العرب والبرنامج العام عن النهوض بالثقافة فى معارضة الكم بالكيف هو الخلط الواضح بين الثقافة واجهزتها فيجب أن تطوع الاذاعة نفسها للثقافة ، ولا تطوع الثقافة للاجهزة ، ... ولاشك أن امام الادب عقبات فى هذه الناحية لما

تدلل بعد ، ذلك أن التليفزيون مثلاً يتطلب نواحي فنية جديدة يفتقر فيها عن المسرح من حيث هو ، ويفتقر بها كذلك عن دور السينما .

ولكن المسرح والسينما والتليفزيون والاذاعة ليست جميعها سوى مسالك للثقافة

رابعاً - الاذاعة والثقافة العربية المعاصرة

وتأسيساً على هذا الفهم ننظر للبرامج الثقافية في الاذاعات العربية ، على اساس من التكامل الفني بين الشكل والمضمون ، ولكننا نلاحظ من خلال الدراسة أن الجوانب والقضايا الثقافية لا تنال - حتى وقت كتابة هذا البحث - العناية الكافية في اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ولا يخصص لها الوقت الكافي ، ولا المستوى المطلوب ، وأنها في كثير من الاحيان تعرض بشكل تعليمي مباشر لا يؤدي الغرض من تقديمها في الاذاعة لإغناء الحياة الفكرية والثقافية للفرد والمجتمع . ولذلك يوصى البحث بمايلي : -

١ - زيادة الوقت المخصص في البرنامج العام وصوت العرب للبرامج الثقافية او البرامج ذات الطابع الثقافي .

٢ - العمل على رفع مستوى البرامج الثقافية من حيث الشكل والمضمون وذلك باعداد الاذاعيين المتخصصين في تقديم هذه البرامج اعداداً فنياً وثقافياً أرفع ، يتمشى مع مسئوليتهم تجاه المجتمع ، وكذلك العناية بالتخطيط للنشاط الثقافي في اذاعتى صوت العرب والبرنامج العام في اطار الوحدة والتنوع وتطبيقه تطبيقاً علمياً .

٣ - ضرورة أن يكون الهدف الرئيسى للبرامج الثقافية مؤدياً إلى تحقيق المقومات الكبرى للثقافة العربية المعاصرة وابرازها مع مراعاة : نشر الثقافة العربية عن طريق التعريف بالمعالم الثقافية الهامة في الوطن العربى وخاصة في اذاعة صوت العرب . ثم ترسيخ القيم العقلية وأساليب التفكير العلمى السليم ومحاربة الجهالات والخرافات والتخلص من العاطفية المفرطة التى تجعل الانسان العربى عاجزاً عن ملاحقة تطورات العصر ، في اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب على السواء .

٤ - استخدام البرامج الثقافية في صوت العرب والبرنامج العام بخاصة وسيلة لتحقيق هدف التثقيف مدى الحياة سواء بين أولئك الذين ضاعت منهم فرص التعليم او من نالوا بالفعل نصيباً من التعلم والثقافة .

٥ - أن تعايش البرامج الثقافية في صوت العرب والبرنامج العام التطور الذى يحدث في الحياة الثقافية بحيث لا تكون هاتان الاذاعتان في معزل عما يجرى في الحياة الفنية والثقافية من أساليب ومناهج ، وذلك بأن تتناول بالعرض والتقديم ولكن في أطار من التوازن عدة عوامل في مقدمتها :

التدقيق في اختيار الاصيل والجاد من هذه التجارب الفنية ، والمراعاة الكاملة لجمهور الاذاعة المتعدد المستويات والمختلف الاتجاهات بحيث نختر من هذه التجارب والاساليب الفنية الحديثة ما ليس مغرقا في الاغراب والتعقيد . ثم الحرص على أن يصاحب تقديم هذه الاساليب الفنية المستحدثة وعرضها تعريف واضح بها وشرح لها وللجديد فيها .

والبرامج

٦ — ان تعمل اذاعتا صوت العرب والبرنامج العام على دراسة المناهج والاساليب الحديثة في الاخراج والانتاج للاعمال والبرامج الثقافية في الراديو ، لتطوير الاساليب القديمة التي يكاد الجمهور ان يملها ، وتحقيق الاستفادة الكاملة من امكانيات الاذاعة فنيا وتكنولوجيا مما يتيح اكتشاف اللغة الفنية الخاصة بهذه الاداة الخطيرة ، على أن يكون ذلك في اطار من التدرج في هذا التطوير ، ومراعاة أن هذه البرامج تخاطب جمهورا واسعا متفاوت الثقافة .

٧ — الاستفادة من اقبال الجماهير على الدراما الاذاعية والبرامج الخاصة والترفيهية ، واثيرها لها وذلك بتضمين هذه البرامج مضامين ثقافية غير مباشرة وهو ما يساهم في تحقيق الاهداف الثقافية للمجتمع ويرفع في الوقت ذاته من مستوى هذه البرامج ويحميها من الهبوط لمستوى الابتذال والاسفاف .

٨ — وضع خطة للارتفاع التدريجي بمستوى اللهجات العامية التي تقدم بها بعض البرامج الاذاعية — في صوت العرب خاصة — بحيث تصبح الفاظ الفصحى وتعبيراتها أكثر تداولاً على الألسن تمهيدا لتعميم استعمال الفصحى في جميع برامج صوت العرب ، إذ إن هذه اللغة الفصحى هي الأساس الأول للثقافة العربية المشتركة للامة العربية ، وتعميم استعمالها يمكن الاذاعات العربية من تجاوز العوائق المحلية فيحقق لها بذلك مخاطبة جمهور اوسع ويجعل برامجها أكثر صلاحية للتبادل بين مختلف البلاد العربية .

٩ — التركيز في البرامج الثقافية في صوت العرب خاصة — على السمات والعناصر المشتركة بين الاشكال والمظاهر الثقافية المحلية وبين الثقافات المحلية الاخرى للبلاد العربية وذلك في اطار انتماء هذه الاشكال والمظاهر الثقافية الى الافق الثقافي الاشمل وهو الثقافة العربية المشتركة .

١٠ — العناية في البرامج الثقافية بصوت العرب والبرنامج العام معا بتصوير الحياة العربية الثقافية من خلال التراث العربي وتوصيلها للمستمع دون الاخلال بالحقائق التاريخية .

١١ — نقل التراث الشعبي من مصادره الاصيل ودراسته وتحليله قبل معالجته فنيا تمهيدا لعرضه وتقديمه اذاعيا للجماهير

١٢ — العناية بأهمية اتصال الفكر العربى بالثقافة العالمية فى مختلف جوانبها فى العصر الحاضر ، وينبغى على البرامج الثقافية فى صوت العرب والبرنامج العام معا أن تزود المستمع بزاد ثقافى عالمى عن طريق تقديم الأعمال الثقافية الاجنبية . ولكن تجنبنا للغزو الثقافى ينبغى على البرامج الثقافية ان تختار الأعمال العالمية التى تتناول قضايا فكرية انسانية شاملة لا تتعارض مع قضايانا الفكرية ، ولا تناقض قيمنا ، وتزيد من ثروة ثقافتنا القومية .

١٣ — والبرامج الثقافية فى مفهومها تعنى بالقيم الفنية والجمالية باعتبارها جزءا اساسيا فى البنية النفسية للإنسان وان الاذاعة المسموعة وهى تقدم أعمالها للأذن فى تناولها لمختلف الموضوعات فى البرامج الثقافية وغيرها تؤثر فى تنمية الإحساس بهذه القيم فى نفس المستمع .

ولذلك ينبغى أن تعمل البرامج فى صوت العرب والبرنامج العام على تحقيق القيم الجمالية والفنية فى مادتها المقدمة منها والمادة المنقولة اليهما من السينما والمسرح الخ ... على المستوى الذى يؤدى إلى رفع مستوى الإحساس بالجمال والتذوق للفن فى المجتمع .

هل يستطيع الراديو أن يعمل وحده ؟ الجماهيرية

كما تبين مما سبق فان وسائل الاتصال الجماهيرية وعلى رأسها الراديو تستطيع أن تقوم بدور فعال فى عملية الثقافة ، اذ باستطاعتها نشر الرسائل الثقافية التى اشتركت فى اعدادها عقول خصبه ذات خيال واسع على أكبر نطاق والى اضعف جمهور .

لهذه الاسباب نستطيع القول إن الاذاعة لها احتمالات كبيرة جدا فى نشر الثقافة ، فالعملية الثقافية لها عدة عناصر : اكتساب المهارات ، القدرة على التفكير المتزن ، والقدرة على حل المشاكل ، والقدرة على تكوين الاتجاهات والقيم والقدرة على اتخاذ القرار المناسب إلخ ، وكل هذه ليست بطبيعة الحال نتيجة لتحصيل المعلومات وحسب « فالرسالة أو المعلومة تحتل فى ذهن صاحبها مكانة تتفق وما فى هذا الذهن من تأهيل سابق وطبقا لما يوجد فى ذهنه من معلومات فانه يستقبل ويغير ويبدل فى أية معلومات جديدة يتحصل عليها فى ذهنه^(٢٩) ، وهذه الرسالة ينبغى أن يعقبها فى ذهن المستمع ما يشبه عملية وظائف الاحياء حتى تتم الثقافة وهى فى طبيعتها امر شخصى جدا^(٣٠) .

ولكن كل هذا لا يعنى انها تترك المستمع وحده أثناء تجربة الاستقبال وفى معظم الحالات نجد أنه بحاجة الى ملاحظة ومراقبة وارشاد وتوضيح لما يتلقى من معلومات ، كما أنه بحاجة الى التمرين والتحقق من النتائج التى يصل اليها . ولا يستطيع وسائل

الاتصال أن توفر له كل هذا وحدها . وحتى تدعم وتنتشر من أثر البرامج الثقافية ينبغي أن يتكامل الراديو مع الكتاب في تحقيق الثقافة العامة .

فالراديو والتلفزيون يستطيعان نشر الثقافة ولكنهما لا يحويان وسيلة يمكن بها معرفة رد الفعل الذي يسهل على المثقف معرفة الطريق الذي سلكته رسالته ومن الذي تسملها وكيف كان رد فعل هذا المستلم . والواقع أن طبيعة الاذاعة المنفردة الاتجاه لا تسهل حل المشاكل وسوء الفهم اللذين قد يحوطان عملية الارسال ، وليس هناك سبيل الى الرد على الاسئلة التي قد تدور في الاذهان قبل الاذاعة ولا يمكن للراديو أو التلفزيون أن يشرفا وينظما نشاطات المستمعين أو يتابعوا تقدمهم . ونظرا الى أن برامج الاذاعة توجه الى جمهور غفير فان السرعة التي تسير عليها العملية التثقيفية ومدى التدرج الذي قد يحدث خلالها وكمية المواد الثقافية التي يحويها البرنامج الواحد ، كل هذه لابد أن تأخذ في اعتبارها قدرات المستمع العادي وبالاختصار يمكن القول إن الاذاعة لا تستطيع أن تتولى امر الحاجات الفردية للمستمع .

خامسا : الاساليب الفنية والثقافية في انتاج البرامج :

ليس من السهل بأي حال من الاحوال أن نحدد بشكل مقنع قاطع افضلية طريق أو طرق لتقديم المادة الثقافية في الراديو . والواقع أن أثر المدى الثقافى فى أى برنامج اذاعى يتأثر بعدد من العوامل ، لا يمكن تقسيمها الى اجزاء واضحة ، كما انه ليس من السهل القول بأن المادة المعينة تفضل أو يحسن تقديمها بالطريقة المعينة . ولا ينبغي أن يؤدي نجاح طريقة أو اسلوب ما الى التصميم فى استخدام هذه الطريقة^(٣١) .

ولكن هذا بالطبع لا يعنى اننا ننفى تماما أهمية الاسلوب أو نرفض ان نناقش مشاكل التقديم والاساليب الثقافية التى ينبغى ترسمها ، فبدون قواعد وبدون مبادئ معينة أو فرض هذه القواعد وتلك المبادئ نحب أن نناقش بعض نواحي اساليب تنفيذ البرامج الثقافية^(٣٢) .

ولا نحب أن نبدا بأن نقول إن البرنامج ينبغى أن يكون جذابا فهذا امر مفروغ منه ، ولكننا نؤكد ان مفتاح هذه الجاذبية يكمن أولا وأخيرا ، فى مدى صدق ووضوح الرسالة الثقافية ، وهذا لن يتأثر الا باستخدام كل الموارد المتاحة لتقديم برنامج ثقافى جذاب صوتيا ، بغض النظر عن الاجتهاد فى النواحي الفنية . والمادة الصحيحة والمعلومة الواقعية لا يمكن ان يستبدلا بالحبال الصوتية ، والكفاءة والاخلاص لا يمكن ان يحل محلها الاجتهاد غير الكفاء^(٣٣) .

وقد يجدر بنا هنا رغها عنا ان نعنى بالتزام مبدأ هام وهو : دراسة الجمهور المستهدف وتقديره تقديرا صحيحا ، وعدم الاستهانة بذكائه او عقليته .

والدراما يمكن استخدامها فى الثقافة من خلال اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، كما يمكن الاستغناء عنها أيضا فى كلتا الاذاعتين والاشكال البرامجية غير الدرامية يمكن تصنيفها فى : الحديث الاذاعى - الحوار - المناقشة - التعليق - برامج الألغاز ، والواقع أن هذا التصنيف قد يبدو مصطنعا الى حد ما ، لان كل واحد من هذه الاشكال قد يتعدى على الشكل الآخر أو يختلط به فمثلا الحديث قد يكمله حوار أو فيلم أو مقطوعة موسيقية أو مقطوعة صوتية ايا كانت ، وكثيرا مانجد ان الشكل الدرامى والشكل غير الدرامى قد يشتركان معا فى تقديم برنامج جيد من الوجهة الثقافية .

إن إيجاد الصلة المباشرة فى البرامج الثقافية من خلال الحديث الاذاعى - كما تقدم - تقتضى استخدام طريقة مبسطة فى الالتقاء - طريقة الكلام العادى . ذلك أن الشخص الذى يتكلم وكأنه يشارك جمهوره فى مشكلة ما أفضل بالطبع ثقافيا من الذى يحاول أن يلقي عليه محاضرة أو درسا والصدق والاخلاص فى نبرات الصوت لن يتأتى الا اذا كان المتحدث فنيا وعليما بموضوع حديثه ، وله القدرة على نقل ما يعرفه ببساطة ووضوح . واختيار الكلمات البسيطة والواضحة من ضروريات مثل هذا الحديث ، فكلما كانت الرسالة مباشرة كانت درجة كفاءتها أعلى (٣٤) .

وفى الاذاعة يتحدث المتحدث اليينا عن قرب وهذا يقربه جدا من جمهوره ويجعل من السهل عليه اكتساب ثقة هذا الجمهور . ولكن هنا أيضا يكمن خطر القضاء على هذه المباشرة اذا ما استخدم المخرج موسيقى صاخبة أو لا حاجة اليها ، فتكون النتيجة بعثرة انتباه المستمع مما قد يأتى بأثر مضاد لما يراد (٣٥) .

كما أن التأثير الذى تحدثه الوسائل الاذاعية يعتمد على حد كبير على طريقة الاداء واللغة التى يستخدمها المتحدث .. وفى كل من الراديو والتلفزيون نجد أن لغة التخاطب لا لغة الكتب أو اللغة المتقنعة هى التى ينبغى أن تستخدم ومن الواضح أنه من الصعوبة بمكان أن يستوعب الشخص كلاما يسمعه من الراديو أو من متحدث فى التلفزيون لو كان هذا الكلام مؤلفا أصلا للقراءة .

والمبالغة والافتعال والتظاهر هى الاخرى من الامور التى يجب تحاشيها ، ولكن الفصاحة فى ذات الوقت يجب أن تكون من مقومات متحدث الراديو أو التلفزيون وعندما نقول الفصاحة فاننا نعنى طلاقة اللسان وجمال التعبير ولا نعنى الخطابة أو البلاغة التى

وإن الكاتب المتمرس يستطيع أن يحول المحاضرة العادية الى حديث جميل ، ولكن هذا الحديث يجب ألا يترك لمقدم البرامج بأى حال من الاحوال او لممثل في التليفزيون ، أما في الراديو فان هذا قد يكون مسموحا به ، لان — المذيعين المتمرسين قد يحسنون إلقاء الحديث بل قد يكونون في كثير من الاحوال افضل ممن كتبه من حيث الإلقاء^(٣٦) .

والحديث المباشر في حد ذاته ليس أكثر الاشكال جاذبية لتقديم البرامج مالم تكن شخصية المقدم وطريقة نقله للمعلومات ملهمة داعية للانتباه . وفي شكل البحث لا يجب أن يستخدم الحديث الا اذا لم تتوفر المادة التسجيلية الصوتية في الراديو التى تدعم موضوع البرنامج الثقافى وكثيرا ما نجد المخرجين يضيفون الى الحديث مادة لا علاقة لها على الاطلاق بموضوع الدرس تلاشيا للملل ، ولكن يجب توخى الحذر الشديد عند إدخال مادة صوتية بهدف التلوين أو التنويع ، كما يجب الحذر عند استخدام الحوار ما لم يكن الموضوع قابلا للمناقشة أو الحوار أو قابلا للتحويل الى شكل درامى تمثيلى . وهذا التلوين أو التنويع قد يمكن ايجاده اذا استعملت طريقة الرواية بصوتين .

وكثيرا ما تصادف مخرجى الاذاعة مشكلة الاشخاص الذين يدعون للاشتراك في برنامج ما . ومن الواضح ان اختيار الشخص ينبغى أن يراعى فيه أن يكون مقبولا من حيث الصوت والالقاء والقدرة على التبسيط .

وعلى أية حال ومهما كان الشكل الذى سيقع عليه الاختيار لتقديم البرنامج فإن على مخرج البرنامج الثقافى أن يستغل كل ما تقع عليه يده أو يفكر فيه ذهنه لايصال الرسالة الثقافية ، كما يجب أن يعمل على توجيه برنامجه بحيث ينسى التثقيف الذاتى .

ملخص : تحدثنا في هذا الفصل عن :

١ — تخطيط البرامج الثقافية

٢ — الدور الوظيفى للبرامج الثقافية .

٣ — تكامل العناصر القومية والمحلية فى الثقافة .

٤ — الاذاعة والثقافة العربية المعاصرة .

٥ — الاساليب الفنية والثقافية فى انتاج البرامج .

وذلك بهدف تحديد المعايير التى يقوم بها البرنامج الثقافى ، ولتكون مدخلا للباب الثانى الذى يدرس البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب ، ولتحليل المضمون فى الفصل الأخير .

ولذلك يطرح هذا الفصل سؤالا حول الوحدة والتنوع فى هذه البرامج الثقافية ، لكى تكون الاجابة عليه هى تحديد شخصية كل اذاعة من الاذاعتين موضع الدراسة .

الهوامش

سلسلة

- (١) اجناس فاينفتش : الاذاعة لتعليم الكبار - (سلسلة دراسات وبحوث اذاعية) ، (القاهرة : اتحاد إذاعات الدول العربية ، ١٩٧٢) ص ٧٥ .
- (٢) اجناس فاينفتش : المرجع السابق ص ٨٠
- (٣) نفس المرجع السابق ص ٨٠
- (٤) محمد مزالي : الثقافة العربية بين الوحدة والتنوع «مجلة الفكر تونس ع' م في ١٩٧٢ .
- (٥) نفس المرجع ، ص ١٥
- (٦) البشير بن سلامة : «حول مؤتمر الوحدة والتنوع» مجلة الفكر ، المرجع السابق ص ٦ .
- (٧) اخبار اليوم في ١٩/٧/١٩٧٥
- (٨) مجلة الفكر - تونس - مرجع سابق ٩٣ م ١٧ في ١٩٧٢ .
- (٩) سعد لبيب : «التلفزيون (نصوصه ومواد الثقافية) - مجلة الفكر مرجع سابق ص ٧٨ .
- (١٠) الدكتور ابراهيم امام : دراسات في الفن الصحفي (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية : ١٩٧٠) ، ص ٨٦ .
- (١١) الدكتور محمود عودة : وسائل الاتصال والتغير الاجتماعي (القاهرة دار المعارف) .
- (١٢) نفس المرجع ، ص ٣٥
- (١٣) نفس المرجع ، ص ٣٥
- (١٤) د . جيهان رشتي : نفس المرجع السابق ص ١٨٦ وما بعدها .
- (١٥) نفس المرجع ص ٢٠١
- (١٦) نفس المرجع ص ٢٠٨
- (١٧) نفس المرجع ، ص ٢٠٨
- (١٨) نفس المرجع ، ص ٢١٧
- (١٩) سعد لبيب : المرجع السابق ، ص ٨٠ ، ٨١
- (٢٠) نفس المرجع ص ٨٢ .
- (٢١) نفس المرجع ، ص ٨٢
- (٢٢) نفس المرجع ، ص ٨٢
- (٢٣) فاروق شوشة : نفس المرجع ص ٦٨ .

- (٢٤) فاروق شوشة : المرجع السابق ص ٧١ - ٧٢ .
- (٢٥) نفس المرجع : ص ٧١ - ٧٢ .
- (٢٦) فاروق شوشة : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢ .
- (٢٧) المرجع السابق ص ٧٢ .
- (٢٨) نفس المرجع ، ص ٧٤ .
- (٢٩) ف . س . بارليت Remembring F. C. Barlatt التذكر كان كمبردج - (انجلترا مطبعة جامعة كامبردج ١٩٣٢) -
الاذاعة لتعليم الكبار - مرجع سابق ص ٥٣ .
- (٣٠) نفس المرجع ، ص ٥٣ .
- (٣١) نفس المرجع ص ٥٣ .
- (٣٢) نفس المرجع ص ٩٧ .
- (٣٣) نفس المرجع ص ٩٧ .
- (٣٤) نفس المرجع ص ٩٩ .
- (٣٥) نفس المرجع ص ٩٩ .
- (٣٦) نفس المرجع ص ٢٠ .

الفصل الثالث

الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية البرامج الثقافية فى البرنامج العام

حاولنا فيما تقدم أن نتعرف على ماهية البرامج الثقافية ومعاييرها الموضوعية ، وفى هذا الفصل نحاول التعرف على البرامج الثقافية التى تقدمها اذاعة البرنامج العام ، ونبدأ بالتقسيم الرباعى الذى تأخذ به الاذاعة المصرية وفقا لاهدافها^(١) .

١ - البرامج الإخبارية :

وهى البرامج التى يقصد بها إعلام الشعب بحقيقة مايجرى فى جميع انحاء العالم من أحداث وقضايا واخبار دولية والتعليق على هذه الانباء بالإضافة الى التحليل والتفسير .

٢ - البرامج الترفيهية :

وهى البرامج التى تهدف الى ادخال البهجة والسرور على المستمع .

٣ - البرامج الدينية :

وهى رسالة الاذاعة الروحية لتهديب النفوس وبث القيم الاخلاقية .

٤ - البرامج الثقافية :

وهى البرامج التى تهدف الى تعبئة الضمائر بكل ما يعزز القيم الانسانية التى يقوم عليها المجتمع .

وهذا التعريف بالبرامج الثقافية ، كما تأخذ به النشرة الرسمية للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء^(٢) ، يفرق أولا بين « البرامج الثقافية » وغيرها من البرامج الاخرى : الاخبارية والترفيهية والدينية ، الامر الذى يجعلنا نذهب الى أن هذا التعريف اقرب لماهية البرامج الثقافية التى تقوم على اساس المدلول الخاص للثقافة ، على النحو المبين فى الفصل الثانى حيث تتخذ الثقافة دائرة أضيق وهى دائرة « المعارف والخبرات والمهارات التى يحصلها الافراد أو الجماعات عن غير طريق التربية أو المناهج العلمية » .

كما يشير هذا التقسيم البرامجى الى الاتفاق مع تعريف البرامج الثقافية الذى تقدم والذى يفرق بين البرامج الثقافية العامة والبرامج التى تقدم من اذاعة متخصصة كاذاعة البرنامج الثانى ، التى أنشئت الى جانب البرنامج العام الذى يوجه الى جمهور الشعب لتحقيق الفائدة للمستمع الخاص والمستمع العام .

وقد تنبعت الى هذه الحقيقة جميع الاذاعات الكبرى الاحتكارية أو التى تشرف عليها الحكومات ولا وجود لهذه المشكلة فى الدول التى تأخذ بنظام الاذاعات الخاصة المتنافسة ، فان كل فئة فيها تجد الاذاعة التى تناسب مستوياتها — فظهر البرنامج الخاص فى كل من انجلترا وفرنسا وايطاليا وغيرها^(٣) .

ولم تلبث الاذاعة المصرية أن أنشأت البرنامج الثانى فى ٥ مايو ١٩٥٧ وقصد من انشائه اكمال الخدمة الاذاعية بتقديم المواد التى لا يتيسر تقديمها فى البرنامج العام بالنظر الى القاعدة الشعبية العريضة لمستمعيه مما يمكن الاذاعة من تحقيق رغبات عدد كبير من المستمعين بتقديم ما يحتاجون اليه من مواد تثقيفية وفنية ، وكذلك خدمة الثقافة الوطنية وتعميق جذورها عن طريق ما يقدمه البرنامج من ابحاث وندوات ومما يعرض فيه من كتب ومشكلات واتاحة الفرصة أمام الجمهور للاستماع والاستفادة من ألوان الثقافة الرفيعة التى تتاح لشعوب العالم كالسرح والموسيقى .

ويشكل انشاء البرنامج الثانى تطورا هاما فى رسالة الاذاعة التثقيفية ، ذلك أن الاذاعة فى مستهل ظهورها بمصر فى صورة اذاعات أهلية متنافسة على نحو ما تقدم ، لم تكن هناك من أهداف لهذه الاذاعات غير تحقيق الربح المادى من خلال إذاعة الإعلانات التجارية ومع كل ما بذل عقب ذلك وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فان الاذاعة لم تتمكن بما أتيت لها من امكانيات وموارد — من ان تحقق كل الاهداف المتعارف عليها للاذاعات بصفة عامة وهى التثقيف والاعلام والترويج . فحتى قيام الثورة كانت تقدم برنامجين فقط ، أحدهما لخدمة المستمع المحلى لا تتجاوز مدة ارساله اليومى احدى

عشرة ساعة على فترات متقطعة كانت تبدأ من السادسة حتى العاشرة صباحا ، ثم تتوقف لتعود ثانية من الساعة الثانية عشرة حتى الثالثة بعد الظهر ومن الرابعة تستأنف الإرسال حتى ينتهى فى الحادية عشرة مساء أما البرنامج الآخر وهو « الأوربى المحلى » فلم تكن مدة إرساله تتجاوز أربع ساعات يوميا ، وكان الهدف من انشائه مجرد تقديم مواد ترفيهية للنزلاء الأجانب ، وكان حتى عام ١٩٥٢ يرسل برامجه تلك باللغتين الانجليزية والفرنسية فقط^(٥) .

أولا : تطور البرامج الثقافية وأهداف البرنامج العام :

إن كلمة إذاعة تعنى فى حد ذاتها منوالا خاصا لإيصال رسالة ما . وكل وسيلة اتصال أخرى لها ثلاثة عناصر أساسية^(٤) :

- أ — الرسالة المرسله ذاتها ومحتواها والطريقة التى ستقدم بها .
- ب — المتلقى لهذه الرسالة ومقدرته على استيعابها .
- ج — الوسيلة التى ستستخدم لإرسال هذه الرسالة .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإننا نحاول فى هذا الفصل التعرف على البرامج الثقافية فى البرنامج العام من حيث تخطيطها واختبار مادتها التى تخدم الهدف التثقيفى وذلك بتقسيم هذا المضمون الى وحدات برنامجية متتابعة تذاع خلال زمن محدد وعلى فترات معينة .

وإذا كانت البرامج الثقافية لابد أن تركز على هدف تثقيفى فإن القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٩^(٥) بشأن الإذاعة المصرية ، قد نص فى مادته الثانية على أن « هيئة الإذاعة المصرية » تتوخى فى أداء وظيفتها سياسية قومية تهدف الى تقوية الروح القومية وتعزيز التقاليد الصالحة كما نصت هذه المادة على أن الإذاعة تتوخى فى أداء وظيفتها « تثقيف الشعب »^(٦) .

ومن خلال دراسة تحليل المضمون للقوانين واللوائح الخاصة بالإذاعة المصرية ، يتضح أن البرامج الثقافية فى الأمر الإدارى رقم ٤٠ بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٢ « كانت تعنى « الاحاديث » وخصص هذا الأمر مراقبة لهذه الاحاديث وحددها بالاحاديث وركن المرأة وركن الريف وركن العمال ، والإذاعة المدرسية وركن الشباب وركن الجيش . ثم بدأت الإذاعة المصرية كغيرها من الإذاعات تدخل ألوانا جديدة من البرامج الثقافية ، ونجد هذا الاتجاه يتأكد فى المرسوم بقانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ بإنشاء وزارة الإرشاد القومى ، الذى نص على أن من غايتها « تيسير سبل الثقافة الشعبية لأفراد الشعب وتنويعها وتزويدها بما يعين على توسيع نطاقها وإفادة أكبر عدد ممكن بها »^(٧) .

وقد نص هذا المرسوم على نقل تبعية الاذاعة المصرية من رئاسة مجلس الوزراء الى وزارة الارشاد القومى . وأعيد تنظيم الاذاعة من جديد بالقرار الوزارى رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٣ ليتضمن انشاء مراقبة « للبرامج الثقافية » تنقسم الى : « مراقبة الاركان ومراقبة الاحاديث والشئون الدينية » . وقد قسم الامر الادارى رقم ١٠٩ الصادر فى ٢٩ / ٤ / ١٩٥٤ الاركان التى تضمها مراقبة الاركان الى قسمين : ادارة الاركان العامة (الجيش — العمال — الريف) وادارة الاركان الخاصة (المرأة — الطفل — الطلبة) . كما صدر الامر الادارى رقم ٢٤٧ الصادر فى ١٣ / ٧ / ١٩٥٥ باعادة تنظيم اقسام البرامج ، البرامج الثقافية الى :

أ — الشئون الدينية

ب — الاحاديث :

— احاديث عامة

— برامج خاصة

ج — الاركان تنقسم الى : المرأة — الطفل — الشباب — الريف — العمال — القوات المسلحة — البوليس — الرياضة .

وقد نص القانون رقم ٥٩٢ لسنة ١٩٥٥^(٧) بشأن الاذاعة المصرية على أن مجلس ادارتها « يختص بوضع السياسة العامة للاذاعة وعلى الاخص تحديد النسب فى البرامج بين الاذاعات الثقفية والاذاعات الترفيهية وغيرها » .

وكان لابد لتأكيد مسئوليات الاذاعة وتحديدها — أن تقنن واجبات الاذاعة وأهدافها ومن ثم صدر القرار الجمهورى رقم ٧٨ لسنة ١٩٦٦ ليقرر أن « على هيئة الاذاعة ان تتولى مسئوليات وزارة الارشاد القومى عن طريق الاذاعة الصوتية » وحدد لها مجالات عملها فى هذه الدائرة الموسعة . وفى ١٥ نوفمبر عام ١٩٦٧ صدر القرار رقم ٧٠٠ ينظم هيئة اذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، وقد تضمن هذا القرار :

« تهدف اذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، الى الاسهام فى تحقيق رسالة وزارة الارشاد القومى فى مجالات التوعية والاعلام والثقيف ، وتنمية المواهب ، وذلك عن طريق الارسال الاذاعى فى النطاق المحلى والعربى والعالمى . وتعمل على تكوين وتنمية المواطن الصالح ، وتفجير طاقات الشعب ليحقق اهداف المجتمع وقيمه ومبادئه على هدى من الميثاق ومن الايمان بالرسالات السماوية ، وعلى اساس من التراث القومى والتفاعل مع الحضارة الانسانية ، كما يعمل على تنوير الرأى العام وتوعيته لتحقيق الاهداف القومية بمضمونها السياسى والاجتماعى ، وتنوير الرأى العام العالمى بمبادئه الج . ع . م .

ومعالم نهضتها ووجهات نظرها تجاه القضايا والأحداث ودورها في إقرار السلام القائم على العدل .

ماذا بعد تحديد الهدف وما هو محتوى البرامج ؟ :

والبرامج الثقافية تمهد لعناصر الاتصال الازاعي من خلال العمليات التالية : —
البرامج :

أى تخطيطها واختيار مادتها التى تخدم الهدف الثقافى وذلك بتقسيم هذا المضمون الى وحدات برنامجية متتابعة تذاع خلال زمن محدد وعلى فترات معينة .

الانقاج :

تحسين وبلورة الرسالة فى واحد من الاشكال التى تختارها الموارد المادية والذهنية .

الارسال :

وهو بث الرسالة الثقافية الى المستمع وخلال كل هذه المراحل تقوم مواهب ومعرفة المتخصصين بدور بارز ، وهؤلاء المتخصصون يشملون رجال الثقافة والفكر والاذاعيين ، وكلهم يعملون بالتعاون لابرار الرسالة بطريقة تسهل على المستمع فهمها من خلال حاسة الازن ، ولتسجيل صورة صادقة لكل ما تحويه الرسالة من معلومات أو معرفة ثقافية .

ان البرامج الثقافية لابد أن تركز على هدف تثقيفى ، وأن تكون لها فلسفة معينة وتتبع اهمية البرامج من الفلسفة الواضحة التى تقوم عليها السياسة الثقافية للاذاعة بأسرها ، وكلما كانت نوايا السياسة الثقافية الحسنة واضحة ومحددة أمكن استغلال الموارد المتاحة للوصول الى الاثر المطلوب .

وتأسيسا على هذا الفهم ، تلاحظ المؤلفة أن السياسة الثقافية فى مصر ، والتى تعتبر الاذاعة احدى وسائل تحقيق اهدافها ، ليست قالبا تصب فيه الأشياء ، كما انها ليست كيانا ماديا يمكن أن يقاس بالطول أو العرض أو العمق ولكنها — أى السياسة الثقافية فى مصر^(٨) — ترتبط بالاتجاه العالمى الذى يربط بين السياسة الثقافية والخطة الشاملة للتنمية ، أو بمعنى آخر فانها تستهدف ارتباط السياسة الثقافية بالسياسة الاقتصادية للمجتمع . وبالتطور العلمى والتكنولوجى فيه « ذلك لأن دور الثقافة لم يعد قاصرا على تقديم المستوى الرفيع من المتع العقلية للطبقة القادرة على التمتع بها فحسب .. وفى عصر الشعوب هذا الذى نحيا فيه ، صار للثقافة دور فعال فى تحقيق أكبر قدر من الديمقراطية العقلية والوجدانية جميعا .. والديمقراطية العقلية لا تتحقق إلا بأن يشيع بين الناس — بقدر الامكان — قسط متقارب من المعارف . والديمقراطية الوجدانية لا تتحقق إلا بأن

يشيع بينهم قدر موحد من تذوق الفنون والتمتع بما فيها من اسرار ، وتبين ما فيها من قدرات خلاقة ومبدعة^(٩) .

على أن السؤال الذى يثار فى هذه المناقشة هو :

هل معنى هذا أن نهبط بالثقافة الى مستوى الجماهير العريضة ؟

أم هل نقضى على مظاهر التفوق والابداع ، ليكون كل شيء فى قدرة المجموعات الواسعة من الناس ؟

على السياسة الثقافية أن تكون من الذكاء بحيث تدرك أنها لو فعلت ذلك لما حققت ديمقراطية الثقافة ، بل ستقف فى وجه التطور ويصبح انسان العصر انسانا متخلفا . ان طبيعة الثقافة من ناحية ، وديمقراطيتها من ناحية أخرى تقضى بالتطور الى الامام على أن تيسر للجمهور الحصول عليها دون عناء .

والسياسة الثقافية فى مصر^(١٠) حملت الدولة هذه المسئولية « فهى التى تتحمل مسئولية تطوير الانتاج الثقافى من ناحية ، وتيسره للناس من ناحية أخرى ، فتتحقق بذلك الركيزتان اللتان تقف عليهما الثقافة : التقدم المستمر فى غير تراخ وتحقيق الديمقراطية العقلية والوجدانية فى المجتمع »^(١١) .

ويستلزم هذا من الدولة أن تفكر فى صيغ جديدة مبسطة تقدم فيها هذه المتع الكبرى ، ويصبح من واجب الفنانين والمثقفين أن يشاركوا الدولة فى الوصول إلى صيغ ملائمة يقدمون بها ثمرات الفكر وزهرات الفن على أوسع نطاق^(١٢) .

من ذلك يتضح أن السياسة الثقافية فى مصر ، تمثل الفلسفة الواضحة التى ينبغى أن تعمل البرامج الثقافية فى البرنامج العام على تحقيق اهدافها ، وقد تبين ان هذه السياسة الثقافية تنظر إلى الثقافة باعتبارها عاملا فعالا ورئيسيا فى تكوين السياسة الشاملة للتنمية ، التى تتوقف الى حد كبير على قدرات الناس ، وتفوقهم ونموهم العقلى والعاطفى « وكلما زادت درجة نمو المجتمع زادت حاجة افراده الى الثقافة .. واذن فالسياسة الثقافية جزء لا يتجزأ من سياسة التنمية الشاملة ، وهى تتأثر بها وتؤثر فيها ، كما أنها تتأثر بالتطور التكنولوجى للمجتمع وتؤثر فيه »^(١٣) .

مشكلة التطبيق :

إن ما يفرضه المنطق فى هذا المجال أن نحصر احتياجات المجتمع الثقافية ، ثم نحصر ما لدينا من امكانات مادية وانسانية ، قادرة على العطاء وبعملية حسابية بسيطة يتبين احتياجنا إلى استكمال اجهزتنا ... وكما نعرف أن طبيعة الثقافة ككيان معنوى واسع وفسيح ، حساس ودقيق ، فان طبيعة هذا شأنها قد ترفض الارقام ، وتأبى ان تتقيد بالاحصاءات ، ولكننا نعرف أيضا أن حصر احتياجات الفكر العام والوجدان القومى



وارادة الجماعة بل حصر ذلك جمعية بالنسبة للفرد ليس من الامور الهينة السهلة . ولهذا وطالما أن هذه هي العناصر الاساسية اللازمة لوضع سياسة ثقافية ، فان هذه السياسة الثقافية في مصر مشكلة صعبة عسيرة الحل حتى الآن اذا اردنا لها تحديدا ، كاملا ، سليما لان البحوث الحالية لم تحدد العائد من العمل الثقافي الا بحصر المستفيدين من المحاضرات مثلا ، أو تحدد ما يباع من كتب ، أو مجموع من حضروا فليما سينمائيا أو عرضا مسرحيا أو رواد المتاحف والمعارض ، ولكن السياحة تؤمن بضرورة وجود مقاييس أخرى يقاس بها العمل الثقافي . ١

من ذلك أنه قد تقدم مسرحية على اعلی مستوى فنى ، لا يقبل عليها الناس ولكنها تترك في نفوس العدد الذى يحضرها شحنة عقلية وعاطفية تحدث فيهم أثارا وجدانية لا نظير لها ، وكذلك الحال بالنسبة لبرنامج اذاعى ما .. مثل هذه المسرحية ومثل هذا البرنامج كيف يمكن قياسهما بعد المترددين والمستمعين أم بالآثر الذى يتركه كلاهما في العدد المحدود الذى حضر وشاهد أو استمع ؟

نحن محتاجون الى مقاييس جديدة نقيس بها العمل الثقافى ، وحتى نصل إلى هذا فلا مفر من ان تخضع السياسة الثقافية للمقاييس المتعارف عليها ، وتأسيسا على ذلك الفهم ، فإن السياسة الثقافية في مصر تتجه للإفادة من أجهزة الاعلام فى توصيل برامج الثقافة إلى الناس^(١٤) . ومن أجل ذلك تضمن قرار تنظيم هيئة الاذاعة فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٦ والمشار إليه فيما تقدم ، أن تضع الاذاعة لتحقيق اهدافها ومن بينها : التثقيف - تخطيطا علميا متكاملا لمختلف وجوه النشاط فى شتى المجالات مستعينة بالدراسات والبحوث والإحصاءات والاستقصاءات المختلفة التى تؤدى إلى تقدم الخدمات الإذاعية على احسن وجه وبأعلى قدر من الكفاءة والاقتصاد فى الوقت المناسب^(١٥) .

فقد يسفر برنامج ثقافى اذاعى لم يستمع إليه إلا قلة من المستمعين عن تغيير جذرى فى مفهوم من المفاهيم الدارجة ، أو فى عادة من العادات القائمة ، وقد توحى احاديث العقاد وطه حسين بالاذاعة مثلا إلى من استمع إليها من كتاب ونقاد وفنانين بأعمال أخرى ابعد اثرا منها لدى الجماهير وأوسع انتشارا بين صفوفهم .

التركيز التام عند المستوى البيئى :

وعند تخطيط البرامج الثقافية يحسن أن يراعى عنصران هاما جدا فى نجاح السياسة الثقافية وهما :

(١) العنصر التثقيفى الذى سيميز البرنامج الثقافى عن غيره من البرامج الإذاعية

الأخرى .

(ب) التجديد ، والبعد الجديد الذى سيضيفه البرنامج الى ميدان الثقافة ، إزاء

أجهزة التثقيف ووسائل الإعلام الأخرى .

ولكن ثمة عوامل هامة أخرى يجب أخذها في الاعتبار منها^(١٦) :

أن يركز المخطط للبرامج الثقافية على المستوى البيئي : الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها جمهوره المستهدف ، كما يجب أن يتذكر دائما احتياجات مجموعة الافراد التي يتكون منها هذا الجمهور .. ولذلك نص القرار المشار إليه فيما تقدم ، على « متابعة الانشطة المختلفة لضمان تقديمها بالصورة والطريقة المتفق عليها مع التقييم الدورى لهذه الانشطة تلافياً للأخطاء ، وينطوى هذا النص على دعوة الى متابعة النشاط الثقافي وتوجيهه الى نوع من النقد الذاتى الذى يتغيا الإفادة من تجارب التطبيق في رفع مستوى الاداء ».

والتركيز عند المستوى البيئي في تخطيط البرامج الثقافية ، يعنى ارتباط هذه البرامج باخلاقيات المجتمع ، ويمكننا أن نتبين تركيز اذاعة جمهورية مصر العربية على الظروف المحيطة بالجمهور المستهدف من خلال لائحة اخلاقيات الاذاعة ، التى نذكر منها فيما يخص البرامج الثقافية : عدا الالتزام العام لجميع برامج الاذاعة بالقيم الدينية والوطنية والاجتماعية والاخلاقية :

← ١ - ارتباط البرامج الثقافية بالقيم العلمية والفنية :

- ١ - لا يجوز اذاعة المعلومات الخاطئة .
- ٢ - لا يجوز ابراز ما يخالف الحقائق العلمية من خرافات .
- ٣ - لا يجوز اذاعة آراء أو تعليقات أو توجيهات ذات صبغة علمية أو فنية أو مهنية ما لم تكن من مختص أو بعد مراجعتها .

ب - التزام البرامج الثقافية باخلاقيات الاذاعة :

- ١ - لا يجوز اذاعة الفاظ أو تعبيرات سوقية أو منطوية على معنى مبتذل .
- ٢ - لا يجوز اذاعة ما من شأنه أن يمس الآداب العامة أو يخدش الحياء بالقول أو الأفعال .
- ٣ - لا يجوز اذاعة ما يؤدي إلى تحبيذ الانحلال الخلقي الفردى أو الجماعى سواء بالقول أو الأفعال .
- ٤ - لا يجوز اذاعة من شأنه أشاعة اليأس وروح الهزيمة في الافراد والمجتمع .
- ٥ - لا يجوز اذاعة ما يمس الاديان والعقائد .
- ٦ - لا يجوز اذاعة ما يمس القومية العربية أو قيمها الكفاحية وتراثها القومى

الخ ..

ومن ذلك يتضح أن البرامج الثقافية ملزمة باخلاقيات الاذاعة بوجه عام ، من حيث ادائها لعملية التنشئة الاجتماعية ومن الضرورى أن تؤكد أن « التنشئة الاجتماعية

عملية مستمرة - تمتد من الطفولة حتى الشيخوخة^(١٧) وهي تلتزم بوجه خاص المحافظة على القيم العلمية والفنية .

١٥١

ج - تطور البرامج الثقافية في البرنامج العام :

تلاحظ المؤلف أن البرامج الأولى التي أذيعت بالراديو ، كانت تتألف من الأحاديث في أداء الوظيفة الثقافية ، ولكن التطور في الإرسال اتجه بإذاعة البرنامج العام إلى أن تدخل الوانا جديدة من البرامج الثقافية وتختلف نسبة توزيع مضمون الإرسال في البرامج اليومية أو الأسبوعية تبعاً لآراء المشرفين على أعداد البرنامج وتبعاً لإمكانات المؤلفين^{المؤلفين} والاذاعيين وتبعاً لرغبات جماهير المستمعين ، وتبعاً للتخطيط العام في الإذاعة . وإذا كان البرنامج العام الذي أنشئ في ٢١ مايو ١٩٢٤ قد بلغ عدد ساعات إرساله اليومي عند الانشاء ١١ ساعة فإنه اليوم قد وصل إلى ٢٠ ساعة تقريباً ، وهذه الساعات العشرون موزعة على المواد الإذاعية المختلفة ، ويصل نصيب البرامج الثقافية منها حوالى ١٠ ٪ تقريباً حيث تحتل الترتيب الثالث بعد البرامج الترفيهية التي تأتي في المقدمة والبرامج الدينية التي تليها مباشرة .

وتتضمن البرامج الثقافية في البرنامج العام : الأحاديث والندوات والقصة والشعر وتبسيط العلوم والبرامج الخاصة ، بهدف نشر المفاهيم العلمية العصرية ، وتأكيد أهمية العلم في تطور الشعب ونهضته ، والاهتمام^{والاهتمام} بالنشاطات الفكرية والفنية والأدبية ، و « تمكين المستمع من تحصيل أكبر قدر ممكن من المعلومات العامة في شتى فروع المعرفة » .

وتخضع البرامج الثقافية في الإذاعة لسياسة البرامج التي تحدد لكل فرع من فروع البرامج نسبة معينة ، وتتبع الإذاعة في تخطيط برامجها تقسيم السنة إلى أربع دورات إذاعية كل دورة مدتها ثلاثة أشهر وتبدأ السنة الإذاعية من أول يوليو وتعد البرامج التي تقدم خلال الدورة قبل بدئها بمدة كافية .

ولقد ظلت البرامج الثقافية في البرنامج العام حتى عام ١٩٦٢ تشمل : الأحاديث والندوات والقراءات الأدبية والبرامج الثقافية في قالب منوعات والتمثيلات والبرامج الخاصة كما كانت تشمل البرامج الدينية .

ولم تلبث البرامج الثقافية في البرنامج العام أن استقرت على التقسيم الحالي لموادها على النحو الآتي : -

البرامج الثقافية - الأحاديث والندوات - القصة - الشعر - المجالات العالمية والعربية - العلوم - المسابقات - البرامج الخاصة .

وتلاحظ المؤلف هنا :

أولا : أن البرامج الثقافية قد انفصلت عن البرامج الدينية . كما انفصلت عن برامج الطرائف وأصبح لها شخصية مستقلة .

ثانيا : أن البرامج الثقافية وفقا للتقسيم في الاذاعة - تشمل الرياضة والموسيقى ، وقد استبعدنا كليهما من البرامج الثقافية في هذا البحث حتى يتفق تقسيم البرامج الثقافية في كل من البرنامج العام ، وصوت العرب موضع البحث .

ثانيا : اختيار الموضوعات في البرامج الثقافية :

إن أكبر الاعتبار يجب أن يعطى لاختيار موضوعات البرامج الثقافية وإذا كان مخطط البرنامج يرسم لمنهج ضخم له صفة أكاديمية فمن الواضح أن عليه الرضوخ تماما لمنهج جامد لا يستطيع التحويل أو التحوير فيه وفي الوقت ذاته يستطيع أن يقرر ما إذا كان المضمون الثقافي سيعالج عن طريق التقديم المباشر أو الدرامى أو غير ذلك .

وإذا كنا قد انتهينا إلى أن التثقيف من أهم وظائف الاذاعة ، فإن المادة الثقافية في الاذاعة المسموعة حين تتخذ قالب الذى نسميه بالبرامج الثقافية وعاء اذاعيا لها ، إنما تتوسل بجميع الاشكال الاذاعية المعروفة لنقل المعلومات والمعرفة واللوان الثقافة المرغوبة اجتماعيا الى المستمعين وفي هذا المجال يجب أن نؤكد على تعبير المادة الثقافية المرغوبة اجتماعيا لان لهذا التعبير دلالة بالغة الاهمية ، فهو يعنى المادة الثقافية التى يعتبرها المجتمع على اطلاقه « مطلوبة » ، أو « مرغوبة بشكل عام للشخص العادى ، وخصوصا المادة الثقافية التى تنهض بالفرد فى مجال تطوير ذاته وتفكيره وتساعده على مساهمة مستوى المعرفة الاجتماعية والثقافية المتطورة باستمرار » (١٨) .

وعلى هذا يمكن تصنيف البرامج الثقافية فى البرنامج العام تحت عناوين عامة هى : الاحاديث : - شاعرية - الشعر - المجالات العالمية والعربية - تبسيط العلوم - مسابقات - برامج خام : - تأخذ المادة الثقافية شكل الحديث والندوة والتمثيلية الاذاعية أو المجلة الإذاعية ، أو الحديث الحوارى .. إلخ .

وليس كل الموضوعات الثقافية صالحة لأن تقدم من خلال هذه الاشكال على اطلاقها ، فكل نوع يتطلب نمودجا معيناً يقدم البرنامج من خلاله .. ولكن من أهم العوامل التى تساعد على إنجاح البرنامج : شخصية المقدم وأسلوبه فى التقديم ، اذ يجب أن يكون صديقا للمستمع وأن يكون مهذبا فى حديثه ولا بد أن تكون شخصيته جذابة الى درجة القدرة على الاستحواذ على مستمعيه الذين لا يراهم ويجعلهم يستقبلون افكاره وآراءه بترحاب ورضى وإقناع ، كما لا بد لمقدم هذا النوع من البرامج أن يبدو فى مستوى المستمعين الذين يخاطبهم من خلال البرنامج مع احتفاظه بشخصيته الخاصة ، كما أنه

يجب أن يأخذ دور المعاون لأن الموقف التعاونى يخلق رباطا يجمع بينه وبين المستمع^(١٩) .

وقد اتجه البرنامج العام إلى تكييف المادة الثقافية في برامجه وابرار نُصيبيها فيه ، وبعد أن كانت تائهة المعالم فى كل ما يقدم للمستمع كل يوم ، برزت معالم الثقافة وبرامجها فى الاذاعة وأخذت شخصيتها الفعالة ودورها العامل فى اداء الرسالة الثقافية للاذاعة . واذا كان البرنامج العام قد حدد الخط الفاصل بين البرامج الثقافية والبرامج الدينية بعد أن كانا مندمجين ، إلا أننا لاحظنا - كما تقدم - أن الاذاعة المصرية تعتبر البرامج الرياضية ضمن البرامج الثقافية ، وهو الامر الذى نرجو تداركه فى المستقبل ، حتى تتحدد معالم البرامج الثقافية تحديدا واضحا . وفى الحدود التالية نحاول حصر البرامج الثقافية التى قدمها البرنامج العام فى الدورة التى بدأت فى أول ١٩٧٨ وفقا للتصنيف الذى تأخذ به الاذاعة .

م	البرامج الثقافية العامة	الاحاديث والتدوات	القصة	البرامج الخاصة	المسرح والسينما	الكتب والمجلات	العلوم
١	حياتنا الثقافية	حديث الصباح	من القصص العالمية	الجائزة التقديرية العالمية	أضواء المسرح	زيارة مكتبة فلان	نادى العلوم
٢	لغتنا الجميلة	ع الماشى	مواقف درامية من اسبوع لاسبوع	قصة فيلم اقرا من الشاشة	العلم والحياة		
٣	قال الفيلسوف	صالون الفكر	مع الادباء الشباب	إلى الميكروفون أدب الخيال العلمى			
٤	لقاء الفن	للأعضاء فقط	دنيا السياحة	طبيب العائلة			
٥	فتون	يتحدثون عن	الميكروفون مع				
				المسابقات الشعر			

١ - البرامج الثقافية العامة

م	اسم البرنامج	موعد اذاعته	يوم الاذاعة	موعد الاذاعة	يوم الاعداد	مرات في الاسبوع	مدة البرنامج
		ق	ت	م	الخميس	الاحد	الاثنين
١	حياتنا الثقافية	٣٥	٥ م	الخميس	—	١	١٥
٢	لغتنا الجميلة	٣٠	١٠ م	يوميا	—	٧	١٠
٣	قال الفيلسوف	٣٥	١٢ م	—	—	٧	٥٠
٤	لقاء الفن	٣٠	١٢ م	الاثنين	١٠ ص	٢	—
٥	فنون	٢٥	٦ م	الاحد	—	١	١٠

٤ - البرامج الثقافية العامة :

ومن هذا الجدول يتضح أن البرنامج العام يقدم خمسة برامج ثقافية ثابتة بعضها يومي والآخر اسبوعي ، وهذه البرامج هي :

١ - حياتنا الثقافية :

برنامج اسبوعي يقدمه فاروق شوشه ومشيرة كامل ٥,٣٥ مساء الخميس ، وينقل هذا البرنامج الندوات الادبية التي تعقد في الجمعيات الادبية ونادى القصة واتحاد الادباء وقصور الثقافة ، ومن ذلك مثلاً ما قدمه البرنامج يوم ١٦ فبراير ١٩٧٨ حيث قدم البرنامج تسجيلاً للندوة الادبية التي نظمها قصر ثقافة الغورى وتحدث فيها الادباء ثروت ابازة ود . عبد العظيم المطعنى وعامر العقاد .

كما يقدم هذا البرنامج عرضاً للمجلات الثقافية التي تصدر في الوطن العربى ومن المجلات التي يقدم عرضاً لها : الهلال - الثقافة - الدوحة - الفيصل - الموقف الادبى - الاقلام .

ومن السمات الواضحة التي تميز بها هذا البرنامج وغيره ، اتخاذه طابعاً تعليمياً مباشراً فهو اشبه بمحاضرة أو درس يلقي على الجمهور دون محاولة للإفادة من الامكانيات الكبيرة للاذاعة المسموعة ، ومن الواضح أن هذا العيب الذى يشوب شكل البرنامج الثقافى ومضمونه يرجع قبل كل شيء ، إلى طبيعة التكوين الثقافى للمشرفين على امثال هذا البرنامج . وحسبنا أن نقول مع الدكتور فؤاد زكريا فيما يتعلق بهذا التكوين ،

إننا في حاجة شديدة إلى رفع المستوى الثقافي للكثيرين ممن يقومون بدور في هذه البرامج ،
وليس في الاعتراف بهذه الحقيقة ما يعيبنا على الإطلاق^(٢٠) .

٢ - لغتنا الجميلة :

في سبتمبر عام ١٩٦٧ بدأ برنامج « لغتنا الجميلة » أولى حلقاته « وما زال مستمرا حتى وقت كتابة هذه السطور » ، ويقدم هذا البرنامج فاروق شوشه يوميا ومن الجدول السابق يتضح أن مدة البرنامج ١٠ دقائق يوميا ، ويذكر الاستاذ فاروق شوشة أن السؤال المطروح أمام البرنامج هو : كيف يستطيع البرنامج وهو يغوص وراء الدر الكامن في تراثنا العربي : شعره ونثره - ثم وهو يتابع حياتنا الجديدة الممتلئة بألوان التعبير « الجميع » ، ونماذجه أن يشد إليه اهتمام المستمع غير المتخصص ؟ كيف يستطيع أن يتجاوز هذه المساحة الضيقة التي تقف عندها - عادة - تلك البرامج المثقلة بالفكر والثقافة ، والتي ينحس في أطرافها عدد من ذوى الاهتمامات المتخصصة دون أن ينجح في جذب الاهتمام العام واثارة الوجدان العام ، الوجدان البسيط ، لدى مستمعينا الذين يشكلون دائما قطاعات شتى مختلطة ، ومتشابكة من أسرة المجتمع كله ؟

ولتحقيق هذا الهدف ، فقد اختط البرنامج لنفسه من البداية أسلوب الرحلة . لم يحرص على أن يكون دروسا تلقى ، بما للدروس دائما من وطأة شديدة وثقل ظل ، ولا أن يكون ذا هدف تعليمي سرعان ما يثبط الهمم ، ويشعر المتلقين من بين مستمعيه أنهم دائما في وضع التلاميذ ، وأن عليهم دائما أن يظلوا في هذا المكان لا يتجاوزونه .. بل ليس من حقهم أن يتجاوزوه ، ولا أن يصبغ نفسه دائما بصبغة واحدة ، لا يغيرها ، أو جلد واحد يلبسه ولا ينزعه ، فالتابع المتجدد ، الدائم التغيير والتحول ، أكثر مدعاة للحياة والجدة والطرافة ، وأعمق اثرا في النفس والعقل^(٢١)

ويعنى مقدم البرنامج بأسلوب الرحلة أنه « أسلوب من ينقب ويختار ويتجاوز ، ولا يبقى دائما في محله ، أسلوب من يبحث عن الجمال أنى كان وحيثما وجده لا يعنيه إلا أن يقطف من كل بستان ما يروق لعينه وقلبه ، ولا يمكث الا بقدر ما يتذوق ويتأمل . ثم عليه أن يرحل ويكتشف ويغامر ، بحثا عن الجديد والطريف والاصيل ، وما أكثره في صفحات تراثنا العربى العامر بالكنوز »^(٢٢) .

ويذكر أن رسائل المستمعين الى البرنامج كشفت أن « قطاعات الاستماع تضم اذواقا عدة وميولا غير متجانسة ، وثقافات شتى ، بل مستويات متعددة من هذه الثقافات تتراوح بين الأمى والمتخصص وقد يبدو غريبا أن يكون من بين مستمعي البرامج أميون ، ولكنها حقيقة تكشف عن الدور الهام والفعال الذى تقوم به أجهزة

الاتصال بالجمهور وفي مقدمتها الاذاعة في سد فراغ المدرسة ونقص الكتاب وغياب مؤسسات التعليم والثقافة بصورة عامة ، فضلا عن واقع الحال المتمثل في ارتفاع نسبة الامية والاميين ، بصورة خطيرة وفاضحة في مجتمعنا ، الذي يشق طريقه مندفعاً إلى عتبات القرن الحادى والعشرين . غير أن هؤلاء الاميين - الذين لم تخل وجداناتهم ومداركهم من ثقافة ، لم يفتهم أن يتذوقوا ما يقدمه البرنامج بين الحين والحين ، ولا أن يتعرفوا على بعض مواطن الجمال واسراره ، من خلال تلقيهم لبعض نصوص شعرنا العربى - قديمه وحديثه - ومن خلال اللغات التى يوجه بها البرنامج اهتمامه لاسرار الاعجاز والبلاغة فى آيات من القرآن الكريم ونماذج من الحديث الشريف ، وآثار البلغاء والفصحاء فى تراثنا العربى (٢٣) .



وإن كنا نتحفظ مع الدكتور يونس فى وصف اللغة « بالجمال » لأن اللغة تنظم الظواهر الاجتماعية كلها بمفهومها الاجتماعى (٢٤) ، إلا أن برنامج « لغتنا الجميلة » شكل إذاعى للمختارات التى غنى أصحابها بالانتقاء والاختيار فى تراثنا العربى عبر العصور ، ومن هذه المختارات : « المفضليات » للضبى ، و« الحماسة » لأبى تمام ، و« الكشكول » للعاملى ، و« زهر الآداب » للحصرى ، و« مختارات البارودى » ومن هنا كان برنامج « لغتنا الجميلة » كبرنامج يخاطب المستمع يمثل انتشاراً أكثر بانتشار الاذاعة فى وصل المستمع بالتراث العربى ، شعره ونثره ، عبر قرونه المتطاولة ، مع التعرف على ابرز أعلامه وأجمل نماذجه وأخلص صفحاته وأثمن كنوزه .

وفى حلقات البرنامج التى جاوزت حتى الآن ثلاثة آلاف حلقة صور للغة العربية بين الماضى والحاضر ، بين القديم والجديد . وبين ثورة الاسلوب وتجديد المجددين ، بين واقع هذه اللغة ومشكلاتها المعاصرة مع ألفاظ الحضارة - أى مفردات الحياة العامة وتسمياتها ومصطلحات العلوم ، بين صورتها الاولى والمكتسبة بطابعيها الصحراوى والموسيقى ، وصورتها الحديثة المكتسبة بطابع المعاصرة والقدرة على الاتصال ، والاتساع لروح العصر ومنجزات الحضارة وحصاد حركة الترجمة والتفاعل مع اللغات الاجنبية ، اخذا وعطاء ، هضما وتمثيلاً ، فناً وكثافة ...

٣ - قال الفيلسوف :

برنامج يومى مدته ٥ دقائق يعتمد على الحوار بين ممثلين احدهما صوت رجالى يمثل الفيلسوف والآخر صوت نسائى يمثل التلميذة التى تسأل وتثير قضية من القضايا الفكرية ، فيسترسل الفيلسوف فى الاجابة من خلال استعراض لمأثور من الكلم ، معتمداً على التراث العربى العامر بالطريف والاصيل .

٤ - لقاء الفن :

برنامج اسبوعى مدته ساعة يذاع يوم الاثنين ١٢,٣٠ مساء وتعاد إذاعته ١٠,٣٠ صباح الخميس ، ويعتمد على اللقاءات التى يمر بها مقدم البرنامج مع رجال الفن في مجالاته المختلفة : الموسيقى - الغناء - الفن التشكيلى إلخ ..

٥ - فنون :

برنامج اسبوعى مدته ١٠ دقائق اسبوعيا يذاع ٦,٢٥ مساء الاحد ويتخذ قالب المجلة الاذاعية في تسجيل الحياة الفنية ويقدم جولة مع هذه البرامج الأخيرة ، توضح ما نعينه باستغلال إمكانات الاذاعة المسموعة فكل برنامج من البرامج الثلاثة يقدم ما فيه من مضمون من خلال شكل يتلاءم مع طبيعة الوسط الذى يقدم فيه هذا البرنامج فقال الفيلسوف مثلا برنامج لا يعتمد على أسلوب الحديث المباشر كما في برنامج « حياتنا الثقافية » وبرنامج « لغتنا الجميلة » إنما يعتمد على الاسلوب الحوارى الملائم لتقديم برنامج ثقافى إذاعى ، الذى يستغل إمكانات الاذاعة المسموعة في تعريف المستمع العربى بتراثه الثقافى والاخلاقى العريق وتمثله لهذا التراث في حياته المعاصرة ، مما يزيد من ثراء الجوانب الاخلاقية والفكرية المعاصرة للانسان المصرى والعربى .

أما برنامج « لقاء الفن » وبرنامج « الفنون » فإنهما يعملان من خلال أسلوب الحوار وتقديم الاعمال الفنية على تحقيق القيم الجمالية والفنية في الفقرات المقدمة منهما والفقرات المنقولة اليهما من السينما والمسرح والمعارض .. إلخ على المستوى الذى يؤدى إلى رفع مستوى الاحساس بالجمال والتذوق للفن في المجتمع في جميع تفاصيل حياة المستمع اليومية والفكرية .

ب - الاحاديث والندوات :

وعنى البرنامج العام منذ نشأته بوضع سياسة مدروسة ثابتة للاحاديث توخت أهدافها مسانيرة النهضة الحديثة ، فاستوعبت مواد الاحاديث بكافة أشكالها من أحاديث وندوات . وقد عُنى البرنامج العام بوضع نظام الندوات بحيث تحدد مراحل الاحاديث مع دورات البرامج كل ثلاثة أشهر ، يدرس فيها ما تمت إذاعته وما يقتضيه التجديد من ألوان وموضوعات جديدة تفصل على المراحل الاذاعية ، ثم يختارها أقدر المتحدثين وأوفرهم حظا من الكفاية والتخصص في الموضوع الاذاعى كما ادخل نظام السلاسل الثقافية الخاصة يتناوبها في كل دورة قادة الفكر العربى المعاصر ويعرض فيها الموضوع على حلقات متتابعة اسبوعيا لتمكين المستمع من الافادة منها على أقصى مدى من فترات الاستماع الدورى .

وعنى البرنامج العام بتنسيق اتجاهات الاحاديث على أيام الاسبوع بحيث يتسع الاسبوع الاذاعي لأهم الموضوعات والقيم الثقافية التى يحتاجها المجتمع في كل مرحلة من مراحل حياته وأحداثه ، فقدمت سلسلة من الاحاديث القومية الى جانب السلاسل الثابتة التى تربط المستمع بالثقافة العربية فى مختلف المجالات العلمية والادبية والحضارية ، كما خصص برنامج على شكل ندوات يلتقى فيها أقطاب الفن والعلم . ومن البرامج الثقافية التى تتخذ شكل الحديث أو الندوة فى البرنامج العام من دورة يناير ١٩٧٨ ، البرامج التالية :

الاحاديث والندوات

اسم البرنامج	موعد اذاعته	يوم الاذاعة	موعد اعادته	يوم الاعادة	مرات الاذاعة فى الاسبوع	الزمن المخصص للبرنامج
١ حديث الصباح	٦,٣٠ ص	يومية	٦,٣١ م	يومية	١٤	٥ ق يوميا
٢ ع الماشى	٧,٤٠ م	يومية	—	—	٧	٥ ق ١
٣ صالون الفكر	٩,٣٠ م	الجمعة	—	—	١	٣٠ ق ١
٤ للأعضاء فقط	٩,٣٠ م	الاثنين	—	—	١	٣٠ ق ١
٥ يتحدثون عن	٧,١٨ م	الاثنين	—	—	٢	٥ ق ١

وقد ألغى البرنامج العام ندوة « المائدة المستديرة » التى كان يقدمها اسبوعيا فى ٣٠ دقيقة ويشترك فيها بالتحاور والمناقشة مع المخرج قادة الرأى والفكر . ومن الجدول السابق نتبين أن البرامج الثقافية تشمل الاحاديث والندوات ففى الاحاديث نجد برنامجين يوميين هما « حديث الصباح » و« ع الماشى » ، وبرنامجا يقدم مرتين فى الاسبوع هو « يتحدثون عن » ، أما البرامج التى تتخذ شكل الندوة الثقافية فاننا نجد لها مثالا فى « للأعضاء فقط » .

أما برنامج « صالون الفكر » فهو يعتمد على أسلوب المواجهة بين مفكر أو اديب وجمهور قرائه ، ومن ذلك مثالا ما قدمه مساء ٢٠ يناير ١٩٧٨ حين سجل البرنامج الحوار بين نجيب محفوظ وقرائه حول : قضايا المرأة والشكل الفنى والبيئة الشعبية فى أدبه . ومن ذلك أيضا ما قدمه البرنامج يوم ١٠ مارس ١٩٧٨ من تسجيل للمواجهة بين الدكتور

الفلسفة

زكى نجيب محمود وجمهوره حول معنى الايديولوجية والهدف من دراسة الفلسفة والسبيل الى تجديد الفكر العربى ، وماذا نأخذ من التراث ، وماذا ندع منه وسبب انتشار الدعوات اللاعقلانية فى الشرق وأثر ذلك على النهضة الفكرية .

وقد عنيت الاذاعة بتخطيط برامج الاحاديث والندوات على اساس من :

١ — تخطيط الموضوعات على ضوء الاهداف والمبادئ العامة التى رسمتها الدولة فى الجانب الثقافى .

٢ — اختيار الاساتذة المتخصصين فى مختلف النواحي كل فى موضوعه .

٣ — وضع السلاسل الثقافية الجديدة على خرائط البرنامج لدورة كاملة .

٤ — دراسة المواد قبل تسجيلها دراسة دقيقة وقد وضعت لذلك نظاما لمراجعة المواد واعداد تقرير فنى عن كل مادة بعد استيفاء النواحي الدينية والسياسية بطريق الجهات المختصة فى هذه النواحي .

كما يتبع البرنامج العام نظاما خاصا فى اعداد تخطيط البرنامج فى الاعياد والمناسبات القومية والدينية والاحداث التاريخية الهامة التى يتم توجيه برامج خاصة لها فى حينها . وتتراوح الاحاديث الاذاعية من حيث الطول بين ثلاث دقائق وخمس عشرة دقيقة ، وذلك بالنسبة للبرنامج العام والاذاعات العامة ، اما بالنسبة للاحاديث التى تقدم من ميكروفون البرنامج الثقافى (الثالث بالاذاعة البريطانية) أو (الثانى بالاذاعة المصرية) فانها تستثنى من شرط المدة .

وبصفة عامة يمكن القول بأن مدة الحديث تحددها طبقة الموضوع المتناول فاذا استمعنا مثلا الى عدد من الاحاديث المذاعة هذه الايام وقمنا بتحليلها سنجد ان حديث الخمس دقائق الجيد يدور حول فكرة واحدة أو فكرتين على الاكثر ، وقد قدما فى تألق ووضوح وبتأن وفى نوع من الشمول ، بمعنى أن المتحدث قد نجح فى الاحاطة بفكرته أو بفكرتيه احاطة شبه كاملة (٢٥) .

وبطبيعة الحال فالحديث الاطول يحتوى على افكار أكثر عددا ، ولكن مع مراعاة ان هذه الافكار يجب أن تكون قابلة للهضم من جانب المستمعين ، وهذه القابلية تتوقف بصفة اساسية وجوهرية على عنصر الوضوح ، فالمستمع الذى لا يدرك ما يقوله المتحدث على الفور أو يجد صعوبة ما فى تتبع تسلسل الافكار التى يعرضها ، يشكل حجر عثرة فى طريق وصول المتحدث الى الهدف الذى يرمى اليه من حديثه ويستطيع المتحدث دائما ان يجد مادة أكثر كثيراً من التى يمكن أن يتضمنها حديثه مهما كان طول هذا الحديث . كذلك تختلف اساليب المتحدثين فى تناول هذه المادة ، فالبعض منهم يلجأ الى تدوين كل

ما يعن له حول الموضوع على هيئة نقاط أو عناصر تمثل نقاط الارتكاز الاساسية ... والدعائم التى سيقوم عليها بناء الحديث . وهذه كما تقول جانبى دنبار^(٢٦) « هى الطريقة المثلى » .

أما البعض الآخر فيعتقد أنه يستطيع كتابة الحديث ككل مرة واحدة . ولكن ايا ما كان الامر فان معظم الكتاب المنتظمين والمتمرسين يملكون القدرة الفائقة على وضع ايديهم على الافكار الهامة والافكار المشوقة التى يمكن أن يشتمل عليها الموضوع ويبدعون عادة بتسجيل جملة الحقائق والافكار والمقتطفات والمراجع التى يمكن الاستعانة بها . تلى ذلك مرحلة اختيار ما يحتاجون اليه ، واعطاء الحديث شكله النهائى .

وجمع المادة ليس بالامر الصعب . وتتمثل العملية الفنية فى الحديث فى اختيار هذه المادة وتقديمها للمستمع فى أسلوب ممتع دون ترك الفرصة أمام شبح الدافع التلقينى ليلقى ظله الكئيب على الحديث . ورغم أن الهدف التعليمى أو الاعلامى يمكن أن يكون هدفا ساميا فى حد ذاته ، إلا أن تحقيق هذا الهدف يحتاج الى نظام صارم دقيق يضمن تحقيق الاذاعة الناجحة وعدم هروب المستمع فالحديث الوصفى مثلا من الممكن أن يكون أعظم مافيه قيمة هو ما لم يقله المتحدث فالمتحدث يسعى الى إعطاء المستمع انطبعا واضحا عن شىء يعرفه المتحدث تمام المعرفة . ولكن يفعل ذلك بطريقة مجدية ، فان أول ما يحتاج اليه هو مشاركة هذا المستمع ومعاونته . وكلتاها لن يحصل عليهما إلا إذا نجح فى تحريك خياله ودفعه الى العمل^(٢٧)

والحديث الجامد المملوء بالحقائق المتراكمة لا يحرك خيال المستمع بقدر ما يعوق حركته وقدرته على الانطلاق ، كما يعوق قدرته على إمعان النظر فى الكم الهائل من الافكار التى يعرضها المتحدث ، ويجعل المستمع اقل استعداداً وقابلية لفهم الصور والاستعارات التى قد يلجأ اليها اللهم الا اذا كانت وثيقة الارتباط بما يقال فى نفس اللحظة أو ذات صلة مباشرة بالمستمع^(٢٨) .

وتضرب « جانبى دنبار » مثلا لذلك بالمتحدث الذى يريد أن يتكلم عن تخطيط جديد لاحدى المدن . هذا المتحدث قد يميل — فى سبيل اعطاء المستمع فكرة وافية عن كثافة السكان — قد يميل الى حشد عدد من البيانات والإحصاءات هى فى حقيقة الامر لا تمثل شيئا ذا قيمة لدى المستمع بينما قد يعمد آخر الى التحدث عن العائلات التى ستملك بيوتا خاصة بها ، والعمرسان الذين سيستطيعون الحصول على شقق مستقلة بذاتها . فمثل هذا المتحدث بلا شك يقول شيئا يستطيع المستمع ادراكه بمجرد الاستماع اليه^(٢٩) .

↓
والسؤال عن كمية ونوع الحقائق التي يمكن اختيارها واشتمال الحديث عليها ، ومن الواجب الاجابة عليه عندما يطلب من المرء أن يفسر أو يلقي الضوء على شيء ما يحتاج تفسيره الى مجموعة ضخمة من المعلومات .

واذا كان في ذلك مايشير الى اهمية الحديث الازاعي وطبيعته ، فقد حظيت الاذاعة المصرية بفرسان الحديث الازاعي الذين تفهموا هذه الاهمية وتلك الطبيعة — طه حسين والعقاد والدكتور هيكل والشيخ المراغي وعدد كبير من رجالات الفن والفكر والادب من لهم في نفوس القراء مكانه خاصة . وكان موعد اذاعة حديث للدكتور طه حسين او العقاد مثلا معروفا لدى كافة افراد الاسرة ويحرصون على تلبيته حرصهم على الاستماع الى شيء اثر ، على الرغم من أن هؤلاء كانوا يقدمون مادة ثقافية رفيعة جوهرها ولغة واداء (٣٠) .

ولعل ذلك يرجع الى الشخصيات المميزة لهؤلاء الفرسان ، في الروح والاسلوب المميز في تناول القضايا ووجهات النظر ، وقد اشتركوا جميعهم في شيء واحد هو احترام المستمع وإعطائه حقه من التبجيل والتكريم ، بحيث إن المتحدث كان يفترض في المستمع ذكاء وقدرة على الفهم وكان تبعا لذلك يخاطبه بروح أسرية اخوية دون تعال أو افتعال أو محاولات فجأة للشرح والتبسيط ، ولعل الامتلاء بالمادة التي اتحدث فيها هو الذي يفرض شكلا مبسطا للحديث . ويذهب بعض النقاد الازاعيين (٣١) الى أن الحديث الازاعي بهذا المفهوم قد « انقرض بعد أن تسلط على البرامج مجموعة من المتاجرين بخرافة التخصص وادعائهم بانهم وحدهم يفهمون كيفية التعامل مع الميكروفون ، ولقد انحصرت كل فلسفتهم في أن الميكروفون ينبذ الصوت المنفرد وهذا الرأي لا يصح الا في حالة واحدة فقط هي حالة ما إذا كان المتحدث ضحلا منعدم الشخصية والاسلوب مائع الروح ... ولقد بدأ بعض الازاعيين الاذكياء يتنبهون الى اهمية الحديث الازاعي فعملوا على احيائه من جديد ، ولكنهم حاولوا تزوير شكله الفني بادخال عناصر فنية اخرى تبعد قدر الامكان عن المتحدث المباشر . ولكن ذلك لم يفد في شيء وماتت مثل هذه الاحاديث ولم يبق منها سوى الحديث المباشر الصريح .

الكتابة على الاثير :

ولعل من الإنصاف أن نشير إلى أن هؤلاء الفرسان لم يكن حديثهم الازاعي ناجحا لانهم مشهورون فحسب ، وانما لان هؤلاء قد عنوا بفهم طبيعة الاذاعة والفن الازاعي عناية مهدت الطريق امام الحديث الازاعي العربي . ويقول العقاد (٣٢) انه كلما كتب كلمة

للاذاعة عاودته « فكرة جديرة بالتأمل من جميع المشتغلين بالاساليب الادبية . لاننا اليوم امام أسلوب جديد من التعبير لا يدخل في باب الخطابة ولا يدخل في باب الكتابة ، ايا كان الموضوع المكتوب فيه فالكاتب يودع الورق كلامه الى قرائه والخطيب يراهم ويرونه ، ويتجاوب شعوره وشعورهم فلا يخلو كلامه من اثر هذا التجاوب ، ولو في لهجة الخطاب ، ولعله اذالقى خطابه مرتجلاً يعدل عن بقيته ويستبدل عبارات منه بعبارات اخرى ، متابعة للاثر الذى يلحمه على وجوه سامعيه في سياق الكلام . »

بين

اما حديث الاذاعة فليس حديث الورق وليس حديث التجاوب بين القائل وجمهوره بالرؤية والسمع ، وسيظل كذلك ولو عمت الرؤية البعيدة ونظر المتحدث الى جمهوره ونظروا اليه في ساعة الإلقاء . وسيكون لهذا النسق الجديد اسلوبه من التعبير وتركيب الجمل وترتيب المعانى ، ويحاول الكاتب الذى يكتب للاذاعة ان يحسب لهذا الاختلاف حسابه تبعاً لفن جديد تهدينا اليه الملاحظة بعد الملاحظة في حالتى الإلقاء والسمع .

« لا أريد أن المتحدث في الاذاعة يصطنع التبسيط ليفهمه جميع المستمعين ، فاننى أعتقد أن جمهور المحاضرات والاحاديث الادبية محدود معروف ، وان موضوعات الاذاعة تخلق جماهيرها وتوزعهم على أوقاتها فلا حاجة بقسم الاطفال مثلاً الى تكييف موضوعات ليستمع اليها الكبار ، ولا حاجة بقسم التدبير المنزلى الى شرح وسائل الطبخ كى يفهمها الرجال مع السيدات . وكذلك لا حاجة بقسم المحاضرات الى التبسيط ليتشارك في سماعها من لا يسمعها ولا يريد أن يصغى اليها . »

« أعنى بأسلوب التعبير المتوسط بين الكتابة والخطابة انه فن من فنون التعبير معوله على السماع الحاضر لا على القراءة ولا على النظر والمجاوبة ولا بد أن يظهر مع هذا الفن نمط جديد من التفكير يعرض الفكرة على حسب الحالة التى يكون عليها المستمعون ساعة الإصغاء . »

وهكذا تمكن قادة الفكر المصرى الحديث من تطويع كلمتهم لوسيلة الفن الاذاعى فقدموا سلسلة من الاحاديث الثقافية تعد من تراثنا الثقافى الحديث في مكان الصدارة . ومن سلسلة احاديث المرحوم عباس العقاد نذكر :

الواقعية في الادب — مقدمة ابن خلدون — الاختراعات بين العلم والدين — الدراسات الاسلامية في اللغات الاجنبية — الانسان غدا ماذا يمكن أن يكون — نافذة على الثقافة العربية — الكتابة عن النفس — النقد الأدبى .. إلخ .

ومن احاديث الدكتور طه حسين نذكر أحاديثه عن « الادب » التى تحدث فيها عن الواقعية في الادب — بين القديم والحديث في الادب — فى القصص — فى التمثيل — الادب

الوصفى — الاديب الحق من هو ومكانة الادب في الحياة الاجتماعية وسلسلة اخرى بعنوان « الادب العربى بين القديم والحديث » يؤرخ فيها للادب العربى منذ العصر الجاهلى حتى العصر الحديث وحركة التجديد فى الادب ... إلخ .

وقبل ٣٠ عاما تحدث الدكتور طه حسين فى الاذاعة عن « نهضتنا الادبية وما ينقصها » فقال :

« لست اخاف حياتنا الادبية شيئا كما اخاف عليها الغلو فى اكبارها ، والاعجاب بها والاطمئنان اليها ... ولعل من أجل هذا الخوف اكراه التفكير فيها ، والوقوف عندها ، وتناولها بشيء من الدرس والتحليل ، فهى نهضة قوية من غير شك ، لها من الخصب حظ عظيم ... تناولت آدابنا القديمة فأحييتها . ثم لم تقف عند هذا الإحياء بل اضافت الى تلك الآداب القديمة آدابا حديثة لم يعرفها القدماء . ولم يفكروا فيها وهى ماضية فى احياء الادب القديم ، وانشاء الادب الحديث ، يصيبها الفتور من حين الى حين ويدركها الضعف من وقت الى وقت ولكنها لا تلبث أن تخلص من هذا الفتور ، وتبرا من هذا الضعف ، وتمضى فى طريقها نشطة قوية لاتلوى على شيء .. وهى من هذه الجهة خليفة بالإكبار والإعجاب حقا ..

لذلك احببت ، وما زلت احب للادباء أن يمضوا فى طريقهم محبين للادب القديم ، منشئين للادب الحديث . دون أن يقفوا .. أو دون أن يطيلوا الوقوف .
يواصل الدكتور طه حسين حديثه فى الاذاعة : نهضتنا الادبية وما ينقصها فيقول :

« .. ولعلك إن سألتنى عما يسخطنى ويبعث فى نفسى الخوف والاشفاق بعد أن عرفت ما يرضينى ويبعث فى نفسى الامل والرجاء . لم تجد عندى جوابا يقنعك . ولكنه يقنعنى أنا ويدعونى لا الى اليأس . ولا الى الوقوف .. بل الى الامل ، وإلى الجهاد الذى لا يعرف مللا ولا فتورا .. »

فنهضتنا الادبية — كما يقول الدكتور طه حسين — على كل هذا الفوز الذى ظفرت به ينقصها اشياء اساسية لابقاء للنهضة من دونها ..

إلى أن يقول :

« فمن ظن أن هذه النهضة التى انتهت بنا الى هذه المنزلة التى ستنتهى بنا الى هذه المنزلة بعد قليل الى حيث ينظر اليها الغرب كما ينظر الند الى الند والنظير الى النظير —

اقول من ظن أن هذه النهضة يسيرة أو ضئيلة ، فهو مسرف في الطمع لا يعرف لآماله حدا يقف عنده أو ينتهى اليه وأنا أحد هؤلاء المسرفين الذين يرضون عما وصلنا اليه من الرقى ، ولكنهم مع ذلك يأبون أن يقنعوا به ، أو ... يطمئنوا اليه أو .. يروه لانقا بما تستحق ، وبما تستطيع من التقدم بالرقى ... فأنا راض ساخط معا ..

ومن هذا الرضا وهذا السخط يأتلف لى مزاج فيه الابتسام العبوس وفيه التفاؤل والاتفاق .

ومن ذلك يبين أن هؤلاء الرواد قد حددوا معالم الحديث الاذاعى على النحو الذى انتهت اليه فى الفن الاذاعى فى العالم وهناك عدد من الاعتبارات يجب على المتحدث الذى يريد أن تحقق احاديثه الغرض منها ان يضعها نصب عينيه منها (٣٣) .

أولا : معرفة أنه لا قيمة على الاطلاق للبداية القوية الشيقة التى تشد الانتباه اذا أتبعها ما يثير الملل أو الكآبة ، كما تفعل بعض دور الصحف عند وضع المنشقات .

ثانيا : أن الحديث الذى يسير على وتيرة واحدة من الاثارة يثير سخط المستمع بنفس الدرجة التى يثيره بها حديث آخر يسير على وتيرة واحدة من الرتابة .

ثالثا : أن مستمع الحديث يكون عادة فى حالة استرخاء ذهنى ، فاذا مادفع الى التفكير المتواصل فانه سرعان مايقع فريسة لما يسميه المحللون ... « باعباء » المستمع .

رابعا : انه لا بد من التنويع فى المزاج ، وزوايا عرض الموضوع والإيقاع .

خامسا : كذلك يجب أن ينبه المستمع اذا ما اقتضى الامر الخروج الى موضوعات جانبية وأن ينبه ايضا عند الرجوع الى الموضوع الاصلى سواء عن طريق إعادة النقطة التى انقطع عندها حبل الموضوع الرئيسى أو عن طريق إعطاء تلخيص سريع للموضوع .

سادسا : ضرورة توزيع المعلومات والافكار على فترات متفاوتة لضمان إثارة انتباه المستمع طوال الاذاعة . وكذلك الحال بالنسبة للنقاط المشرقة فى الموضوع ، التى يمكن أن تجدد قابلية المستمع لمواصلة الاستماع .

سابعا : وأخيرا أن نهاية الحديث لاتقل أهمية عن مقدمته فهى التى تترك الانطباع الاخير الذى يحاسب المستمع محدثه على اساس ، ويصدر احكامه وفقا له بصرف النظر عما اذا كانت احكاما عادلة أم جائرة .

ومن احاديث الرواد الاوائل من المفكرين المصريين يبين أن الحديث قد صيغ بدقة ومهارة وفن بعد دراسة ، تجعل الحديث قادرا على الاستحواذ على انتباه المستمع طول الوقت .

ج — البرامج الخاصة :

تقوم الاذاعة المصرية باعداد تخطيط خاص لبرامج الاعياد والذكريات القومية والدينية والاحداث التاريخية الهامة التى يتم توجيه برامج خاصة لها فى حينها كل عام للمبادئ والقيم التى تنطوى عليها احداث هذه الذكريات ومنها على سبيل المثال :

المناسبات والاحداث القومية :

عيد الثورة — عيد الجلاء — تأمين قناة السويس — ذكرى الاعتداء الثلاثى فى معركة بور سعيد — ذكرى انسحاب المرشدين الاجانب . اسبوع النصر وانسحاب القوات المعتدية من بور سعيد — يوم فلسطين — عيد الوحدة — يوم الجزائر — الإعلان العالمى لحقوق الانسان — عيد تأسيس الجامعة العربية — ذكرى هزيمة لويى التاسع فى معارك المنصورة ودمياط — ذكرى معارك رشيد — ذكرى دنشواى — اسابيع ذكرى قادة الفكر : مثل : شوقى وحافظ و خليل مطران و طاغور و طه حسين والعقاد .

وذلك بالاضافة الى الاسابيع الخاصة التى يتم فيها التركيز على ناحية واحدة من نواحى الاصلاح والتطور وحياتنا الثورية الجديدة كأسابيع الخدمات الاجتماعية والتعليم والصحة والمواصلات والمرور ورعايا الاحداث والبريد .

المؤثرات الدولية الكبرى :

مؤتمر باندونج — مؤتمر بريونى — مؤتمر الشباب الآسيوى الأفريقى — مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا .

المناسبات الدينية ويقدمها الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر وكبار رجال الدين : شهر رمضان المبارك — ليلة الاسراء والمعراج — عيد الفطر المبارك — عيد الاضحى — عيد رأس السنة الهجرية — مولد الرسول عليه السلام .

هذا كما قدمت الاذاعة عدة سلاسل هي :

رواد القومية العربية وقادة الفكر فى الشرق العربى .

شهداء الحرية وابطال ^{مجاهدين} معارك القومية والتحرير .

المعارك الشعبية والنضال الشعبى ضد الاستعمار .

كما قدمت عدة سلاسل فى الفنون والآداب والمناسبات العامة اليومية والدينية والاجتماعية والاسابيع الخاصة . منها : سلسلة أحاديث : أدبنا المعاصر ، ماله

وما وعليه ، وأحاديث : نافذة على الثقافة العالمية — وأحاديث : رجال غيروا وجه التاريخ — وسلسلة أحاديث أمجاد اللغة العربية — وسلسلة أحاديث اقتصادية .. وسلسلة أحاديث تراثنا العربى ودوره فى الحضارة العربية وتراثنا الاندلسى فى شبه الجزيرة الاسبانية — المكتشفون العرب — دور الادب فى التعبير عن الحرية وسلسلة أحاديث : المجالات فى الاذاعة — من سير العظماء — ودور الادب العربى فى الآداب الغربية — ومن تاريخنا إلخ .

ولعل البرنامج الخاص فى الراديو من الموضوعات التى اختلف فى تحديد مفهومها الكثيرين من المشتغلين بفنون الراديو سواء كانوا كتابا أو مذيعين .

ولعل البرنامج الخاص فى الراديو من الموضوعات التى اختلف فى تحديد مفهومها الكثيرون من المشتغلين بفنون الراديو سواء كانوا كتابا أو مذيعين .

ورغم الاهمية البالغة للبرامج الخاصة الناتجة عن الدور الرائع الذى يمكن أن تقوم به فى مجال التثقيف والمعرفة ، فالاذاعة المصرية للأسف — ليس بها حتى الان قسم خاص لانتاج هذه البرامج على أسس فنية سليمة .. (٣٤) .

وإزاء هذا الاحساس العام لجمهرة العاملين بالراديو نرى هيئة الاذاعة تنشئ فعلا مراقبة خاصة بهذا النوع من البرامج قدمت أولى برامجها منارات الحضارة مع بداية شهر ابريل سنة ١٩٦٥ واستمرت لتؤدى رسالتها فى محاولة لسد الفراغ ..

والآن يجدر بنا ان نحدد .. المقصود بالبرنامج الخاص Feature Program ولكن ينبغى أولا أن نعرف أين يقف البرنامج الخاص بين مختلف اشكال فنون الراديو ونحن اذا بحثنا فى هذا المجال لوصلنا الى أن البرنامج الخاص برنامج راديو خالص بنسبة ١٠٠ ٪ بل هو البرنامج الذى قد لا نجد له مثيلا فى أى وسيلة اخرى من وسائل الاعلام المختلفة .

ويمكن القول إن البرنامج الخاص يتميز بـ (٣٥) :

أولا : أنه برنامج تستخدم فيه جميع إمكانات الراديو .

ومعنى ذلك أن البرنامج الخاص يتسع فى اطاره ليشمل كل امكانيات الراديو ... إننا نستخدم فيه الموسيقى .. التسجيل من داخل الاستديو ... لقاء ميكرفون فى صورة دياالوج بين اثنين ... لقاء ميكرفون مع أكثر من فرد .. التسجيل خارج الاستديو — الاغنية — المؤثرات الصوتية .

ثانيا : أنه برنامج يعتمد على الحقائق :

وهذه أبرز مميزات البرنامج الخاص ، فهو لا يعتمد على الخيال بل هو ملتصق بالحقيقة المجردة ، وهذا يجعل مهمة معد البرنامج الخاص غاية في الصعوبة لاسيما في الموضوعات التي تخلو بطبيعتها من المادة الكافية ، فكثيرا ما نرى المعد يلجأ الى خلق الشخصيات من خياله ، وهنا ينبغي أن نشير الى خطورة لجوء كاتب البرنامج الخاص على الخيال وينبغي عليه أن يحذر دائما أن يغلبه الخيال وتجبره قلة المادة العلمية على أن يجانب الحقيقة .

ثالثا : أنه برنامج يخاطب العقل لا العاطفة :

وتلك دون شك طبيعة الحقائق ، ونحن في مخاطبتنا للعقل مطلقو اليد في اختيار الوسيلة التي نخاطبه بها دون افتعال للإثارة التي يراد بها تحريك العواطف وليس حتما أن تستخدم الرواية لتوصيل الافكار ، ففي برنامج خاص عن « تعمير الصحارى » بداه كاتبه بمسمع تمثيلي عن الحياة في الصحارى المصرية موضحا كيف كانت عامرة بالسكان فهو يريد أن يقول إن هذا المكان كان عامرا فينبغى أن نعيد تعميره وهذا كما هو واضح ليس بالسبب الكافي المقنع للاتجاه الى الصحراء ولذلك رؤى أن يخاطب عقل المستمع أولا .. يحدثه عن أهمية اتجاهنا نحو الصحراء لاستزراع أكبر مساحة ممكنة منها ، وكان أن أمسك بالقلم ليضيف هذه البداية .

اللحن والتقديم ثم خلفية بالمؤثرات وراء المسمع التالى :

رجل : الارض الغيط التقاوى الكيماوى المزرعة المية
امراة : العيش الفرن ... الجاموسة العيال ... عيال عايضة ... توضح عيال
عايضة تأكل ... عيال عايضة كساوى .

.. طفل : الكتاب .. المدرسة .. المدرسة .. العامل : الورشة .. المصنع .. السكن ..
شغل .. شغل .. شغل .. وتبدو الحاجة الملحة لمخاطبة عقل المستمع عند معالجة أمور ذات
حساسيات معينة إزاء جمهور المستمعين ، فمثلا موضوع الادخار ، أن تطالب الناس بأن
يقتصدوا فى مصروفاتهم ، أن يغيروا من عاداتهم الشرائية أن يتنازلوا عن بعض مظاهر
الإسراف فى حياتهم لو أن يتبرعوا بالحلى الذهبية أو ببعض اموالهم هنا لا تصلح

مطلقا طريقة الوعظ والإرشاد حتى التبشير بالجنة ونعيم الآخرة ، بل قد تؤدي تلك الى
عكس المقصود منها تماما ، بل قد يسرع المستمع الى اغلاق الراديو وعلى الاقل تحويل
المؤشر الى محطة اخرى وهنا نشير الى تجربتين لبرنامجين عالج احدهما موضوع
الادخار ، وعالج الآخر موضوع التبرعات ، وفى برنامج « وسام لهذا المواطن » تم تقديم

شخصية مدخرة ناجحة كنموذج لما يفعله الادخار وقبل ذلك تم استعراض جوانب الإسراف في حياتنا ، وكان لابد من التحايل على ذلك ومعالجته بحذر شديد وكان لابد من اتباع تخطيط خاص يلزم اتباعه^(٣٦) . ويقدم البرنامج العام برامج خاصة تقدم في مناسباتها وهي :

اسم البرنامج	موعد اذاعته	يوم الاذاعة	موعد الاعداد	يوم الاعداد	عدد مرات الاذاعة اسبوعيا	الزمن المخصص للبرنامج
١ الجائزة التقديرية	ق ١٢ م	الاحد	ق ١٠ م	الاثنين	١	٣٠ ق
٢ من اسبوع لاسبوع	٤٥ ٨ م	السبت	٤٥ ١٠ م	الخميس	١	١٥ ق
٣ فنجان شاي	٣٠ ٩ م	السبت	٤٥ ١٠ م	الاثنين	٢	٣٠ ق
٤ دنيا السياحة	٤٥ ٦ م	الثلاثاء	٤٥ ١٠ م	الخميس	٢	٢٠ ق
٥ الميكروفون مع	٤٤ ١١ م	الجمعة	٤٥ ١٠ م	الاثنين	١	٣٠ ق

والواقع ان كل برامج الاذاعة يمكن أن يكون لها من أثر في التكوين الثقافي للفرد والمجموع سواء كانت برامج الاطفال او الاسرة او كانت اخبارا او برامج متصلة بالاحداث الجارية سواء كانت تمثيلية او برامج توجيهية تنشر مجرد التسلية ، بل إن مثل هذه البرامج خليقة بأن تترك اثرها الثقافي في التنشئة الاجتماعية بطريق غير مباشر .

الهوامش

- (١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : الاحصاءات الثقافية الاذاعة والصحافة مرجع رقم ٦ - ٣١١ يناير ١٩٧٠ .
- (٢) نفس المرجع ، ص ١٥
- (٣) سعد لبيب : اهمية البرنامج الثانى فى مصر - الفن الاذاعى ع^٣ م ٦ يناير ١٩٥٧ .
- (٤) اجناس فانيفتش : الاذاعة وتعليم الكبار - مرجع سابق ذكره ص ٨٧ .
- (٥) الوقائع المصرية ع ١٠١ فى ٤ أغسطس سنة ١٩٤٩ .
- (٦) الوقائع المصرية ع ١٠١ فى ٤ أغسطس ١٩٤٩ .
- (٧) الجريدة الرسمية ع ٩٥ مكررا فى ١/٢/١٩٥٥ .
- (٨) وزارة الثقافة - السياسة الثقافية - (القاهرة مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٩) - ص ٨ ، ٩ - والمؤتمر العام للثقافة والاعلام مارس ١٩٧٨ - القاهرة .
- (٩) نفس المرجع ، ص ٨ ، ٩
- (١٠) نفس المرجع ، ص ٩
- (١١) وزارة الثقافة : السياسة الثقافية - مرجع سبق ذكره ص ١
- (١٢) نفس المرجع ص ٩
- (١٣) نفس المرجع ص ١٠
- (١٤) المرجع السابق ص ١١
- (١٥) القرار رقم ٧٠٠ فى شأن تنظيم هيئة اذاعة الجمهورية العربية المتحدة فى ١٥ نوفمبر ١٩٦٧ .
- (١٦) اجناس فانيفتش : الاذاعة وتعليم الكبار - مرجع سبق ذكره ص ٨٨ .
- (١٧) د . جيهان رشتى : الاسس العلمية لنظريات الاعلام - المرجع السابق ص ٢٠٤ .
- (١٨) دونالد ماكوينى : فن الراديو مجلة الفن الاذاعى ع^{٣٣} م ١٤ فى ابريل ١٩٧١ .
- (١٩) مجلة الفن الاذاعى ع^{٣٣} م ١٤ فى ابريل ١٩٧١ .
- (٢٠) فؤاد زكريا : الاذاعة المرئية والثقافة العربية المعاصرة ، فى حلقة الاذاعة المرئية مرجع سبق ذكره ٦٩ .
- (٢١) فاروق شوشة : لغتنا الجميلة ، (القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٧٣) ، ص ٦ .

- (٢٢) نفس المرجع ص ٦ .
- (٢٣) المرجع السابق ص ٦ .
- (٢٤) د . عبد الحميد يونس وآخرون : فن الإذاعة - مرجع سبق ذكره ص ٢٣ .
- (٢٥) فؤاد زكريا : الاذاعة المرئية والثقافة العربية المعاصرة « في حلقة الاذاعة المرئية مرجع سبق ذكره ص ٦٩ .
- (٢٥) الفن الاذاعي - ع ٣٨ م ١١ في يناير ١٩٦٧ .
- (٢٦) الفن الاذاعي - ع ٣٨ م ١١ في يناير ١٩٦٧ .
- (٢٧) نفس المرجع السابق ص ٣٥ .
- (٢٨) نفس المرجع السابق ص ٣٥ .
- (٢٩) نفس المرجع السابق ص ٣٥ .
- (٣٠) نفس المرجع .
- (٣١) نفس المرجع .
- (٣٢) عباس محمود العقاد : كيف نكتب على الاثير ولماذا تختلف اصوات الناس ، مجلة الهلال ع ٢ م ٦٣ في فبراير ١٩٥٥ .
- (٣٣) دانبارا : المرجع السابق ص ٣٧ .
- (٣٤) عبد المجيد شكرى : « مفهوم البرنامج الخاص » الفن الاذاعي - القاهرة ع ٢ م ١٢ يناير ١٩٦٨ .
- (٣٥) عبد المجيد شكرى : « مفهوم البرنامج الخاص الفن » الاذاعي - القاهرة ع ٢ م ١٢ يناير ١٩٦٨ .
- (٣٦) نفس المرجع ص ٧ .

الفصل الرابع

البرامج الثقافية في صوت العرب

نحاول في هذا الفصل التعرف على البرامج الثقافية في صوت العرب فنبدأ بالتعرف على الاهداف العامة وعلى مضمون البرامج وشكلها ، فنحدث عن اذاعة صوت العرب واهدافها وعن البرامج الثقافية العامة ، والاحاديث والندوات والقصة والشعر والكتاب والمجلات الثقافية والرسائل الجامعية وتبسيط العلوم والبرامج الخاصة .

اذاعة صوت العرب :

في مايو سنة ١٩٥٢ روى توجيه برنامج الى الجماهير العربية في جميع اجزاء الوطن العربى ... وقد سارعت الاذاعة الى تنفيذ هذه الرغبة ، فبدأت في دراسة إمكاناتها الهندسية والفنية المختلفة ، وانتهت هذه الدراسة في شهر يونية سنة ١٩٥٢ على النحو التالى : —

اولا : امكان تخصيص ساعة كل يوم للبرنامج المطلوب استقطاعا من وقت الارسال المخصص للبرنامج الثانى الذى كانت الاذاعة تقدمه في ذلك الوقت لمدة ساعة ونصف من مغرب كل يوم .

ثانيا : ضرورة تقوية محطات الإرسال حتى يصل البرنامج المطلوب بوضوح الى المستمع العربى المنتشر فيما بين شواطئ الخليج العربى والمحيط الاطلنطى :

ثالثا : تكليف مراقبة البرامج الثقافية اعداد وتقديم هذا البرنامج واختير له اسم اذاعة صوت العرب من القاهرة .
وقد تحدد لصوت العرب ثلاثة أهداف هي نفسها أهداف ثورة ٢٢ يوليو كما تحدد آنند في « فلسفة الثورة » .

اولها : التعبير الصادق عن آلام وآمال الجماهير العربية في جميع اجزاء الوطن العربى .
ثانيها : الدعوة الى تحرير البلاد العربية من الاستعمار وعملائه وتحكم الرأسمالية والإقطاع في جماهير العرب .
ثالثها : العمل على جمع كلمة العرب وحشد قواهم ضد اعداء العروبة والسعى معهم لتحقيق الوحدة العربية المرجوة .

وقد تطورت هذه الاهداف مع التطور السياسى العربى في مصر ، على نحو يجعل من هذه الاذاعة مرآة تعكس وجهات النظر وتبرز سياسات الجمهورية العربية المتحدة (بعد قيام الوحدة في سنة ١٩٥٨) وسياسة جمهورية مصر العربية وتجربتها النضالية في سبيل غايات امته العربية وتحقيق امانيتها وتهدف الى : —

(١) تبنى وجهة نظر الثورة فكريا ونضاليا واتجاهات جمهورية مصر العربية إزاء القضايا المختلفة

(ب) تأكيد الارتباط المصيرى للوطن العربى بجمهورية مصر العربية .
(ج) التصدى للأفكار المعادية سياسيا وعقائديا والكشف عن زيفها وتناقضها مع أهداف ومبادئ الأمة العربية بشكل علمى وموضوعى .
(د) تقديم جمهورية مصر العربية للأمة العربية باعتبارها نموذجا للدولة التقدمية لا بالنسبة للأمة العربية فقط وانما بالنسبة ايضا لدول العالم الثالث .

(هـ) دعم المبادئ القومية وابرار مضمونها وتأكيد وحدة القوى العربية .
(و) تأكيد دور القاهرة كمركز شعاع فكرى وثقافى وسياسى ، واستقطاب اهتمام التنظيمات الشعبية العربية من خلال عرض نشاطها ، وتقديم نماذج نشاطات التنظيمات المماثلة في مصر ، وكذلك إبراز النشاط الداخلى في الاقطار العربية في مجالات الفن والثقافة والفكر جذبا لاهتمام المستمعين العرب وتأكيدا لدور الجماهير العربية ، والحرص على أن يكون صوت العرب هو مصدر الاخبار الموثوق بها والحقائق الكاملة غير المجزأة .

وبعد مايو ١٩٧١ ، أى بعد ثورة التصحيح واصلت اذاعة صوت العرب دورها القومى على نحو يمكن من إحداث التقارب العربى ، وعنيت بتوجيه برامجهما على نحو يكفل

بناء الإنسان العربى الجديد « منفتحا على العالم اجمع بكل ثقافته وبكل ما يصنع من تقدم حضارى وتكنولوجى ... قادرا على الإسهام بقوة فى هذه الحضارة ... إنسانا يعرف كل شئ عن كل شبر من أرضه العربية ، يعرف أن العمل الجاد وحده هو الذى يدفعه الى الامام ، الى أهدافه وليس الصراخ والتشنج والوقوف (مهلك سر)^(١) .

وكما تجلت روح أكتوبر ١٩٧٣ فى ساحات المعارك العسكرية فانها تجلت ايضا فى شتى مجالات العمل الوطنى . وبنفس روح المقاتلين كان العمل يمشى فى « صوت العرب » خلال المعارك وبعدها ، الامر الذى ظهرت نتائجه على كافة البرامج والمواد المذاعة ، لكى تؤدى اهدافها فى تقديم الاخبار الصادقة والتعليق السريع المركز على أهم الاحداث وفتح منافذ للحوار حول أحداث الساعة بين صوت العرب والمستمعين وبين كبار الكتاب والمفكرين السياسيين وتقديم التحليلات السياسية التى تواكب تطورات الاحداث وذلك من خلال الفترات الإخبارية الكاملة التى يقدمها صوت العرب ثلاث مرات يوميا فى الساعة الواحدة والنصف ظهرا والساعة الثانية مساء والساعة العاشرة والنصف مساء ومدة كل فترة ثلاثون دقيقة بالإضافة الى ملخصات وعروض الانباء ونشرة الاخبار الصباحية والبرامج الموجهة الى جزيرة العرب والى الشعوب الصامدة فى داخل سيناء^(٢)

ولقد بدأت اذاعة صوت العرب ارسالها فى الساعة السادسة من مساء يوم السبت الرابع من يوليو سنة ١٩٥٣ وقد استمر الارسل لمدة نصف الساعة ضمت^(٣) :

١ — كلمة الاذاعة .

٢ — كلمة السيد رئيس الجمهورية

٣ — كلمة السيد الامين العام لجامعة الدول العربية .

٣ — برنامج عن الفن فى خدمة العربية وتتابع حلقات الاذاعة كل يوم بعد برنامج الافتتاح على النحو التالى : —

(أ) نشرة الاخبار .

(ب) تعليق عام وأقوال الصحف .

(ج) غناء من مختلف البلاد العربية .

(د) حديث أو محادثة أو برنامج خاص يتناول امجاد العرب وأسباب وحدتهم .

وكان رد الفعل الذى أحدثه بدء إرسال صوت العرب من القاهرة ومن قبل حكومة الثورة مختلفا فى الوطن العربى ، فالشعوب وجدت فيه مرآة تنعكس عليها آلامها ، وجهازا يدعوها لتحقيق آمالها ، بعكس بعض الإذاعات التى تستهدف خداع العرب وصرفهم بعيدا عن أمانهم فى التحرر والتقدم والوحدة .

التحرر

والمستعمرون
والمستعمرون بعملائهم وحكام بعض البلاد العربية والعصابات الصهيونية التي
تغتصب فلسطين ، وجدوا فيه خطرا عليهم وعلى وجودهم بحكم ما يدعو إليه وبحكم ثقة
الشعب التي انهالت عليه .

وبعد مضي أكثر من شهر ونصف على بدء ارسال صوت العرب ، خلع الاستعمار
الفرنسي سلطان المغرب السلطان محمد الخامس ولما كان إقدام ^{فرنسا} فرنسا على ذلك يرجع الى
رفض السلطان توقيع عدة قوانين يريد بها الاستعمار تشديد قبضته على المغرب والقضاء
على بشائر حركة تحريرية تريد الخلاص منه ، فقد انتفضت في القاهرة حكومة الثورة
استنكارا للاستعمار وتأييدا للسلطان .

وقد شن صوت العرب حملة يومية عنيفة على الاستعمار الفرنسي وجريمته ... وأيد
خلالها الشعب العربي الذي هب يدافع عن سلطانه وكرامته ويطالب باستقلاله وحرية .
وقد كان دور صوت العرب في معركة عودة السلطان محمد الخامس ورفع الحماية
الفرنسية عن المغرب دورا رئيسيا أشاد به ملك المغرب الراحل والملك الحالي في تسجيلات
كثيرة منها :

« تسجيل للملك محمد الخامس لبعثة صوت العرب التي زارت المغرب عقب عودته
من المنفى سنة ١٩٥٥ » .
« تسجيل للملك الحسن الثاني أثناء زيارته لمصر سنة ١٩٥٦ عندما كان ولياً للعهد .
للعهد .

قال الملك الراحل محمد الخامس : « ولقد كانت اذاعة صوت العرب من القاهرة
البشير لي في المنفى بأننا سننتصر كما كانت اذاعة صوت العرب التي وقفت الى جانب
شعبنا تهيب به أن يثور حتى ثار ونال حريته واستقلاله » .

وقال الملك الحسن الثاني : « ولا يمكن العربي أن ينسى الدور الكبير الذي تلعبه
اذاعة صوت العرب في خدمة القضايا العربية . ونحن في المغرب نكن لصوت العرب عرفانا
عميقا لوقفته مع المغرب في محنة نفى الملك » .

وقد حاولت حكومة فرنسا الضغط بمختلف الوسائل على حكومة الثورة لتحويل دون
تأييد صوت العرب للشعب العربي في المغرب وللحركات الثورية في تونس ثم في الجزائر
ولكن حكومة الثورة أبت أن تتنكر لمبادئها العربية وتحويل دون اذاعتها العربية وتحقيق
اهدافها التي أنشئت من أجلها .

وفي خلال الاعوام ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ خاض صوت العرب تجارب اذاعية عديدة للوصول الى مرحلة الإتقان في الشكل والمضمون فمن حيث اللغة الاذاعية التزم صوت العرب بالمفهوم العلمى لهذه اللغة سواء في الاسلوب المباشر أو الدراما . وأصر على تنقية اللغة من شوائب التكرار والمغالاة والسطحية والارتجال . واتجه الى تجديد اسلوب المناقشات واللقاءات الاذاعية وتطوير العمل الاذاعي لخدمة أهداف مرسومة وذلك بايجاد صلات مستمرة بالمذيعين العرب من خلال استنباط برامج متعددة تعتمد على رسائل المستمعين مع انتظام الرسائل الخاصة بين إذعة صوت العرب ومستمعيها .

ولقد اتاح نشاط المندوبين والمراسلين الفرصة التي طالما ترقبها صوت العرب لتأكيد شخصيته كاذاعة للوطن العربي ، وادى ذلك الى تطوير برامج كثيرة .

تطور إرسال صوت العرب :

كان للنجاح الكبير الذي احرزه صوت العرب في شهوره الاولى دافع ثورى لتدعيم وزيادة ارساله ، ففي أكتوبر سنة ١٩٥٣ ، ولم تكن قد مضت غير شهور ثلاثة على بدء صوت العرب حتى اصبح الارسال ساعة كل يوم .

وفي يناير سنة ١٩٥٤ ألغى البرنامج الثانى وحل مكانه صوت العرب وبارسال يومى مدته ساعتان .

وعندما تولى الصاغ صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة وزارة الإرشاد القومى والإشراف على الإذاعة عنى بأن يحقق صوت العرب اهداف الثورة فارتفع عدد ساعات صوت العرب في يوليو سنة ١٩٥٤ الى سبع ساعات كل يوم منها ساعة كل ظهر . وازداد نجاح صوت العرب في حمل رسالة الثورة الى الامة العربية فازداد اهتمام حكومة الثورة بتدعيم صوت العرب بالاجهزة القوية .

وعندما تولى الدكتور محمد عبد القادر حاتم الإشراف على هيئة الإذاعة تتابع اهتمام حكومة الثورة باذاعتها العربية حتى اصبحت مدة ارسال صوت العرب ٢٢ ساعة وربع من كل اربع وعشرين ساعة يبثها صوت العرب على اقوى اجهزة ارسال تصل فيما بين المحيط الاطللنى والخليج العربى . وتخدم جميع قضايا العرب التحررية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

البرامج الثقافية في صوت العرب :

واذا كان الهدف الثقافي لاذاعة صوت العرب قد اتضح مما تقدم ، فان تخطيط البرامج واختيار مادتها الثقافية يقوم على اساس من هذا الهدف الذى يتلخص فى التوجه الى الجماهير العربية ، ولعل هذا الهدف العربى الذى يركز على المستوى البيئى العربى ، ان يكون مميزا للعنصر الثقافى فى برامج صوت العرب عن غيرها من البرامج الاذاعية الاخرى .

وقد تطورت البرامج الثقافية فى صوت العرب منذ انشائه فى سنة ١٩٥٢ ، حيث نصف الساعة من الإرسال فى ٤ يوليو ١٩٥٢ ، برنامج عن الفن فى خدمة العربية وتتابع حلقاات الاذاعة كل يوم متضمنة كذلك حديثا أو برنامجا خاصا يتناول امجاد العرب واسباب وحدتهم .

كما حرصت اذاعة صوت العرب فى فى مراحل تطورها المختلفة على ربط المستمع بالكتاب فبدأت فى شهر مارس ١٩٦٢ تقدم برنامجا يوميا بعنوان « كتاب اليوم » الذى أصبح الآن « قرات لك » يقدم كل يوم عرضا لاحد الكتب من إعداد احد كبار النقاد العرب . وتتناول هذه الكتب كل ما يتصل بالوطن العربى وتراثه ومشاكله وثرواته والتطور الدولى والعلمى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى . ويقدم هذا البرنامج ١٠ر٥٠ صباح كل يوم ويعاد ١٥ر٥ مساء .

كما قدمت اذاعة صوت العرب حلقات مسلسلة توظف الدراما لاغراض الثقيف فقدمت حلقات استغرق كل منها شهرا كاملاً عن الفارس والشاعر العربى عنتر بن شداد ، وعن الملك الشاعر امرئ القيس والامير الفارسى فارس بنى حمدان والبطل المغربى الاسلامى طارق بن زياد كذلك قدمت مسلسلات عن كتب :

شهرزاد والمعذبين فى الارض والوعد الحق للدكتور طه حسين . ومسلسلات عن قصص فى بيتنا رجل — شىء فى صدرى لإحسان عبد القدوس . ومسلسلات عن ثلاثية بين القصرين وقصر الشوق — والسكرية لنجيب محفوظ . وقدمت ايضا رواية واسلاماه لعلى احمد باكثير فى حلقات مسلسلة استغرقت ثلاثين حلقة .

وقدم صوت العرب ٢٤٠ حلقة يومية لبطل عربى رمزى اسماء « السندباد العربى » ليعرض من خلال مغامراته المثيرة ، رحلاته فى ارجاء العالم العربى من خلال اسكوب اذاعى وفى دورة ابريل يونيو ١٩٧٨ اعد صوت العرب هذا البرنامج تحت عنوان « عودة

ابن بطوطة ، لمدة نصف الساعة كل اسبوع ، وهو برنامج درامى يقوم على تخيل ان ابن بطوطة عاد الى الحياة ويقوم بجولات معاصرة في البلاد العربية ومن خلال مغامراته وجولاته نتعرف على مظاهر الحياة المعاصرة في البلاد العربية ووفقا للتصنيف الذى تأخذ به الاذاعة ، والذي سبق الحديث عنه بالنسبة للبرنامج العام نحاول التعرف على البرامج الثقافية في خريطة صوت العرب من يناير ١٩٧٨ .

السنة البرامج	عام ١٩٧٠ / ١٩٧٠			عام ١٩٧٠ / ١٩٦٩			الفارق النسبى
	النسبة	ت	ق	النسبة	ت	ق	
برامج اعلامية	٢١,٧١	١٩٦٠	٤٩	٢٤,٥٦	٢٣٣٤	٥١	٪ ٢,٨٥
اعلانات تجارية	—	—	—	—	—	—	—
برامج تعليمية	٪ ١٠	٨	٣٤	٪ ١٢	١١	٤٥	٪ ٠,٠٢
برامج ترفيهية	٪ ٥٥,٢٨	٤٩٩٣	٢	٪ ٥٣,٠٢	٥٠٣٩	٨	٪ ٢,٢٦ +
برامج ثقافية	٪ ٧,٧٠	٦٩٥	٤٩	٪ ٧,٤٧	٧٠٩	٢٩	٪ ٠,٢٣ +
برامج درامية	٪ ٤,٣٩	٣٨٧	٣٦	٪ ٤,٧٣	٤٤٩	٩	٪ ٠,٤٤
برامج دينية	٪ ٧,٢١	٦٥١	٢٥	٪ ٦,٣١	٥٩٩	١٦	٪ ٠,٩٠ +
برامج الطرائف	٪ ٣,٧١	٣٣٤	٤٧	٪ ٣,٧٩	٣٦٠	٤٣	٪ ٠,٠٨ -
الاجمالى	٪ ١٠٠	٩٠٣٢	٢	٪ ١٠٠	٩٥٠٤	٢١	٪ ٣,٣٩

ومن الجدول نتبين بعض النقص في اجمالى ساعات ارسال عام ١٩٧١ / ٧٠ عن الاجمالى المناظر في العام السابق له ، ونلاحظ من مقارنة التوزيع النسبى للبرامج في العامين ان هناك برامج زادت نسبة ساعات إرسالها هي :

البرامج الترفيهية + ٢,٢٦ ٪

البرامج الدينية + ٠,٩٠ ٪

البرامج الثقافية + ٠,٢٣ ٪

وعلى النقيض من ذلك فان برامج اخرى نقصت نسب ساعات إرسالها وهي :

— البرامج الإعلامية ٢,٨٥ ٪

— البرامج الدرامية — ٠,٤٤ ٪

— برامج الطرائف — ٠,٠٨ ٪

— البرامج التعليمية — ٠,٠٢ ٪

وبحساب معامل التخالف بين التوزيعين النسبيين في العامين ، وجد انه يبلغ ٣٩ر٣٪ وهو معامل صغير لا ينبىء عن تغير ما في سياسة الخدمة نحو توزيع ساعات إرسالها على مختلف الخدمات .

ولما كان الهدف السياسى هو مسئولية اذاعة صوت العرب لذلك فقد جعل العديد من البرامج السياسية الهادفة في مقدمة البرامج . ونظرا للتوسع في مجالات العمل السياسى الذى تتطلبه المرحلة الحاضرة ، فقد أدخلت عدة تعديلات على مراقبة الشئون السياسية بحيث أصبحت تواكب الاحداث أولا بأول ، وتضم المراقبة إدارة للتوجيه والتحليل السياسى تقوم بتحليل الاخبار والموضوعات المعادية مع الإشارة الى الموضوعات والاخبار غير المعادية ، وذلك للمشاركة في اعداد خطة صوت العرب للرد عليها وايضاح ما ترمى اليه من تأثيرات مسموعة في المستمع العربى وتوزيع الخطة السياسية اليومية على جميع مراقبات صوت العرب ليتسنى معالجة الموضوعات حسب هذه الخطة .

البرامج الثقافية في صوت العرب

البرامج الثقافية العامة	الاحاديث والندوات	القصة	البرامج الخاصة	المسرح والسينما	الكتاب والمجلات	العلوم
بطاقة ثقافية	من القلب للقلب	عالم القصة عالم السياحة	عالم المسرح	ش الصحافة اقتصاد		
عالم الفكر	حديث الذكريات	شخصيات تحت سينمات	قرات لك	عالم الغد		
قصاقيص	اللقاء المفتوح	سهرة الاحد	الاضواء	عالم المجلات		
المسابقات	الشعر	رسائل جامعية	الموسيقى			
—	عالم الشعر رسائل جامعية مع الموسيقى العالمية					

(١) البرامج الثقافية العامة :

ومن هذا الجدول يتضح أن صوت العرب يقدم ثلاثة برامج ثقافية ثابتة وهذه البرامج هي :

١ — عالم الفكر :

برنامج اسبوعى مدته ١٥ دقيقة يقدم ٨ر٤٥ مساء الاحد من كل اسبوع وتعاد اذاعته ١١ر٣٠ صباح الثلاثاء : تقديم مدحت زكى .

وهذا البرنامج تطوير لبرنامج « الفكر العربي » الذى كان صوت العرب يقدمه من قبل ويتناول « عالم الفكر » بالعرض والتحليل والنقد والتوجيه نشاط المفكرين والادباء والشعراء العرب .

بل إن هذا البرنامج يؤكد مفهوم البرامج الثقافية من حيث عنايتها بالعلوم الى جانب العناية الانسانية ، ففي حلقة ٢٩ / ١ / ١٩٧٨ استضاف البرنامج د . مصطفى طلبه نائب السكرتير العام للأمم المتحدة ود . محمد عبد الهادى مدير مركز الاستشعار من البعد فى ندوة حول التكنولوجيا والتنمية .

ويتناول « عالم الفكر » من خلال الاستعراض الإذاعى أوجه النشاط الفكرى بوجه عام فى الوطن العربى ، ويستهدف ربط العرب ثقافيا ويتبع حركة الفكر والثقافة المعاصرة ويقدم آخر أنبائها ومختلف وجهات النظر فيها .

وبرنامج « عالم الفكر » ، بخاصة والبرامج الثقافية فى صوت العرب بعامة تعتبر مدخلا رئيسيا الى الثقافة العامة ، تستهدف تشجيع المستمع العربى بالروح الثقافية او تحول اليها لتكون عاملا مساعدا له على البحث والتنقيب عن الثقافة والخوض فى اعمالها دارسا وباحثا عن الحقيقة .

ويقدم هذا البرنامج قضايا الثقافة والفكر من مواقعها واقتراح الحلول الملائمة للمشكلات الفكرية والمختلفة ومما قدمه (قضية النشر — قضية الامية — البحث العلمى — الامن الغذائى) .

٢ — بطاقة ثقافية :

برنامج يومى مدته ٥ دقائق يذاع ١٢ر٤٥ ظهرا وتعاذا إذاعته ٤٥ر٥ مساء ، وقد توقف فى دورة ابريل ١٩٧٨ . ويقدم هذا البرنامج على اساس تقديم معلومة ثقافية مبسطة ومركزة عن حدث ثقافى او شخصية فكرية او كتاب من الكتب التى أثرت فى التراث الإنسانى او مصطلح ثقافى او فكرى او علمى او مثل معين

وقد استبدل به فى الدورة الجديدة برنامج « وجدتها » لمدة ٥ دقائق يوميا ، وهو برنامج ثقافى يتوقف فى كل حلقة أمام اكتشاف علمى تنعم البشرية بآثاره ويقدم قصة هذا الاكتشاف

على أن إلغاء برنامج « بطاقة ثقافية » ينبغى أن يعاد النظر فيه ، لان هذا البرنامج من خلال الجرعات الثقافية التى كان يقدمها ، كان يسهم فى تكوين المواطن العربى

وتهيئته للوعى بتراثه ومعيشة عصره ، كما أن المعلومات الثقافية القومية والانسانية التى كان يقدمها كانت تستند الى أصولنا وتراثنا وتستوعب تيارات .. العصر .

ذلك أن هذا البرنامج وغيره من البرامج الثقافية ينبغى أن تتغيا إعداد المواطن العربى إعدادا ثقافيا متكامللا لا يقتصر على التخصص المهنى الدقيق وتحقيق التوافق بين التكوين العقلى والروحى والجسمانى .

وانطلاقا من هذا الهدف الثقافى لابد من مراعاة المعايير التالية : —

(١) ارتباط التخطيط للبرامج الثقافية فى صوت العرب بأهداف واضحة وواقعية حتى يتسنى وضع برامج قابلة للتنفيذ .

(ب) التعرف على احتياجات المستمع العربى الحقيقى مثل وضع الخطة الإذاعية والغاء بعض البرامج ، وإشراك المستمعين من خلال البحوث العلمية فى التعبير عن مطالبهم .

(ج) ارتفاع نسبة الامية فى الوطن العربى وما يتطلب ذلك — فضلا عن العمل على محوها بكل الوسائل — من ضرورة الاعتماد على الصورة والكلمة المسموعة كأدوات فعالة للتوصيل الثقافى ومراعاة لحق الأميين فى الثقافة .

(د) إعداد الدراسات والبحوث الثقافية اللازمة لقياس اثر العمل الثقافى واحتياجات المستمع العربى قبل وضع خطة البرامج ، واستخدام الإحصاء الثقافى كوسيلة من الوسائل المعينة على إعداد هذه الدراسات وعلى قياس المطالب والاحتياجات مع الاستعانة بالإحصاءات الموجودة لدى الأجهزة الأخرى .

وقد تميز هذا البرنامج باستغلال صوتيين إذاعيين (مدحت زكى ، والهام الحكيم) فى تقديم الفكرة الثقافية يتخلل الحديث موسيقى ومشاهد تمثيلية ، بحيث يمكن القول إن هذا البرنامج يقدم فكرة مسموعة يوميا لا تستنفذ اغراضها . وقد حرص هذا البرنامج على عدم الالتزام بالترتيب الهجائى ، حتى لا يلزم المستمع بنسق معين فى الاستماع لمعلومة ثقافية جديدة .

وقد قدم برنامج « بطاقة ثقافية » ، ٩٠ حلقة فى شتى فروع المعرفة خلال دورة يناير ١٩٧٨ مثل اللغة — الادب — التاريخ — نظرية — المحاكاة — الزار — الحكايا الشعبية — المجموعة الشمسية — الاستشعار من البعد — بديع الزمان الهمدانى — ديك الجن — أبو العلاء المعرى — تأبط شرا — الموسيقى — السينما — المسرح — الصحافة — الاذاعة — ابن حزم — احمد شوقى — حافظ ابراهيم — احمد لطفى السيد — طه حسين — البحار — الانهار — الشعراء الصعاليك — الزكاة — المعتزلة —

الالعاب الاولمبية — الرياضة — السلام — الحرب — القاهرة — الاسكندرية — بابل — اخناتون .

٣ — قصاصيـص :

مجلة إذاعية اسبوعية تقدم في منتصف ليلة الجمعة من كل اسبوع ، لمدة ساعة وتتناول الحياة الثقافية من خلال القصة والخبر والمقال ، وتتوسل بعدة اساليب إذاعية في التقديم مثل الحوار والتمثيلية والاغنية ، وتتخذ مجلة « قصاصيـص » شكلا صحفيا يفيد من فنون التحرير الصحفي ، وخاصة فن التحقيق ، في تقديم المادة الثقافية كما أنها تفيد من المنوعات الإذاعية في وصل المستمع بالمادة الثقافية ، من خلال تقديم فقرات من الطرائف والغرائب واستضافة بعض الشخصيات لمعرفة مايشغلهم من مشروعات المستقبل ، ولتعريف المستمع بالحقائق عن طريق الارقام السريعة ، وتعتبر هذه المجلة امتدادا لبرنامج « الكشكول » الذي كان يقدم سنة ١٩٧٠ ولبرنامج من « هنا وهناك » الذي كان يقدم في هذا العام أيضاً والذي كان يتجول بين الصحف العربية ويجسد أهم الموضوعات بطريقة أشبه بالدراما ويطعم بأغنيات وهو ما تفعله مجلة قصاصيـص الآن . ومن ذلك يتضح أن برنامج « قصاصيـص » من البرامج التي تقدم مضمونا ثقافيا ، يعرض من خلال شكل ملائم للصفات المميزة للإذاعة المسموعة ، أى أنه يعرض المضمون الثقافي في اطار فنى يحقق مايتوقعه مستمع صوت العرب ولكن المضمون ذاته لا يخلو من نقائض بدوره ، فكثيرا ما يكون سطحيا أو مفرطا في أداء التعلم أو ضعيف الصلة بالموضوع .

فهذا البرنامج الموجه من صوت العرب لايعنى باستخدام اللغة العربية السليمة ، في كثير من فقراته ، ينبغى أن يهتم بمصادر الثقافة العربية والعمل على تقديمها بطريقة تراعى أصول العمل الإذاعى دون إضرار أو تشويه لها .

ب (الاحاديث والندوات :

سبق أن تحدثنا عن برامج الاحاديث والندوات في البرنامج العام ، ولكننا نلاحظ هنا ان ساعات الارسال المخصصة للاحاديث والندوات في البرنامج العام تزيد عنها في صوت العرب ، ففي البرنامج العام يخصص للاحاديث والندوات ٧٦ ق ٢٠ في حين يخصص لها في صوت العرب ٢٨ ق ٢٠ ، ولعل ذلك يرجع الى اهتمام البرنامج العام منذ نشأته بوضع سياسة مدروسة ثابتة للاحاديث والندوات في حين اتجه صوت العرب اتجاهها سياسيا قوميا ، جعل الاحاديث سياسية بوجه عام . ولعل في ذلك ما يفسر السبب الذى جعل اذاعة صوت العرب تدرج الاحاديث والندوات تحت عنوان البرامج العقائدية ، التى

تعنى المواد الاذاعية التى تخرج عن نطاق الترفيه المحدد والمواد الخفيفة ذات الطابع الثقافى العام ، وتتعدو الاحاديث العقائدية فى صوت العرب مرتبطة بالفكر السياسى ، والمعارك الايديولوجية التى يروج بها الوطن العربى . وتهدف البرامج العقائدية لصوت العرب الى غايات هى : —

- ١ — أن تشرح وتفسر وتوضح موقف مصر من التيارات وأوجه الصراع التى يروج بها الوطن العربى .
 - ٢ — أن تبشر بالحلول التى تبنتها مصر للمشاكل السياسية والاجتماعية العربية وأن تبرز نجاح القاهرة فى تطبيق هذه الحلول .
 - ٣ — أن توجد صلات روحية بينه وبين المستمعين العرب بمختلف قطاعاتهم ترسيخا لاساس الوحدة الفكرية العربية .
 - ٤ — أن تؤكد على كل مقومات الوحدة العربية من لغة وأرض وتاريخ ودين ومصير واحد ببرامجها المختلفة .
 - ٥ — أن تسهم فى إحياء الفكر العربى والتراث العربى كسياج يدعم تلك المقومات .
 - ٦ — أن تفتح نافذة فكرية على مختلف التيارات الفكرية والثقافية والعقائدية تحليلا وتفسيرا ونقدا بما يتفق مع المفاهيم العربية فى كل هذه المجالات .
- ومن برامج الاحاديث والندوات ذات الطابع الثقافى التى تقدمها إذاعة صوت العرب هذه البرامج :

١ — من القلب للقلب :

حديث اسبوعى يقدمه سعد زغلول نصارى يوم السبت من كل اسبوع ٦ر٣٥ مساء ، « من القلب للقلب » بشكله الاذاعى الذى يقدمه صوت العرب اشبه بفن اليوميات الصحفية ، حيث يتميز بالإيناس واقامة علاقات إنسانية مع المستمع من خلال الحديث . ولكن مضمون هذا البرنامج ينبغى أن يركز على الخطط أو المشروعات الرئيسية فى المجالات الاجتماعية والثقافية على المستوى العربى كله ، وأن يعنى باختيار مجموعة من القيم الاجتماعية الجديدة التى ينبغى غرسها أو تأكيدها لدى المستمع لإذاعة صوت العرب لضرورتها فى التطور الثقافى ذلك أن عملية التطور الثقافى تقتضى بالضرورة غرس قيم ثقافية جديدة أو تأكيدها اذا كانت موجودة من قبل على نحو ما — وذلك فى مواجهة مجموعة اخرى من الاتجاهات التى قد تصبح متخلفة بالنسبة لظروف التطور ويترتب على بقائها تعويق عجلة التطور والوقوف بينها وبين الانطلاق المطلوب .

ويشير هذا البرنامج دور « الاحاديث » الاذاعية في تثقيف الكبار في مجتمع عربي تنتشر فيه الامية وتندم فرص التعليم امام الكبار ، ذلك أن هذه الاحاديث ينبغي أن تفتح عهدا لاتكون فيه الامية ذاتها مشكلة ، وهناك من يذهب إلى أن عهد الثقافة المقروءة ، ثقافة الاوراق والصحف والكتب سينتهى عما قريب ، وسيحل محله عهد الثقافة المسموعة والمصورة . وفي هذه الحالة لن يكون لمشكلة الامية معنى ، لأن وسائل جديدة لتثقيف الانسان ستحل محل الرموز المكتوبة وقد يكون هذا رأيا مبالغيا فيه ، ولكنه لاينبغي أن يقابل بالاستخفاف في مجتمع يعاني من استفحال الامية ولايبدو حتى الآن قادراً على التخفيف من وطأتها ، فاذا لم يكن هذا هو الحل الوحيد والنهائي لمشكلة الامية ، فهذا على الاقل حل جزئي ينبغي أن نبداً به في بلادنا العربية بالذات اعظم الاهتمام^(٣) .

على أن إمكانات الاحاديث الاذاعية في مجال ثقافة الكبار ، لا تقتصر على اتاحة الفرصة امام الاميين للحاق بركب الثقافة ، بل إن كل فرد ، مهما كان نصيبه من التعليم ، يجب أن يجد في الاذاعة زادا ثقافيا لا غناء عنه ، فالمثل الاعلى للتعليم في نظر المفكرين المعاصرين ، هو التعليم مدى الحياة أى الذى لا يقتصر على التلقين ، الرسمى في المدارس ، بل يشتمل على ثقافة تظل تتجدد مع الانسان طوال مراحل عمره^(٤) . وهنا تستطيع الاحاديث الاذاعية أن تسهم بدور كبير في تكوين عقلية الانسان العربى الجديد

٢ — حديث الذكريات :

حديث اسبوعى مدته ساعة بعد منتصف الليل يذاع يوم السبت ، ويستضيف شخصية عامة فكرية أو سياسية أو أدبية ويستعرض معها تاريخها وصفحات من تاريخ بلد الضيف ويتخلل البرنامج اعمال درامية .

وهذا النوع من الاحاديث الاذاعية من افضل الاساليب الفنية لتقديم المادة الثقافية ، ذلك أن مستمع الراديو — كما يقول « فريد الن » لم يكن يرى شيئا ، كان في وسع كل فرد أن يستمتع بنفس البرنامج طبقا لمستواه الثقافى ، وقدرته الذهنية ومع ارتفاع تكاليف المعيشة وكثرة المشكلات التى تواجهه في العالم الحديث ، كان كل ما بقى للإنسان الفقير هو خياله وجاء التليفزيون ليأخذ منه هذه المتعة الوحيدة الباقية له .

وطبيعة البرنامج تتيح له أن يقدم فروع الثقافة من خلال احاديث شخصيات متعددة الاهتمامات ، ومن ذلك مثلا ما قدمه البرنامج مساء السبت ١٩٧٨/١/٧ حيث استضاف يحيى شاهين الذى تحدث عن مشوار حياته وكفاحه في ايام شبابه الى أن وصل الى الصف الاول في التمثيل وكيف عمل في اعمال كثيرة وهو صبى وصمم على أن يشتغل في

مجال التمثيل ، ومن خلال هذا الحديث تعرف المستمع على مسرح فاطمة رشدى وجوانب من حياة أم كلثوم والحياة الفنية في مصر بوجه عام كما استضاف البرنامج في حلقاته المذاعة مساء ٢٨/١/١٩٧٨ الموسيقار محمد عبد الوهاب في حديث عن ذكرياته الفنية .

وهنا يمكن القول إن الحديث الاذاعي الذي يفيد من إمكانات الاذاعة مثل هذا البرنامج ، يمكن أن يعاون المستمع العربي على ملاحقة العصر ومتابعة تطوراته وتجديد نفسه مع تجدد الحياة من حوله من خلال احاديث الذكريات مع قادة الفكر .

ولكى يحقق هذا البرنامج وغيره من البرامج الثقافية الهدف الرئيسى للثقافة العربية المعاصرة ، ينبغى أن توضع خطة ترتفع تدريجيا بمستوى اللهجات العامية التى تقدم فيها بحيث تصبح الفاظ الفصحى وتعبيراتها أكثر تداولاً على اللسان بين مختلف فئات الجماهير العربية ، التى تنظر الى قادة الفكر الذين يستضيفهم حديث الذكريات على أنهم قدوة وكذلك ينبغى العمل على ترسيخ القيم العقلية وأساليب التفكير العلمى السليم ، ومحاربة الجهالات والخرافات والعاطفية المفرطة التى جعلت الانسان العربى عاجزاً عن ملاحقة تطورات العصر وتجديداته :

٣ - اللقاء المفتوح :

برنامج اسبوعى يذاع الساعة ٢ ظهر الاثنين لمدة ساعة ، وهو برنامج يتخذ شكل الندوة الاذاعية حيث يقسم البرنامج الى فقرات ، يقوم كل مذيع بتقديم فقرة كاملة ، يعتمد فيها على اللقاءات الشخصية مع الادباء والفنانين والعلماء والجمهور ، ويتميز هذا البرنامج بالطابع الاسرى الذى يرسمه مقدموه الذين يمكن تسميتهم بـ « مجموعة العمل » .

ويتميز « اللقاء المفتوح » فى برامج الاحاديث والندوات بأنه يفيد من خصائص المنوعات من حيث تقديم فقرات متنوعة فى المادة والموضوع والشكل تكاد تقترب من البرنامج الخاص الذى يعتمد اساساً على وحدة الموضوع من تنوع الوسائل الفنية لمعالجته .

ولذلك ينبغى استغلال حاجة المستمع العربى الى الترفيه واثيره لهذا اللون الاذاعى على غيره فى تقديم مضامين ثقافية غير مباشرة من خلال الفقرات الترفيهية ، وذلك من خلال خطة يضعها البرنامج لتحقيق اهدافه الثقافية تتضمن :

- ١ - تدعيم وتطوير الدور الحضارى العالمى للامة العربية لخير البشرية .
- ٢ - مناقشة القضايا الثقافية من خلال نظرة عربية شاملة تكون سبيلاً للتنمية الثقافية وركيزة لخطة عامة للتنمية الشاملة .

٣ — تأكيد اعتبار الثقافة حقاً لجميع المواطنين ، مرادفاً لحقهم في التعليم ولحقوقهم السياسية والاجتماعية .

٤ — وجوب العمل على تعميم استعمال اللغة العربية لغة للبرنامج في جميع فقراته باعتبار أن اللغة القومية هي أهم دعامة للوحدة ، وهي الوعاء الصحيح للثقافة الاصلية للامة ، وإن اصالة التفكير العلمي لا تترسخ في الامة إلا من خلال لغتها .

٥ — ترسيخ المفهوم الصحيح للثقافة العربية من حيث هي ثقافة قومية وانسانية معا تستند الى اصول الامة العربية وتراثها وتستوعب في الوقت نفسه تيارات العصر ، وتدرك آفاقه ، وتشارك مشاركة ايجابية متفتحة اخذاً وعطاء ، في تقدم — الحضارة العالمية .

ج — القصة والشعر :

١ — برنامج عالم القصة :

برنامج اسبوعي مدته ربع الساعة يذاع ٨ر٤٥ مساء الثلاثاء وتعاد إذاعته ١١ر٣٠ صباح الخميس . يتناول بأسلوب ^{بأسلوب} درامي اشهر القصص العربية القصيرة في كل بلد عربي بحيث يقدم في كل حلقة قصة قصيرة من بلد عربي مع تعريف بالكاتب كما يقدم اخبار القصة العربية وآخر انتاجها . وقد ألغى هذا البرنامج في دورة ابريل ١٩٧٨ وحل محله برنامج « عالم القصة العربية » واصبحت مدته نصف الساعة اسبوعياً بدلاً من ربع الساعة كل اسبوع وتقدمه جيلان حمزة ولم يلبث هذا البرنامج أن اختفى أيضاً .

ومن هذا التغيير يتضح أن « عالم القصة » كان يقوم بدور محلي فقط في حين ينبغي ، كما يتضح من « عالم القصة العربية » ، ألا يقتصر البرنامج على تقديم القصص ذات الطابع المحلي ، بل يقدم القصص التي تتناول القضايا والمشكلات ذات الطابع العربي التي تبرز فيها القيم والسمات المشتركة في المجتمع العربي الذي يتوجه إليه صوت العرب .

كما ينبغي أن يعنى برنامج القصة بتبسيط الاعمال القصصية الكبيرة لإمكان توصيلها الى العامة عن طريق تقديمها اذاعياً بمستوى ثقافة المستمع العادي . ذلك أن فن القصة في الادب العربي الحديث وليد الاتصال بالانواع الادبية الاوربية فيما بعد عصر النهضة ، وكما ظهر هذا الفن على ايدي الطبقة الوسطى الاوربية فقد اعتنت به الطبقة الوسطى في البلاد العربية وما زالت إلى الآن هي منتجته وقارئته على الاغلب وقد اثرت كل هذه العوامل في إبراز بعض ملامح هذا الفن القومية والمحلية^(٥) .

وربما كان للاتصال الاول بهذا الفن مترجما الى الفصحى اثر في عملية الفصحى على معظم الانتاج العربى ، بحيث استطاع كتابه تجاوز كثير من العوائق على الطريق القومى للتلقى ، ولكن هل استطاعوا تجاوز العوائق النفسية المحلية للابداع بنفس القدر ؟ إن الافقيين المحلى والقومى لم يتباعدوا الا بقدر ضئيل جدا على مستوى الشكل بينما كان تباعدهما على مستوى المضمون اكثر وضوحا .

وربما كان الافق العالمى من خلال الانسان اشد جذبا للقصة والرواية من الافق القومى نتيجة للارتباط القائم منذ نشأة هذا الفن بين الثقافة العربية والثقافات الاخرى .

٢ — عالم الشعر :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ١١٣٠ صباح السبت وتعاد إذاعته ٨٤٥ مساء الاربعاء ، ويقدم مختارات من الشعر العربى مصحوبة بالموسيقى كما يستضيف أحد الشعراء أو النقاد للتعريف بالإنتاج الشعرى للشعراء العرب ، وهذا البرنامج امتداد لبرنامج خفقات القلوب الذى بدأ فى أواخر ١٩٦٩ (٣٠ ق اسبوعيا) ثم أصبح فى ١٩٧٠ (١٥ ق اسبوعيا) يقدم الشعر العاطفى قديمه وحديثه ، تقدم هذا البرنامج سهر بهجت .

في

ويثير هذا البرنامج دراسة المحلية والقومية في اعرق فنون العرب : الشعر ، باعتبارهما من مؤثرات البيئة التى يتأثر بها الفن بالضرورة ، وهذه الدراسة تجعلهما ظاهرتين متكاملتين خطوتين نحو الافق الانسانى الاسمى ، ولكن أكانتا كذلك على مر السنين الطوال فى المجتمع العربى ؟ ألم تكتسبا على الاقل فى العصر الحديث بعض الملامح التى تباعد ما بينهما وتضعهما — احيانا فى موقف الضدين المتصارعين ؟

ثم اذا استجاب شاعر ما للمؤثرات المحلية واستغرق فيها وأفرغ لها ، أبحرته ذلك القدرة على التوصل الفنى والفكرى فى المحيط القومى ؟

واذا كان ذلك صحيحا فما هو الموقف من الاداة الفنية للشعر وهى اللغة ؟ أصبح من حق الشاعر استعمال لهجته المحلية ؟ واذا استعمل الشاعر الفصحى ولكنه استمد ضمائر شعره ومصادر صور التعبير فيه من موارد فى التراث المحلى القديم مثل الاشورية والفرعونية والفينيقية — أتمثل هذه المصادر المتباعدة عائقا عن تصاعده بفنه الى المستوى القومى ؟ وكذلك المصادر الفولكلورية المحلية — وهى ذخيرة فنية جيدة للشعر العربى الحديث — أتصبح صورها ورموزها عائقا مماثلا ؟

ورسرها

التصريح

وفى ضوء هذه التساؤلات ، فإن صوت العرب ينبغي أن يقدم الشعر المعبر بالفصحى ، وأن يستبعد فيما ينتخب من نماذج تلك التى تنزع الى التمييز الاقليمى والانفصال ، ثم إن على الاذاعة إن تنظر الى حركة التجديد فى الشعر على أنها صيغة من صيغ التطور مادام مرتبطا بالوجدان العربى ونابعا منه ، ومتفاعلا معه ووفيا لتراثه وتقاليده .

الرابع

إن من سمات الشعر الذى يقدمه هذا البرنامج أنه يتجه فى الاتجاه القومى ويرتبط بالقيم الاصلية فى تراثنا الاسلامى العربى ، ومعالجة قضايا الانسان العربى المعاصر .

د - البرامج الخاصة :

١ - عالم السياحة :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ٦ر٤٠ مساء السبت وتعاد إذاعته ١١ر٣٠ صباح الاثنين ويهدف الى التعريف بالبلدان وأهم المعالم السياحية والتاريخية وانطباعات الشخصيات المختلفة عنها .

واذا كان الكتاب هو التسجيل المطبوع للفكر ، فإن المتحف هو تجسيد للفكر فى صور مرئية ، وإن كنا لانستطيع أن نصحب معنا متحفا فى كل انتقال^(٦) ومن هنا فإن برنامج « عالم السياحة » ينقل المتاحف والمعالم السياحية والتاريخية بالفعل الى المستمع العربى لتزويده بالمعارف والمعلومات مع إعطائه قدرا من الانفعال من خلال انطباعات الشخصيات المختلفة عن القيمة الفنية التى تتولد عن التجسيد .

وتقدر احصائيات اليونسكو الاخيرة عدد المتاحف فى مصر باثنين وسبعين متحفا ، يدخلها اربعة ملايين وثمانمائة وخمسة وأربعون الفا من الزوار : وبمراجعة احصائيات السياحة سنجد أن عدد السائحين الوافدين الى مصر يصل الى قرابة نصف المليون سائح كل عام نصفهم من البلاد العربية والسائحون الاجانب يحضرون الى مصر وفى برامجهم زيارة المتاحف الكبرى والمناطق الاثرية . ولو حسبنا المتاحف الكبرى وهى اربعة فاننا نجد أن زوارها من الاجانب مليون زائر ، على اعتبار أن — الاغلبية الساحقة منهم يزورون هذه المتاحف الكبرى مرة على الاقل اثناء اقامتهم فى مصر . يبقى بعد ذلك العدد الباقي ويقدر بحوالى اربعة ملايين نسمة اغلبهم من تلاميذ المدارس^(٧) .

واذا كنا لانستفيد من متاحفنا بالقدر اللازم^(٨) فإن الإذاعة ينبغي أن تقوم بدور كبير فى زيادة عدد المستفيدين بالمتاحف والمناطق الاثرية وينبغي أن يتم التعاون مع الإذاعات العربية فى التعريف بالآثار العربية الاسلامية التى توجد فى الاقطار الاجنبية وفى متاحف العالم الكبرى .

كذلك ينبغي أن يعنى برنامج عالم السياحة بتعريف المستمع العربى بالحضارة الفنية العربية من منظور عربى وبأقلام متخصصة ، حتى يشيع بين مجموعات الناس تذوق لما تحتويه الآثار من فنون كتب لها الخلود .

٢ — شخصيات تحت الاضواء :

برنامج اسبوعى مدته نصف الساعة يذاع ٩ر٣٠ مساء السبت ، ويقدم حياة بعض المشاهير فى العلم والفن والادب وقصص كفاحهم .

وعلى الرغم من تحديد هذا الهدف للبرنامج الا أنه كغيره من برامج الاذاعة يهتم « بأهل الفن من مطربين وممثلين ولا يهتم بأهل الفكر^(٩) » ، وينبغي أن يهتم هذا البرنامج بأهل الفكر لأننا « بتقديم الفنانين نعطي انطبعا للمستمعين وبالذات صغار السن منهم — أن أحسن الناس هم المطربون والممثلون الامر الذى يبعد الجيل الصاعد عن الاهتمامات الفكرية^(١٠) » ، على حد تعبير الاستاذ حافظ محمود .

ولكى يقوم هذا البرنامج بدوره ينبغي أن يلتزم بـ :

١ — الدقة التاريخية .

٢ — صياغة المادة العلمية فى شكل درامى .

٣ — اختيار المخرج لشخصية الممثل الذى سيقوم بدور « الشخصية التى هى تحت

الاضواء » .

٤ — استخدام الموسيقى المناسبة لموضوع البرنامج .

الشخصية كما أن الحوار مع الشخصية التى يلقي البرنامج الضوء عليها نوع من محاوره الشخصية ولذلك ينبغي أن تخضع لما يلي :

١ — يريد المستمع أن يتعرف على هذه الشخصية ويستمتع إليها

٢ — الحرص على ألا يظهر بطل الحلقة بصورة المتفضل المتعالى الذى يشعر أنه بذل

شيئا وأنه أفضل من المستمعين .

٣ — الحرص على ألا يظهر مقدم البرنامج وكأنه من مستوى اعلى من مستوى بطل

الحلقة والبعد عما يؤذى شعوره .

٤ — البعد عن افتعال الحوار .

ذلك أن البرنامج الخاص هو الشكل الإذاعى الذى يلى الدارما فى الأهمية ، وإن كان

بعض العاملين فى مجال الاخبار قد يرفضون هذا القول ويؤكدون رفضهم بقولهم إن

البرنامج الخاص فى صورته المتكاملة يربط بين الاخبار وبرامج الاحداث المعينة وكذلك

الدراما ... بمعنى أنه يعتمد على هذه الاشكال مجتمعة .. الا أن الحقيقة تقول بأن البرنامج الخاص لا يكفي بالعرض المحايد وانما يستطيع أن يقوم بتفسير الماضى كما يستطيع أيضا التنبؤ بالمستقبل في بعض الحالات^(١١) .

٣ — سهرة الاحد :

برنامج اسبوعى مدته ساعة يذاع الساعة ١٢ منتصف ليل الاحد ، ويعتمد هذا البرنامج على أسلوب « مجموعة العمل » حيث لا يقتصر على جهد اذاعى واحد ، ويتوسل بأسلوب المنوعات في تقديم البرنامج الخاص من خلال تقديم فقرات متنوعة في المادة والموضوع والشكل ، وهذا الاسلوب اقرب الى اسلوب البرنامج الخاص الذى يعتمد اساسا على وحدة الموضوع مع تنوع الوسائل الفنية لمعالجته ، فموضوع « السهرة » دائما واحد ، حيث تتضمن « سهرة الاحد » فكرة واحدة تدور حولها السهرة ، تقدم من خلال استعراض وجهات نظر فنية ومسرحية وسهرة مع فيلم .

ومن ذلك ما قدمه البرنامج في سهرة ١٢ / ٣ / ١٩٧٨ حيث قدم شخصيات فنية مثل روميو وجوليت وكشكش بيه وأوديب ، من خلال حديث عن هذه الشخصيات لمختصين في الدراما يقدمون وجهات نظر متنوعة حول موضوع واحد .

كما قدم البرنامج حلقة علمية بعنوان « اشياء غريبة في جسم الانسان » وعلى الرغم من صعوبة المادة العلمية الا أن الشكل الاذاعى الذى يتميز به هذا البرنامج جعل المادة العلمية مقبولة سمعيا ، كما قدم البرنامج بنفس الاسلوب الاذاعى في سهرة الاحد ٢ / ٤ / ١٩٧٨ حلقة عن « الاحجار النفيسة واستعمالاتها واغرب أنواعها وقصة كل حجر من الاحجار النادرة والكبيرة » إلخ ..

و« سهرة الاحد » كبرنامج خاص تواكب الاحداث ، وتتخذ من حدث ما موضوعا للسهرة ، ومن ذلك ما قدمه البرنامج مساء الاحد ٢٩ / ٨ / ١٩٧٨ عن عيد الطيران المدنى وعرض الجديد عن عالم الطيران من خلال الحوار مع ^{المختصين} وعلماء الارصاد ونوادى الطيران المدنى والشراعى .

ومن هنا يتضح أن البرامج الخاصة في صوت العرب تسعى الى تكوين الانسان العربى وصقل فكره ووجدانه ، من خلال عرض القيم الصالحة في المجتمع وتهئية المستمع العربى لمعيشة عصره من خلال عرض الاحداث وذلك يتطلب الاهتمام من حيث المضمون في البرامج الخاصة الثقافية العربية لمقوم اساسى من مقومات الوحدة كما يقتضى الاهتمام بالمشاركة الايجابية في الحضارة العالمية ويقتضى ذلك أن تعنى البرامج الخاصة بتقديم :

- ١ - التراث الفكرى وتقريبه للعقل المعاصر والاحتفال بأعلامه ومناسباته التاريخية .
٢ - الآثار والمتاحف .
٣ - الآداب والفنون تواصلا بالتراث ومعاصرة لمشكلات الوطن العربى .
٤ - ندوات المفكرين والادباء والفنانين العرب حول الحركة الثقافية العربية .
هـ - المسرح والسينما والموسيقى :

١ - عالم المسرح :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ١١ر٣٠ صباح الاربعاء وتعاد اذاعته ٨ر٤٥ مساء الاثنين ، يتناول النشاط المسرحى بهدف وصل المستمع للراديو بالمسرح كوسيلة ثقافية وقد اصبح هذا البرنامج ابتداء من دورة يناير - مارس ١٩٧٨ مستقلا ، بعد أن كان متضمنا فى برنامج « أضواء المسرح والسينما » ، ويقدم البرنامج احاديث مع المشتغلين بالمسرح الى جانب لقطات من أعمال مسرحية ، ومناقشة لهذه الاعمال .

ولأن للمسرح تأثيرا واضحا على تكوين الوجدان ولأنه من أهم الوسائل الفنية فى تحريك الخيال ، واثارة القضايا المعروضة ، فان العناية به تصبح ضرورة هامة فى دراسة البرامج الثقافية ..

فالمسرح بالنسبة للاذاعة المسموعة عند قيامها بدور الوسيط الثقافى مصدر ثقافى وجماميرى متمم لدورها فى الحياة الثقافية ، ولذلك فان برنامج « عالم المسرح » فى صوت العرب بشكله الراهن ومدته المحدودة (ربع الساعة اسبوعيا ينبغى أن يعاد النظر فيه ، وفى المدة اللازمة ليقوم بدوره فى ضوء ما يلى : -

١ - أن يهتم برنامج عالم المسرح فى صوت العرب بنقل الاعمال المسرحية الجيدة من المسرح الى جمهور المستمعين من خلال فقراته التى تحتاج وقتا أطول ، مع مراعاة أن يجرى اعداد هذه الاعمال المسرحية للاذاعة بما يتواءم مع الفن الاذاعى دون التفريط فى مقومات العمل المسرحى الاساسية .

٢ - أن يتعاون « عالم المسرح » مع الاذاعات العربية فى تقديم الاعمال والدراسات المسرحية التى تحقق التقارب بين فنانى ومتلقى الوطن العربى ، حيث إن البرنامج فى شكله الحالى لا يعنى الا بالمسرح المصرى فقط . ويمكن أن يتم ذلك عن طريق تبادل اشربة المسرحيات التى التزم حوارها بالفصحى .

٣ - أن يتابع « عالم المسرح » مهرجان المسرح العربى الذى يقام سنويا فى شهر ابريل ، وتشترك فيه الاقطار العربية ، وأن يتخذ منه مادة طويلة الاجل تقدم على مدار

العام ، حيث تشترك فيه فرق مسرحية من الاقطار العربية ، وفي ذلك مايتيح للمستمع العربى أن يتعرف على الحركة المسرحية العربية ، فلا تزال الحركات المسرحية في المغرب العربى مجهولة تماما لدى غالبية دول المشرق ولاشك أن — صوت العرب هو القادر على التعريف بتلك الحركات .

٢ — سينمائيات :

برنامج اسبوعى مدته نصف الساعة يذاع ٩٢٠ مساء الثلاثاء ، يستعرض اهم ما تقدمه السينما في اسبوع ، ورأى النقاد الفنيين والجمهور في الانتاج السينمائى .

ويتميز هذا البرنامج بمواكبته للاحداث الفنية ، نذكر من ذلك انه في الذكرى الاولى لوفاة عبد الحليم حافظ ، قدم برنامج « سينمائيات » مساء ٢٨/٣/٧٨ حلقة خاصة تتضمن تقييما لافلامه يوم من عمرى — بنات اليوم — لحن الوفاء — شارع الحب — الخطايا ، وكذلك في الذكرى الثالثة لرحيل أم كلثوم قدم البرنامج في يوم ٢١/٨/١٩٧٨ حلقة خاصة استضاف فيها مصطفى أمين — في حوار حول فيلم « فاطمة » الذى كتب قصته ، كما قدم البرنامج مشهدا من مشاهد الفيلم كما استضاف البرنامج في حلقة يوم ٢٤/١/١٩٧٨ الاديب يوسف السباعى الذى تحدث عن قصته في فيلم « بين الاطلال » لغاتن حمامة و« اذكرينى » لنجلاء فتحى . واستضاف كمال الشيخ للتحدث عن فيلمه « الصعود الى الهاوية » واذاع البرنامج جزءا من فيلم « إنى راحلة » .

واستضاف البرنامج في ٢٤/٣/١٩٧٨ الروائى نجيب محفوظ في حوار حول رايه في الاعمال السينمائية لكل من — توفيق الحكيم ويوسف السباعى واحسان عبد القدوس وعبد الرحمن الشرقاوى ويحيى حقى . وقدم البرنامج مسامع من افلام « الشوارع الخلفية » و« الرباط المقدس » و« السقامات » ومن ذلك يتضح الدور الهام الذى تقوم به الاذاعة في نشر الثقافة السينمائية بين مختلف طبقات الشعب ، وخاصة في الريف حيث لا يجد المواطن في القرية من وسيلة للتثقيف والاعلام غير الراديو الذى ساهم في خلق برامج متعددة عن السينما وابرز مختلف الافلام بطرق متعددة ونشرها بشتى الطرق البرامجية الاذاعية على المواطنين .

وبالنسبة لصوت العرب فان برامجه السينمائية وخاصة « سينمائيات » تساهم في نشر الثقافة السينمائية بين مختلف الدول العربية ، حيث لا تقوم هذه البرامج بنشر الافلام عن طريق الراديو فحسب ، ولكنها تستضيف النجوم السينمائيين وتلقى الاضواء على عملهم وعن طريق اللقاءات المستمرة معهم استطاع المستمع العربى على مختلف

ثقافته أن يعرف الكثير عن السينما ، واستطاع أن يكون على علم بما يجرى من تطور في الافلام المختلفة .

ويوصى البحث بتخصيص مدة أطول لبرنامج سينمائيات حتى يتمكن صوت العرب من القيام بدوره في تقريب الفكر العربى ، ذلك أنه اذا كانت دور العرض لا تكفى فان دور الاذاعة في توصيل السينما الى المستمع يغدو دورا اساسيا لما تمثله السينما من وسيلة قومية في تشكيل الوجدان العربى .

٣ - مع الموسيقى العالمية :

برنامج اسبوعى مدته نصف الساعة يذاع ١٥/١٠ بعد منتصف ليل الثلاثاء ، وهذه المدة لا تكفى لوصل المستمع بالفنون الرفيعة ذلك أن البرامج الموسيقية ينبغي أن تتجاوز تطوير الفنون القومية الى المشاركة في الفن العالمى ومن ذلك ما قدمه البرنامج يوم ٢٨/٢/١٩٧٨ عن مؤلف الموسيقى المجرى فرانز ليست (١٨١١ - ١٨٨٦) وأذاع له الابسودية المجرية رقم ١٠ ومقطوعة الجرس الصغير والقصيد السيمفونى « المقدمات »

وبرنامج « مع الموسيقى العالمية » حين تتحدد معالمة في اطار خريطة البرامج الثقافية في صوت العرب ، انما يؤكد الاصاله العربيه في التعبير عن خلجات النفس الانسانية ، ونكتفى هنا بذكر الرائد الفيلسوف ابونصر محمد الفارابى المتوفى في عام ٣٢٩ هـ الموافق ٨٥٠ م ، لنتعرف على ما ينبغي أن يقوم به هذا البرنامج الموسيقى في صوت العرب من وصل للمستمع العربى بترائه وعالمه المعاصر في آن معا ، فالفارابى قد خلف للانسانية كتابا شهيرا لايزال مرجعا لكل دارسى الموسيقى في العالم وهو « كتاب الموسيقى الكبير » وفيما يلي مقتطفات من هذا الاثر الكبير .

قال الفارابى : « فقد تبين أن أصناف الالحن ثلاثة : أحدها الالحن الملذة والثانى : الالحن الانفعالية والثالث الالحن المخيلة

« والملذة منها تستعمل للراحات في كمال الراحة والانفعالية تستعمل حيث يقصد بها حدوث الافعال الكائنة عن انفعال ، أو حصول الاخلاق التابعة لانفعال ما .

والمخيلات تستعمل حيث تستعمل الاقاويل الشعرية وانحاء من الخطية ومنافعها تابعة لمنافع الاقاويل الشعرية ، والنصف الاول نافع ايضا في الانفعالات والصنفان جميعا نافعان في المخيلات لان كثيرا من التخيل وانقيادات الذهن تابع للانفعالات على ما تبين في موضع اخر ، إلخ ..

وهكذا نرى فيلسوفنا الفارابى قد قرر قيمة الموسيقى فى خدمة الوجدان وتحريك ارادة الانسان ، ولعل هذا يوضح ماينبغى أن تكون عليه شخصية البرنامج الموسيقى فى صوت العرب ، ذلك أن هذا البرنامج بشكله الحالى فضلا عن أن مدته لا تكفى لا يتميز عن غيره من البرامج التى تقدمها الاذاعات الاخرى ، فالبرنامج الموسيقى فى صوت العرب يجب أن يتميز بشخصية عربية فى تذوق الموسيقى العالمية حتى تتفاعل الخبرات الموسيقية العربية مع الموسيقى العالمية وتظهر مدارس موسيقية قومية متطورة سيما وأن للموسيقى اثرها فى تكوين رأى عام موحد يقضى على التناقضات بين الشعوب وبعضها البعض ، لما تتميز به من القدرة على التغلب على اختلاف العادات والتقاليد واللغات .

و - الكتب والمجلات والرسائل الجامعية :

١ - شارع الصحافة :

برنامج يومى مدته ١٠ دقائق يذاع ٧ر٤٠ صباحا يستعرض أهم ما جاء فى الصحف من موضوعات متنوعة وريبورتاجات وأخبار ثقافية وغيرها .

وتتضح أهمية هذا البرنامج وغيره من البرامج التى تحتفى بالكلمة المطبوعة ، فى ضوء المنافسة التى يحققها الراديو فى الانفراد بوقت فراغ جمهوره ، أى جذب عدد من قراء الصحف والمجلات لكى يستمعوا الى برامج الاذاعة ، أو حصول هؤلاء المستمعين على المعلومات السياسية والثقافة التى يريدونها من الراديو بدلا من قراءتها فى الصحف والمجلات . الامر الذى يؤدى الى تقليل عدد النسخ المباعة بنسبة تؤثر فى توزيع الصحيفة وفى حجم الاعلانات التى تحصل عليها^(١٢) .

وبرنامج « شارع الصحافة » من البرامج التى تحقق هذا الاتصال بين المستمع والصحف العربية ولكن الملاحظ على هذا البرنامج انه يستعرض الصحف المصرية فقط ، فى حين أن الرسالة العربية لصوت العرب تقتضى أن تتسع دائرة الصحف التى يستعرضها « شارع الصحافة » بحيث يتمكن المستمع العربى فى كل قطر عربى من التعرف على وجوه الحياة الثقافية المعاصرة فى كل قطر عربى من خلال استعراض صحيفة .

كما أن برنامج « شارع الصحافة » ينبغى أن يلتزم فيما ينقل عن الصحف بقيم الامه العربية ، وأن يعنى باختيار ما يكتب عن قضايا الفكر والثقافة والادب إكمالا لرسالة الكلمة المطبوعة ، لا سيما وأن الامية فى الوطن العربى تشكل عائقا خطيرا بين المستمع العربى والكلمة المطبوعة ، ومن هنا ينبغى أن يعنى فى اعادة تخطيط البرامج الثقافية فى صوت العرب بعامة و « شارع الصحافة » بخاصة أن تكون الكلمة المسموعة

بالفعل أداة فعالة للتوصيل الثقافي للجماهير ولاشك أن الصحافة العربية قد لعبت دوراً جوهرياً في تطوير ثقافتنا المعاصرة ، وربطها بتيارات الثقافة العالمية ونقل مضمون الصحف العربية من خلال صوت العرب يتيح انتشاراً أكبر للمضمون الثقافي والذي يشارك في صنعه معظم كتابنا المعروفين . ولذلك فإن « شارع الصحافة » بشكله الحالي ، ينبغي أن يعنى بإذاعة فقرات مما يكتبه المفكرون العرب في الصحف من مقالات في الفكر والأدب والفن .

٢ — قرات لك :

برنامج يومي مدته ١٠ دقائق يذاع ١٥ مساءً وتعاد إذاعته ١٠ صباح اليوم التالي ، ويعرض أحدث ما أخرجته المطابع العربية ، والكتب العالمية ذات الدلالات العربية والتي تعالج قضايا معاصرة وتنشر على أوسع نطاق عالمي والبرنامج يتتبع المؤلفات الجديدة في شتى القضايا العربية والمصرية والدولية بعيداً عن النزعات العقائدية .

ويستهدف هذا البرنامج بالدرجة الأولى خدمة المكتبة العربية والتراث الفكري العربي الذي ارتفعت به منارة الحضارة العربية للإنسانية كلها في أحلك عصورها .

وقد حرص صوت العرب كأداة عربية موجهة منذ شهر مارس ١٩٦٢ على أن يقدم كل يوم عرضاً لأحد الكتب من أعداد كبار النقاد العرب ، حول الوطن العربي وتراثه ومشاكله وثرواته .

وتتضح أهمية برنامج « قرات لك » وغيره من البرامج التي تعنى بوصول المستمع بالكلمة المطبوعة ، في ضوء الدراسات التي أجريت في العام الدولي للكتاب^(١٣) والتي أثبتت أن الكتاب لا يزال يشق طريقه نحو الانتشار برغم تطور الوسائل الإعلامية الجديدة وقدرتها على امتصاص الوقت والانتباه جميعاً ، لكن هذا الحصر لا ينفي — مع هذا — أن تأثير الوسائل الجديدة على انتشار الكتاب قد انحصر في الدول النامية ، ذات الإمكانيات الاقتصادية المحدودة ، أما في الدول المتقدمة التي وصلت إلى مرحلة اقتصادية هبات لها قدرات التفوق فإن انتشار هذه الوسائل الجديدة قد سار جنباً إلى جنب مع انتشار الكتاب . في حين نجد أن هذه الوسائل قد أثرت على انتشار الكتاب في الدول النامية^(١٤)

ولعل التساؤل الذي يفرض نفسه على المناقشة هو ماذا تستطيع البرامج الثقافية في صوت العرب بخاصة أن تقدمه للكتاب ونشر الوعي القرائي العربي ؟ أن تخصيص برنامج يومي للكتاب هو قرات لك ذلك لا يكفي لتحقيق هذا الهدف الثقافي ولا يقوى الكتاب

العربى على المنافسة الخطرة التى يلقاها من الوسائل الاخرى الجديدة المنافسة . ان على البرامج الثقافية جميعها ان تساهم فى نهضة الكتاب العربى بالنشر عنه ، والترويج له واتخاذ مادة حوار تثير شهية المستمع العربى للقراءة . لا سيما وأن المستمع العربى يعتبر القراءة جزءا من تراثه الروحى والحضارى ، فقد كانت بداية نزول الوحي من الله سبحانه وتعالى الى رسوله محمد صلوات الله عليه هي / « اقرأ . اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

٣ — عالم المجالات :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ١٢ر٣٠ صباح الاحد وتعاد اذاعته ٨ر٤٥ مساء الجمعة ، يتناول البرنامج النشاط الثقافى العربى من خلال المجالات الادبية والثقافية الاسبوعية والشهرية التى تصدر فى البلاد العربية ... ويركز هذا البرنامج على كل ما هو عربى فى إطار الثقافة العربية ، مع عرض للاتجاهات الادبية والثقافية فى الوطن العربى وعلاقتها بالعالم .

وتعتبر المجالات والنشرات الدورية المتخصصة من أهم وسائل التثقيف فى الوطن العربى . فهى كتب مركزة المادة ومتنوعة ويشترك فى تحريرها متخصصون متباينون الثقافة ، والمنهج العلمى والانتماء الوطنى والتاريخى ، ومن ثم يمكن أن تغنى تلك المجالات والدوريات عن كتب المجموعات المقالة التى تعالج موضوعا واحدا من زوايا مختلفة بأقلام متعددة ، والتى لا يزال العالم العربى يتجاهل إصدارها حتى الآن .

وأول ما يلاحظ على هذا البرنامج أن مدته لا تكفى لتحقيق اهدافه الثقافية ، ذلك أن ربع الساعة اسبوعيا ، لا تكفى لتحقيق التكامل الثقافى بين الكلمة المسموعة والكلمة المطبوعة ، وان برنامج عالم المجالات « اذا ما خصصت له ساعة على الاقل كل اسبوع ، يمكن أن يساهم فى تحقيق هذا التكامل ، سيما وأن المجلة فى السنوات الاخيرة — كما يقول جورج ديهاميل^(١٥) » غيرت من منظرها ، والتمست لها مظهرا جديدا ، فلدينا اليوم المجلة الاسبوعية التى تحافظ على مظهر الجريدة وان قدمت مادة اغنى ولجأت الى شئ من التراجع فى الزمن لتحكم على الوقائع والناس . والمجلة تجمع بين الجريدة والكتاب ، وهى كما يدل معنى لفظها الاشتقاقى ، تسعى أو تحاول أن تسعى الى أن تستجلى أى توضيح حقيقة من العالم » ، والمجلة كما يقول ديهاميل ايضا « تشاطر الكتاب حياته ، لأنها تأخذ مظهره لا مظهر الجريدة وهى لاتموت فورا اذ تسير إلى إحد رفوف مكاتبنا تستقر به حين تبقى — كالكتاب — تحت تصرفنا « فللمجلات » مكان وسط بين الكتب والجرائد ، وهى لازمة لحفظ التوازن العقلى فى تلك البلاد التى تعتبر اليوم مسئولة عن كنز حضارتنا^(١٦) » .

ويتضح من ذلك أن البرامج الثقافية التي تعرف بالكلمة المطبوعة ، تسهم في نشر قوة تأثيرها التي لا تبارى من خلال استعراض الكتاب والصحيفة والمجلة كوسائل للتنقيف ، تتيح الدراسة من ناحية والتفكير من الناحية الأخرى ، الأمر الذي يجعل الإذاعة تزيد من رقعة انتشار الكلمة المطبوعة حين يبحث عنها المستمع بعد استماع برامجها في الإذاعة ليدرس ويفكر من خلال القراءة بعد الاستماع .

٤ — رسائل جامعية :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع الساعة ٦ مساء الثلاثاء ، ويستهدف هذا البرنامج الربط بين الحياة الجامعية والمستمع العربى ، من خلال تقديم أهم النتائج التي توصل اليها الباحثون في رسائلهم الجامعية ، عن طريق الحوار بين صاحب الرسالة الجامعية ومقدمة البرنامج رباب البدر اوى وتسجيل لجزء من المناقشة للرسالة أو حضور أحد المشرفين عليها .

وقد ألغى هذا البرنامج في دورة ابريل ١٩٧٨ ، في حين كان ينبغي أن تزيد مدة إرساله ، وان تتطور اساليب تقديمه لتحقيق التكامل الثقافى بين الإذاعة والجامعات العربية ، ولذلك يوصى البحث باعادة هذا البرنامج ليقوم بـ : —

١ — تقديم خلاصات للأبحاث الهامة التي يجريها طلاب الدراسات العليا كالماجستير والدكتوراه من خلال المناقشة مع صاحب البحث ، وتقديم هذه الخلاصة في شكل درامى من خلال البرنامج لربط المستمع بالبحث العلمى وتعريفه بمشكلة البحث والطريقة المستنبطة لحلها .

٢ — تقديم خلاصات للفكر الجامعى الذى ينشر في شكل مقالات وتقارير الدوريات العلمية من خلال فقرة في البرنامج بشكل اذاعى مناسب ييسر على المستمع معرفة نتائج بحث ما أو معلومات معينة عنه ، من خلال إثارة التشويق لدى المستمع وتقديم الحقائق بطريقة مباشرة وموضوعية ومختصرة .

٣ — أن يركز البرنامج في تقديم الفكر الجامعى على ثلاثة جوانب رئيسية تمثل أهمية البحث علميا وهى : اكتشاف حقيقة جديدة ، التحقيق النقدي للبراهين والأدلة المفضية الى النتائج التي توصل اليها الباحث ، ثم كيفية الاستفادة من الحقائق الجديدة واستخدامها تطبيقيا في الحياة العلمية .

فعلى سبيل المثال ماذا كان يهدف شكسبير من قصة « هاملت » هل كان يكتب لمجرد كتابة قصة خيالية تاريخية عن فترة زمينة معينة ، أو أنه استخدم روايته لينقل آراءه عن عصره ؟ إن الإجابة عن مثل هذه الاسئلة لا تعتمد فقط على مجرد معرفة الحقائق ، بل

على فحص افكار شكسبير التى عبر عنها فى اعماله الاخرى . وبما أن آراء الكاتب لا تظهر بشكل محدد قاطع فالبديل الآخر لمعرفةا هو استنباطها عن طريق التفسير النقدى بما يحتويه من براهين وحجج .

والوسائل المستخدمة فى هذا النوع من البحث هى التجربة والمنطق وكذلك مستوى رفيع من الامكانيات العقلية يتطلبها التفسير النقدى لانه ينطوى بالضرورة على حكم شخصى مبنى على الاسباب المنطقية ومستند الى التعليل المقبول والمعقول ، ومن هنا تتضح اهمية برامج الفكر الجامعى من حيث انها لا تقدم معلومات للمستمع فحسب ، ولكنها تزوده بالتفسير النقدى الذى يعاونه فى المعرفة بوجه عام .

واهم الرسائل الجامعية التى قدمها البرنامج منذ إنشائه فى أبريل ١٩٧٧ وحتى أول ابريل ١٩٧٨ هى : —

- | | |
|----------------------------------|--|
| د . كمال اسماعيل | — المسرح الشعري |
| نادرة عبد الحليم وهدان | — أثر القصة فى التكوين النفسى للطفل |
| الصفصافى احمد المرسى | — التأثير العربى فى الادب التركى |
| عبد الفتاح عثمان | — شعر المرأة فى العصر العباسى |
| محمد حسن عبد العزيز | — لغة الصحافة المعاصرة |
| نبيل احمد حلمى | — الامتداد القارى |
| | والقواعد الدولية للبحار |
| نبيل حداد (اردنى) | — الشعر الاردنى المعاصر |
| محمد بكر حسين | — الاتحاد الفيدرالى بين النظرية والتطبيق |
| عبد العليم عويس | — ابن حزم مؤرخا |
| زينب حمدى | — ازهار واثمار الزبدية |
| عبد الفتاح عبد الحميد (سودانى) | — مشيخات عمان |
| كمال المنوفى | — التنشئة السياسية للفلاح المصرى |
| ابراهيم الحامولى | — الموال فى البلاد العربية |
| فوزية فهم | — الاخبار فى الاذاعة المصرية |
| يوسف مرزوق | — الاذاعات الاقليمية فى الدول النامية |
| د . عادل أبوطالب | — دراسة فى سرطان المثانة |
| نبيل نصيف | — تآكل حديد غلايات الصلب |
| تحسين هلال (سورى) | — السوق العربية المشتركة |

سليمان المنزري (عراقي)

محمود عزت

سمير حليم

ليلي حسين

— اقتصاديات العالم العربى

— الطيران المدنى فى الدول العربية

— السودان وتجربة الحكم المحلى

— التعليم الصناعى للمرأة

الرسائل

(وغيرها من الرسائل المختلفة .)

ز — تبسيط العلوم :

١ — اقتصاديات :

هو برنامج اسبوعى مدته ١٥ دقيقة يذاع ٦ مساء الاربعاء ويستهدف هذا البرنامج تبسيط علوم الاقتصاد فى إطار من تحقيق رسالة الاذاعة فى تبسيط العلوم الطبيعية والإنسانية . والاهتمام بتبسيط العلوم ، يقوم على اساس أن العلم قد بدأ يمسك بزمام مستقبل الانسانية كلها ، حيث اعطى لدول معينة ، وخاصة تلك التى يطلقون عليها اسم « القوى الكبرى » ، مقدرة هائلة على التدمير ، كما قدم العلم للجنس البشرى وسائل الحصول على قدرات إنتاجية تتزايد باستمرار^(١١)

وعلى ضوء ما جد للعلم من خطورة أصبح لتبسيطه ونشره بين الجماهير وظيفة جديدة ، هى مساعدة الأمم على قبول ما ستواجهه مستقبلا بسبب العلم ، وهذا ايضا من اجل بقاء الجنس البشرى على الارض ، ثم تفهم ما يستطيع العلم ان يفعله لوضع حد للجوع والفقر وكثير من الامراض المنتشرة اليوم . وما كان يعتبر فى الماضى حلما يمكن أن يتحول فى عصر العلوم الى حقيقة واقعية . ومن الامور الحيوية ان تحصل الانسانية على ادراك كاف لامكانات العلم المدمرة والبناءة على السواء وهذا وحده هو الذى يستطيع أن يوفق بين التكوينات الاجتماعية التى ترتبط بظروف المعيشة الجديدة والظروف الجديدة للوجود الانسانى ، وهى الظروف التى لا يتوقف العلم ايضا عن تغييرها يوما بعد يوم .

وقد انعكست آثار تفجير القوة المدمرة للعلم الحديث على الجنس البشرى كله فى ذلك اليوم من شهر اغسطس ١٩٤٥ حينما احترقت مدينة هيروشيما واحترق ما يقرب من ١٠٠ ألف من سكانها وتفحموا فى ثوان معدودة ، وكان هذا بعد انفجار قنبلة ذرية واحدة من ارتفاع بضع مئات من الامتار . وبالقياص الى ما وصلت اليه القنابل الذرية اليوم تعتبر قنبلة هيروشيما من القنابل الذرية التكتيكية المنخفضة القدرة ، بعد أن عرف العالم كيف تصنع الاسلحة التى تفوق القنبلة الذرية الاولى بألاف المرات^(١٢)

هذا هو التحدى الاول الذى تواجهه البشرية بالتحدى الثانى فقد نجم عن الثورة الصناعية الحالية التى جعلت ثلثى سكان العالم بلا موارد معقولة ومع الذين يتزايدون

عددا ويزيدون فقرا هناك نحو ثلث العالم ينعمون بالثراء الجيد نتيجة للاستفادة من إمكانات الانتاج الهائلة التى وضعها العلم تحت تصرفهم . كذلك فانه من واجب العلماء أن يضغطوا على الحكومات والهيئات التنفيذية ليبقى للعلم وللعلماء مكانتهم ودورهم المحاييد فى التعاون الدولى لحل مشاكل التنمية العالمية ، للوصول بالانسانية كلها الى مستوى معقول من المدنية والتقدم بالاعتماد على العلم والتكنولوجيا . ويصبح واجبا ايضا على العلماء تبسيط العلوم لتعليم الناس ولتربية البشر على الحياة فى العالم الجديد الذى خلفته الثورة العلمية^(١٩)

٢ — عالم الغد :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة ويذاع ٦ مساء الخميس يقدم جرعة علمية مبسطة لربط المستمع بأحدث إنجازات العلم وتأثيرها على المستقبل .

ويستهدف هذا البرنامج تبسيط العلوم لتربية المستمع العربى على الحياة فى العالم الجديد الذى خلفته الثورة العلمية . وتثير برامج تبسيط العلوم قضية اساسية بالنسبة للمستمع العربى بوجه خاص ، ذلك انه لا يكفى للاقناع بالعلم وبدوره مجرد شرح تركيب المفاعل النووى أو الصاروخ البعيد المدى أو شرح التركيب الكيماوى لجزيئات الجينات الحاملة للوراثة فى الخلية الحية ، أو كيفية تأثير دواء جديد ذلك انه ليس الهدف من برامج تبسيط العلوم فى صوت العرب أو البرنامج العام مجرد المتعة الذهنية والإثارة العقلية للمستمع بأخبار الاختراعات والاكتشافات ولكن النشر العلمى هدفه الاكبر هو نشر اسلوب تعايش الدول العربية والحكومات مع منجزات العلم الكبيرة ، ومع الحياة التى لا مفر منها مع متطلبات عصر العلوم .

ملخص :

تحدثنا فى هذا الفصل عن البرامج الثقافية التى تقدمها اذاعة صوت العرب ، وتبين أن هذه البرامج تتنوع ما بين برامج ثقافية عامة واحاديث وندوات وبرامج خاصة بالشعر والقصة والمسرح والسينما والموسيقى والكتاب والمجلات والعلوم والانسانية بخاصة .

كما تبين أن هذه البرامج تسعى لتحقيق السياسة الثقافية التى تنتهجها اذاعة صوت العرب فى النطاق العربى ، والتى تتسم بالطابع القومى العربى ، ولكن لوحظ أن الاهتمام بالثقافة المحلية المصرية يفوق اهتمامها بالثقافة فى البلاد العربية وهو الامر الذى يتناقض مع سياسة صوت العرب . لذلك توصى المؤلفة باعادة تخطيط البرامج الثقافية فى صوت العرب فى اطار الوحدة والتنوع .

الهوامش

- (١) مجلة الاذاعة والتلفزيون ع ٢٠٠٠ في ٢٩/٦/١٩٧٤ .
- (٢) نفس المرجع .
- (٣) د . فؤاد زكريا : المرجع السابق ص ٧٧ .
- (٤) نفس المرجع ص ٧٧ . **نفس المرجع ص ٧٧**
- (٥) المنظمة العربية للتربية والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية - مرجع سبق ذكره ص ١٧ .
- (٦) عبد المنعم الصاوي : وماذا بعد ٦ أكتوبر - القاهرة - روز اليوسف ١٩٧٤ - ص ١١٤ .
- (٧) عبد المنعم الصاوي : وماذا بعد ٦ أكتوبر - (القاهرة - روز اليوسف ١٩٧٤) ، ص ١١٤ .
- (٨) نفس المرجع ص ١١٤ .
- (٩) حافظ محمود : «رأيهم في برامج الاذاعة» مجلة الاذاعة والتلفزيون في ١٧/٤/١٩٧٦ .
- (١٠) نفس المرجع .
- (١١) مجلة الفن الاذاعي ٤٥ م ١٣ أكتوبر ١٩٦٨ ص ٦٦ .
- (١٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة : حلقة الاذاعة المرئية - مرجع سبق ذكره ص ٤٣ .
- (١٣) مجلة اليونسكو للمكتبات ع ١١ م ٣ - مايو - يوليو ١٩٧٣ . **يوليو ١٩٧٣**
- (١٤) مجلة اليونسكو للمكتبات ع ١١ م ٣ - مايو - يوليو ١٩٧٣ .
- (١٥) جورج ديهاميل : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٥ .
- (١٦) جورج ديهاميل : مرجع سبق ذكره ، ص ٩٥ .
- (١٧) راينوفتش (ترجمة صلاح جلال) : دور تبسيط العلوم في عصر الذرة مجلة العلم والمجتمع ٥ يونيو ١٩٧١ .
- (١٨) راينوفتش (ترجمة صلاح جلال) : دور تبسيط العلوم عصر الذرة - مجلة العلم والمجتمع ٥ يونيو ١٩٧١ .
- (١٩) راينوفتش : دور تبسيط العلوم في عصر الذرة - نفس المرجع ص ٩ .

الفصل الخامس

البرامج الثقافية واللغة المشتركة

نتحدث في هذا الفصل عن البرامج الثقافية واللغة المشتركة ، لأن اللغة في البرنامج العام وصوت العرب وغيرهما من الاذاعات وعاء الثقافة وحاملة التراث والحضارة من ناحية ، واللسان الذى تنطق به المواد والنصوص الثقافية الاذاعية من ناحية أخرى ، فضلا عن أنها القضية المحورية دائما بين دعاة القومية والمنتصرين للمحلية^(١) . وعن أنها القاسم المشترك الاعظم فى جميع الاذاعات .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن دراسة العلاقة بين اللغة والتعبير الاذاعى فى البرامج الثقافية يتطلب نوعا من الاتفاق حول المصطلحات الاساسية التى يستخدمها الكثيرون دون أن يستشعروا الحاجة إلى تحديدها وضبطها ونحن نؤثر مع الدكتور عبد الحميد يونس^(٢) منذ البداية أن نأخذ بالدلالات الشائعة دون أن نشغل انفسنا بمعاجم طال العهد على تصنيفها ، دون أن نتحول عن مهمتنا فى رصد علاقة اللغة بالبرامج الثقافية إلى مهمة أخرى تتركز حول أصول الألفاظ واختلاف الدلالات^(٣) .

ومن أبرز الشواهد على اتساع رقعة الخلاف بين الدلالة المعاصرة وبين الدلالة القاموسية القديمة مصطلح (اللغة) فنحن جميعا نتفق اليوم على أن هذا المصطلح إنما

اللسان

يعنى فى المقام الاول اهم وسيلة من وسائل الاتصال بين الناس وهى « اللسان » ومع ذلك فإن اللغة كانت عند الاقدمين مترادف ما نستعمله الآن من مصطلح « اللهجة » فاللسان العربى هو اللغة العربية بالمفهوم المتسع ، وقد تبلبل هذا اللسان فاستوعب لهجات مختلفة عرفت كل واحدة منها بأنها لغة ، كأن يقال : « لغة مصر » و « لغة تميم » ... أما الآن فإننا نقول « اللغة الانجليزية » و « اللغة الفرنسية » و « اللغة العربية » ونعنى بذلك الكيان اللغوى لكل أمة من هذه الأمم على إختلاف اللهجات فى التلفظ والدلالة جميعا ، وإذا كان المعنى الخاص قد غلب على المعنى العام فيما يتصل بمصطلح اللغة ، عندما تحول من اللهجة إلى اللسان بمفهومه المتسع فإن التعبير النفسى يتطلب منا أن نستعمل الدلالة المعاصرة حين نحاول أن نستشف علاقة الفن بالوسيلة التى يستخدمها فى تحقيق الذات وتصوير الموقف والتعبير عن قيمة إنسانية عليا تتطلبها جماعة من الجماعات^(٤) . ولذلك نتوقف فى هذا الفصل عند قضية اللغة والاذاعة .

الاذاعة واللغة :

والاذاعة تعمل جاهدة على توثيق الوجدان الانسانى فهى لم تظهر هذا الوجدان فقط فى مجال قومى معين محدد بلغة قومية معينة ولكنها اعانت على التمكين لهذا الوجدان وتقويته أيضا وبعد أن كانت الجماعات تعيش منبثة فى الريف والقرى وفى مدن ذات أسوار مادية ومعنوية ، محطمت الإذاعة هذه الأسوار فوجدنا أن إذاعة البرنامج العام فى مصر تتجاوز حدود الوطن المصرى إلى جميع الناطقين بالعربية ، كذلك الحال بالنسبة إلى إذاعة صوت العرب فالاذاعة عامل جوهرى هام يعمل على تقارب المجتمعات ، ولكن هذا التقارب يحدث فى نطاق معين تحدده اللغة العامة Lingua Franca لمجتمع كبير ولقومية كبيرة وطبيعى — كما يقول الدكتور يونس — « أن اللغة العامة غير اللهجات المحلية والطبقية الخاصة^(٥) » .

فاذا نظرنا إلى الرباط بين الإذاعة وبين الثقافة أو بين الإذاعة وبين المجتمع وهى عامل حيوى خطير — وجدنا أنها أولا وقبل كل شئ قد أعانت من الناحية اللغوية على إظهار المفهوم الاجتماعى الصحيح للغة ، وهذا بلا شك من المهام الكبيرة التى قامت بها الإذاعة^(٦) .

أما المهمة الثانية التى تتشعب عن هذه المهمة فهى أن الإذاعة باعتبارها وسيلة ديمقراطية احتفلت باللهجات الطبقية والمحلية أيضا لكى تكون الافادة منها أعم ، لأنها منتشرة فى كل مكان ، وكان صنيع الإذاعة كصنيع العرب عندما أحسوا أنفسهم بعد

العصر الجاهلي وبعد اختلاطهم بغيرهم من الاقوام فلقد عرفوا اللغة بمفهومها الصحيح كما نعرفها نحن الآن .. كان العرب يحسون اللغة إحساسا فطريا ، ويقومون ألسنتهم بالتوجه إلى البادية ، ويسجلون اللهجات وما بينها من تغير ، ولم ينظروا إليها على أساس الخطأ والصواب فحسب ونحن اذا درسنا اللهجات كما يقول الدكتور يونس دراسة صحيحة « سنجد أن كثيرا مما ننظر إليه على أنه خطأ إنما هو صحيح ، فلو سمعنا مثلا اهل القاهرة أو الريف في مصر يقولون (تسلم) أو (تكتب) بكسر التاء الاولى — فإننا نتصور أن هذا خطأ ، والصحيح (تسلم) و (تكتب) (بفتح التاء) .. وعندما نعود إلى دراسة اللهجات ، سنجد أن لهجة ما ، وهي اللهجة القيسية مثلا ، كانت تنطق هذا النطق ، فليس الأمر إذن أمر صواب أو خطأ ، إنما هو أمر توزيع اجتماعي لغوي جعل اللهجات تتوزع على هذه الصورة^(٧) .

ولقد أفادت الاذاعة في اظهار هذه اللهجات وابرازها لأن اتصالها بالناس وتوسلها باللغة جعلها تنظر إلى اللغة بهذا المفهوم الاجتماعي ولكنها ، تقرب في الوقت نفسه بين هذه اللهجات . ولقد أصبحت الآن الاختلافات بين اللهجات المصرية بل العربية يسيرة جدا كالإدغام والإمالة وتغيير مخارج الحروف فالاذاعة تعمل على التقريب بين اللهجات بمعدل متزايد السرعة ، حتى أصبح المستمع في القاهرة يستطيع أن يستمع من دمشق إلى تمثيلية اذاعية مثلا باللهجة السورية ويفهمها ويتذوقها ، وأصبح السوري أو العراقي ليستمع إلى تمثيلية باللهجة القاهرية أو الصعيدية ويفهمها ويتذوقها ، بل أصبحت هذه المحاولات تغلب بعض اللهجات على بعض^(٨) .

ويذهب مؤرخو الفنون الجميلة إلى تتبع الطابع الذاتي في الأشكال والمضامين وذلك للكشف عن مدى الأصالة في الإبداع ، وهم يصنفون الفنون على أساس تاريخي جغرافي ، ويتخذون الشخصيات ، التي حفرت أسماءها في ذاكرة الجماهير المتذوقة للفن ، معالم ترصد التحول من عصر فني إلى عصر فني آخر ، أو يحصرون تصورهم للنشاط الانساني في محيط جغرافي معين ، وقد يفسرون التغير في الشكل والمضمون بمصطلحات هذا العلم أو ذلك من العلوم الانسانية ، والمهم أنهم لا يلتفتون إلى الفنون ، التي تصدر عن الجماعة ، وتصب في الجماعة ، إلا بمقدار ما يؤيد نظرتهم إلى التاريخ الفني ، أو يؤكد منهجهم في تفسير النشاط الانساني الذي تحتل الفنون مكان الصدارة فيه^(٩) .

في موضوع عن شعراء التروبادور Les Traobadours والراديو ، يحاول «سنجريا» Cingria التعرف على ما ورثه الراديو عن شعراء التروبادور في العصور الوسطى ، فالتروبادور ، كانوا يتغنون بقصص الحب ، ويروون الانباء ، شأنهم في ذلك شأن الراديو تماما ، وكذلك كانوا يقدمون الاغنيات والتمثيلات القصيرة ، أما في ايامنا ، فإن هؤلاء

الشعراء قد حل محلهم القادة والملوك في دول العالم ورئيس الهيئة الدينية وجماعة العلماء والشعراء والفنانون التشكيليون والشخصيات البارزة^(١٠) .

وتحدث سنجرىا « عن نوع آخر من شعراء التروبادور « Les Achougues » الذين وجدوا في الاقاليم الروسية ، كانوا يقومون بنفس الدور . ولقد كان الاعتماد على اللسان في التعبير القولى في الشرق كما كان في مناطق أخرى من العالم ، فكان العلماء أو الوعاظ يتجولون بين مدينة وأخرى يستخدمون الصوت والتعبير القولى في الغناء والرواية . وكان الصوت البشرى هو العروة الوثقى في الفنون التقليدية التى عرفها الانسان ، وفي عصرنا عصر التصنيع والتفرد أو التميز ، فإن صوت الشاعر وصوت المندوب أو المراسل وصوت الراوى ، هذه الأصوات تلاحق الانسان في كل مكان ، لأنها أصبحت تنتقل من خلال الموجات بواسطة الراديو .

ليس صحيحا ، أن نعتقد أن (الكتابة) استطاعت أو سوف يكون في مقدورها مستقبلا أن تحل محل التعبير الصوتى في الإعلام ، وذلك لسببين :

اولهما : أن الكلمة المكتوبة كلمة منتقاة لا تتوجه إلا إلى الذين يجيدون فك رموزها أى الذين يجيدون القراءة . في حين أن الأمى لا يستطيع التعامل مع الكلمة المكتوبة - أما الكلمة المنطوقة ، فهى كلمة عالمية تسمع وتفهم من كل الناس . المثقف وغير المثقف ،

وثانيهما : انسانى ، ليس في مقدور الكلمة المكتوبة خلقه .

أن الكلمة المكتوبة ثابتة في الوقت والمسافة وتتمتع بتأثير محدود في المضمون بينما نجد أن الكلمة المنطوقة تنتقل من لسان إلى آخر ، ومن لسان إلى أذن ، مما يتيح لها نوعا من المرونة ، إلى أنها تفسح للخيال مجالا واسعا .

ومن الاحصاءات الحديثة التى انتهت إليها « اليونسكو » في سبتمبر ١٩٦٧ ، يتبين أن ٤٠ ٪ من سكان البلاد الفقيرة أميون ، رغم الجهد الخارق لمحو الأمية لدى الجماهير ولذلك فمن الطبيعى أن يلجأ هذا الكم الغفير من الأميين إلى الكلمة المنطوقة أو المذاعة بالراديو ^(١١)

ويذكر « روبرت دي لانيفيت » De Laniguette في « دراسته من المنطوق إلى المطبوع » أن التكنيك القديم للاذاعة قد استمر في الوجود موازيا للتكنيك الحديث في البلاد التى تسعى إلى النمو ، وتتعلق الوسائل التكنيكية القديمة باذاعة الاصوات وتستخدم آلات موسيقية حيث لكل منها وظيفة خاصة بها ، ^(١٢) .

أما «Pepper» الباحث في الموسيقى البدائية فيذهب إلى « أن البند Les Bandas يستخدمون طنبورين ، ويمكن لكل منهما أن يسمعا صوتين مختلفين ، فيكون مجموع أصواتهما أربعة أصوات منها ثلاثة تستخدم للكلام Parles ، والرابعة للإعلام أو التنبيه » .

إن اذاعة الاخبار أوتداولها بين القبائل المتجاورة ، كما يقول ديلانيفيت أصبحت حوارا Dialogue وليست مونولوجا . وهذا الحوار يثرى موضوع الخبر المذاع « بحيث لا نصبح « أمام » خبر ، ولكننا « نعيش » في الخبر ذاته . هذه المعاشة تصل بنا — اذا لم تكن الكلمة قوية — إلى نوع من المسرحة الاعلامية » .

فهل من الضروري أن نذكر هنا أن هذه المسرحة الاعلامية أصبحت أسلوبا يستخدم في الفن الاذاعي اليوم ؟

في كتابه « الراديو في افريقيا السوداء » يقول : على لسان الافريقيين : « إننا نصدق الراديو لأن كل ما يقدمه لنا من معلومات يقال لنا ، ولا تكتب برغبتنا ، وهذا يتفق مع مدنيتنا الافريقية التي ليست من المدنيات التي تقوم على الكتابة ، ولكنها تقوم على الكلمة المنطوقة . نحب هذا النوع من الاذاعة لأنه يتوجه إلى كل فرد منا ، وأنه ليس من المهم أن نتعلم القراءة والكتابة لنفهم الرسائل التي تصلنا » .

« ... نحب الراديو لأنه بالنسبة لنا يحل محل الرسالة المذاعة في صخب فهو ينقل أى شيء وإلى أى مكان ، ومن جهة أخرى يستخدم وسيلة الكلمة المنطوقة » .

« .. لقد حاولنا التعرف على الصوت الذى يتكلم ، ونقول من ياترى المتحدث ؟ هل نعرفه معرفة جيدة ونراه يوميا ، ونقنع أنفسنا أن صوته جميل ، وأن له الآن قوة ، لا تجعل منه صوتا عاديا . وأن ما يقوله ليس فيه شيء من الخطأ ، وأن من الفائدة بالنسبة اليها أن نسمعه وأن كنا لا نرى صاحب الصوت ، وفي ذلك شيء غامض » (١٢) .

وإذا كان الراديو قد احتفظ بالنسبة للافريقى بالشيء الخفى الغامض فإن مرجع ذلك إلى التقنية الحديثة والفن الاذاعي الحديث ، حيث لا نرى المذيع ولكننا نسمعه ،

والواقع أن الحلقات الشعبية من التراث الفنى أكبر واغزر ، وربما كانت أهم من بعض الآثار الفنية ، التي اشتهر مبدعوها ، لسبب أو لآخر ، يكمن في مقومات الابداع ، أو ينبعث من علاقة المبدعين بقمة الهرم الاجتماعى ، التي تمثل السلطة او الجاه ، أو لنزعة سلوكية عند « اصحاب القرائح المعبرة » جعلتهم يخرجون على النموذج التقليدى

للإنسان في بيئته وعصره . ومهما يكن من شيء ، فإن ما نسميه الآن بالفنون الشعبية — على حد تعبير الدكتور يونس — لا يزال في مكانه البارز من نشاط الجماعة ، يقوم بوظائف حيوية وجمالية في وقت واحد . وهذه الفنون الرفيعة وهي التي تعطى ، في الوقت نفسه ، الأبعاد ، التي تلمس فيها الدلالات في الآداب الرسمية أو الرفيعة^(١٤)

ولابد أن نتذكر أن رواد النهضة الأدبية عندنا قد حاولوا أول الأمر أن يضعوا مناهج جديدة في تاريخ الأدب ونقده وكان من أهم ما ارتكزت عليه مناهجهم^(١٥) :

أولا : أن الأدب الشعبي جزء لا يتجزء من التراث القومي .

ثانيا : أن الشعر مثلا إنما تلمس أصوله في الغناء والرقص .

ومع ذلك فإن هؤلاء الرواد قد حاولوا تأصيل مناهجهم الجديدة ولكنهم ظلوا يعتصمون بقوالب ثابتة في تقويم الحضارة بصفة عامة والفن بصفة خاصة مما جعلهم يستعملون على التراث الشعبي ويجعلون الثقافة مرادفة للتعليم ويحتفلون بفن الكلمة وقلما يلتفتون الى الفنون الأخرى زمنية كانت أو تشكيلية أما الآن فقد اثمرت الدراسات الإنسانية الجادة تصورا مختلفا لعلاقة اللغة بمفهومها المتسع بالفن سواء كان محققا لوجود ذاتي أو اجتماعي وسواء أكان رسميا أو شعبيا وهذا التصوير يركز بطبيعة الحال على المفهوم الجديد للثقافة الذي يستوعب معارف الإنسان وخبراته ومهاراته على مدى حياته وهي محصلة لا تتحقق بتعليم القراءة والكتابة فحسب وإنما تتحقق بالمحاكاة والتجربة والخطأ أو التلقين المباشر وغير المباشر^(١٦) .

ولعل أهم نتيجة يستخلصها الباحث من هذا النظر الجديد الى علاقة اللغة بالفن هي تصحيح خطأ شائع فقد تعلمنا منذ نصف قرن أن الأدب العربي لم يعرف التمثيل وأن الشعر بخاصة غنائي كله وقد أخذ رواد هذا الرأي عن بعض الاتجاهات العصرية التي كان من أهمها أن العقلية العربية تتسم بالتجريد وأنها لا تعرف التشخيص والتجسيم والتمثيل ومن ثم افتقر فكرها الى التفسير الأسطوري كما افتقر أدبها الى القصص والتمثيل ولم تعد في حاجة الى دحض ذلك الرأي فقد تولت الدراسات العلمية الجادة تصحيحه على أساس موضوعي لا عاطفي وحسبنا أن نميط اللثام عن حقيقة واحدة هي أن الجماعات الإنسانية كلها قد مرت بالمرحلة الأسطورية وأن الشعوب العربية قد عرفت الاطوار الأولى للتعبير الدرامي وهذه الحقيقة تتضح بجلاء اذا نحن نظرنا الى اللغة الفنية في أصلها العريق وفي وسائلها الصوتية والحركية والتشكيلية^(١٧) .

ولقد مر بنا أن فن الحركة والايقاع اسبق من فن الكلمة وأنه استهدف في أوامره غايات دينية وسحرية ونفسية ومن اليسير أن نتتبع المراحل التي تحولت بهذه الفنون البدائية من البساطة الى بدايات التعقيد وأن نرصد الأنواع الفنية التي تجمع في اعطافها

وسائل التعبير كلها او جلها وعلى رأس هذه الفنون بطبيعة الحال الدراما التى تتوسل بالإيماء والإشارة والحركة والإيقاع والكلمة الى جانب تشكيل المادة^(١٨) .

ولم يكن المقصود من الدراما حتى فى اصلها اليونانى حكاية الواقع للتطهير او الترفيه وانما كانت تعنى الفعل فى عالم الواقع لم تكن تصويرا ينعكس عن اصل وانما كانت اقتناعا واقعيا من الاصل ذاته والدراما بهذه المثابة تساير فجر الضمير الانسانى وهى من أعرق الفنون وأكثرها ارتباطا بنفسية الجماعات وهى تقترن بفن الحركة والإيقاع فى المرحلة الاسطورية وبذلك يرتفع الحاجز بين الابداع والتلقى فى الطقوس والمراسيم والاعياد التى تقوم على التشخيص والتمثيل قيامها على الرموز المستخلصة من الاقنعة والازياء وسائر المواد المشكلة بالاغراض الدينية او السحرية المنشودة^(١٩) .

ولقد اقتحمت العروض الافريقية الاصلية الباهرة مسارح العالم شرقا وغربا واستطاع اكثرنا ان يشاهد باعجاب مقرون بالدهشة تلك الفنون الافريقية التى مازالت على اصالتها وصدقها وارتباطها بالانسان الافريقى .. ومن الجلى ان تلك العروض لا تقوم ولا يمكن ان تقوم بالكلمات وحدها ولا تنبض ولا يمكن ان تنبض بالاشارات والحركات والايقاعات وحدها ذلك لان المتعة الحقيقية الكاملة لا تحصل من عنصر واحد وانما تستخلص من جميع العناصر التى يتألف منها العرض الفنى وقد يتفق للمشاهد ان يستمتع بالكلمات وحدها ولكنه استمتاع ناقص يشبه الى حد كبير الاكتفاء بقراءة مسرحية تقوم بالعرض التمثيلى الفاحص اكثر جدا مما تقوم بالقراءة المستأنية يقوم بها فرد منعزل عن الجماهير يترك لخياله العنان الناقص بتمثيل النبرات وتصور الحركات وتخيل المناظر على تتابعها وتباينها^(٢٠) .

واذا أردنا ان نقطع من حياتنا الواقعية شاهدا يدل على الدراما الشعبية التى ترتبط بالطقوس والتى تقام فى المواسم الطبيعية والاجتماعية فاننا نشير الى تلك الاشكال التى تقوم على الرقص الجماعى والاغنية الجماعية فى الاعياد او الموالد او مواسم التقويم فى التحول من فصل الى فصل ... هذه الاغانى والرقصات فيها ما يمكن ان نطلق عليه مصطلح الادوار التمثيلية ويقوم بها الرجال والنساء لتشخيص الحياة الانسانية من ناحية وحياة الحيوان من ناحية أخرى بل انها تعمل على تشخيص الحياة والجمادات او الاطيفاف او الارواح ويستطيع المشاهد الاجنبى ان يلاحظ فى سر أن الذين يقومون بتلك الادوار يتقمصون روحه او يلبسون شخصه والممثلون يعون انهم يخرجون عن ذواتهم الى ذوات أخرى ومن الطبيعى ان يدفعهم هذا التحول الى استخدام الاقنعة أو الطلاء يدهنون به وجوههم واجسامهم أو اصطناع صور أو ادوات أو مواد لها عندهم مصطلحات رمزية والجماهير التى تدرك ان تلك المشاهد الدرامية جزء من تقاليدها وتراثها تقف منها احد موقفين تبعا لوظيفة المشهد ومكانه من الشعبية او التقليد او العرف فهى إما ان تندمج فيه

وتدخل في إطاره حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من المشهد الدرامي نفسه واما ان تكتفى بالمشاهدة التى تستحدث عندها لذة تقترب من النشوة العارمة الموقف الاول يطلب للمنفعة ويقوم بشعيرة او ممارسة سحرية والموقف الثانى يطلب تفريغ شحنة الشعور من توتر الواقع المذكور والتطلع الى غد اسعد وارحب ولا تزال حفلات الربيع والصيف وعروض الرقص التكرى وما اليه وسيلة الجماهير للبحث عن واقع نفسى واجتماعى ابعد من واقعهم العملى^(٢١) .

وكل ناقد فنى يستهدف تقويم الدراما كما يتصورها مجتمعنا المعاصر لا يستطيع ان يتجاهل ان التعابير الجديدة في اشكالها المستحدثة ومضامينها المبتدعة ليست الا تطورا لمادة غنية قديمة بل موهلة في القدم وذلك لان الصيغ والدلالات الاسطورية العريقة وان اخلت مكانها الى تعابير جديدة فإن علاقتها ووظائفها لا تزال كما كانت في العالم القديم ولا تزال كما هي في الممارسة الشعبية في جميع انحاء العالم^(٢٢) .

إن الجماعات الانسانية تستجيب لمختلف الظواهر الطبيعية والتحول من حالة اجتماعية الى اخرى وهذا فصل الربيع قد تختلف صور الاحتفال به بين شعب وآخر ولكن الرموز والدلالات والوظائف واحدة والناس في كل مكان على الارض يحتفلون بالخصب بتواصل الحياة بالغرس والحصاد بالمطر والفيضان الموسمي ... بالزواج بالميلاد الخ .. قد ننسى أوزوريس (وارتيمس وديانا) ولكننا جميعا نحتفل بالطبيعة والانسان كما كان يحتفل اسلافنا من قبل والبعد الدرامي الذى يكسب اللغة الفنية حركة وتنوعا وتأثيرا لا يلتمس في تلك الاحتفالات الطقوسية او الموسمية وحدها وانما ايضا في تلك العادات والتقاليد التى لها اصولها السحرية والتى تستهدف حماية الانسان والحيوان والنبات من الآفات والايصاب ولا يزال الفلاح في اريافنا بل لا يزال الفلاح في ربوع آسيا وأفريقيا وأوربا والأمريكتين يمارس طقوسا غير معقولة ورثها من عصور قديمة موهلة في القدم وهذه الحفلات الصاخبة الكثيرة المتنوعة في اعياد الطبيعة والطقوس السحرية وشبه السحرية التى يعتصم بها الفلاحون الى الآن لها قوامها الدرامي الواضح الذى يستوعب الكلمة والايماة والايقاع والمادة المشكلة جميعا^(٢٣) .

ومنذ اكثر من قرن والعلماء المتخصصون في الدراسات الانسانية يعكفون على تسجيل العلاقة الوثيقة بين المأثور الشعبى او الفولكلور من جهة وبين الادب والفنون من جهة اخرى وليس هناك من يجهل المدرسة الانجليزية الانثروبولوجية التى اصلت منهجها في القرن الماضى والتى لا تزال ملاحظاتها واحكامها محل تقدير الدارسين واعجابهم الى الآن ومن المنتمين لهذه المدرسة متخصصون في الآداب الكلاسيكية اليونانية واللاتينية ومع ذلك فقد شغلوا انفسهم بالكشف عن العناصر البدائية التى يستوعبها سلوك الانسان المتحضر والتى تركز عليها ايضا تعابير الادبية والفنية وما تنتظمه من

شعائر لاتزال كامنة في كثير من مظاهر حياتنا وضروب سلوكنا وبذلك اتضحت للدارسين والنقاد الدعامة الكبرى التى يقوم عليها التعبير الفنى المعاصروهى الشعائر التى انبثقت منها الفنون على اختلاف انواعها واشكالها ولغاتها واثمرت هذه المناهج مدرسة نقدية لاتفسر الاشكال والمضامين بمعايير المؤثرات البيئية والنوازع الفنية وانما تفسرها بمعايير مستخلصة من التراث الذى لايزال حيا ومؤثرا فى علاقات الناس ووجوه نشاطهم وابرازها بانتزاع البقاء بالتعبير الفنى^(٢٤) .

وهناك سؤال لم تعد الإجابة عليه عسيرة كما كانت عند علماء الإنسان القديم فى القرن الماضى وهذا السؤال هو : كيف تفسر التشابه بل التماثل والتطابق بين شعائر تباعدت بينها البيئات والعصور ولقد احتدم الخلاف بين العلماء حتى انقسموا إلى قسمين متناظرين يرى أحدهما أن هناك أصلا واحدا انتشرت عنه تلك الشعائر وأن هذا هو التفسير الوحيد للتشابه والتماثل بين الشعائر والممارسات البدائية التى استمرت به فعالة فى كنف الحضارات التاريخية ويذهب الفريق الثانى إلى أن وجوه التماثل إنما جاءت نتيجة للتماثل فى الظروف التى تملئها بيئة ثقافية فى مرحلة بذاتها من مراحل التطور وأخذ كل فريق يؤيد وجهة نظره بما سجله الرحالة وما استنتجه العلماء من مختلف الملاحظات ولم يعد أحد من الدارسين يعنى بتلك المناظرة أو يؤثر فريقا على فريق ذلك لأن المهم الآن هو الحقيقة الواضحة التى لا خلاف حولها وهى أن التغير فى حياة الإنسان فردا كان أو جماعة لا يستحدث انسلاخا كاملا عن الماضى القريب أو البعيد وإنما يعنى تطور الأساليب والعلاقات وهو التطور الذى يتبع التغير من الاحتفاظ بعناصر قابلة للبقاء من الماضى أو التراث وعندما يحاول مؤرخ الحضارة أن يوحد بيئة بعينها أو عصر بعينه يجد فى الحلقات الشعبية الحية ما يوضح المضامين الثقافية للوحدة الإنسانية التى يدرسها واللغة الفنية من أبرز وسائل التطوير فى حياة الإنسان لما تتسم به من القدرة على التغير ومن الاحتفاظ بالأصالة فى وقت واحد وإذا اختلفت اللغات الفنية باختلاف وسائل التغير فإنها تتفق فى المصدر والسياق التاريخى والوظيفة حيوية كانت أو جمالية بيد أن استقلال كل وسيلة عن الشعيرة القديمة المتكاملة قد جعل اللغة الفنية يمدلولها الشامل كما تتشعب اللغة اللسانية إلى لهجات لهجة تتوحد بالكتلة أو اللون والخط ولهجة تتوحد بالكلمة وثالثة تتوحد بالصوت والحن ورابعة تتوحد بالحركة أو الإشارة ومن هذا كله تخضع لهجات اللغة الفنية لقانون واحد فى أطرها العامة ومسارها الثقافى وتشترك فى مقومات رئيسية جعلت مصطلحات هذه اللهجة يمكن أن تستخدم فى الحكم على لهجة أخرى وتقريبها فنحن نستعمل مصطلح الإيقاع فى فنون التشكيل كما نستعمله فى فنون الحركة والتمثيل وتستخدم ألفاظا تدل على البناء أو التركيب فيها جميعها وقد تتوحد بأحد مصطلحات الحركة لوزن الشعر وتقعيد موسيقاه^(٢٥) .

وقبل أن نتخلص من هذا العرض لما بين (اللهجات الفنية) من وحدة نرى لزاما علينا أن نجيب على سؤال لا يزال مطروحا أمام الدارسين والنقاد وهذا السؤال هو « اذا كانت الفنون تصدر عن لغة واحدة أو أصل لغوي واحد تنتظمه حركات الجسم الإنسانية فهل من الممكن الآن ترجمة أثر فني يصطنع وسيلة خاصة به إلى أثر فني آخر ؟ ولكي نكون أكثر وضوحا فاننا نتساءل : هل من الممكن أن نترجم قصيدة من الشعر تقوم على الكلام المنظوم إلى تمثال صيغ من مادة صلبه ملموسة أو ما نريد أن ندخل في الاختلافات الكثيرة التي أثمرتها المدارس الفنية المختلفة بل يكفي أن نذكر حقيقتين تبدوان متعارضتين :

الأولى : أن اللغة الفنية لا تقوم بذاتها وإنما تقوم بجهد خاص يشكلها بأسلوب خاص ومن العسير تبعا لذلك أن تنتقل خصوصية الجهد والأسلوب إلى مجال آخر وهذا الرأي يصدر عن النظر الذاتي للفنان ويجعله الأصل الأول ^{الأول} والآخر في تشكيل اللغة الفنية ، ومن الآخذين بهذا النظر من يلتمس خصوصية التجربة أو الموقف الإنساني عند هؤلاء الأفراد ولا يمكن أن تتكرر التجربة أو الموقف مهما امتص من عناصر الحياة المعاصرة أو الماضية لا يتكرران بتفاصيلها أو أماراتها .

الثانية : تذهب إلى أن الفن وسيلة حيوية وهامة من وسائل الاتصال بين النص واللغة الفنية وليست نشاطا فرديا مقصورا على مبدعيه أو منشئييه أو صاغته ولكنه يستهدف في المقام الأول انتزاع البقاء من عوامل الاضمحلال والذبول ويستهدف في المقام الثاني نقل خبرة إنسانية وشعور إنساني إلى آخرين وأصحاب الرأي الأول يذهبون إلى أن ترجمة أثر فني إلى شكل آخر بوسيلة أخرى أو لهجة أخرى لا يمكن أن يتحقق والمرء نفسه لا يستطيع أن يترجم أثرا من آثاره إلى لغة فنية أخرى فالشاعر مثلا يستحيل عليه أن يلخص قصيدته في كتلة مشكلة أو صورة تقوم على الخط واللون وأصحاب المذهب الثاني يرون أن هذا النقل ممكن ولكن بشروط فلا بد أن يكون الناقل من أصحاب المواهب الفنية أولا وأن يستكمل دراسة الأثر الذي يريد أن ينقله ثانيا ولقد ظهرت في حياتنا المعاصرة وسائل تدوين أو تسجيل جديدة تمهد إلى اللغة الفنية وحديثها من ناحية وقدرتها على النقلة من لهجة فنية إلى لهجة أخرى فقد ظهر الراديو الذي أعاد إلى اللسان مكانته وأكد أن الكتابة التي كدنا نستغنى بها عن التلفظ المجهور ليست إلا وسيلة تعسفية لنقل المسموع إلى منظور وأعاد تمثله مسموعا بتلك المصطلحات الخطية وظهرت الصورة المتحركة التي خلصت تسجيل المنظر من التلخيص والتكبير إلى حكاية السياق الواقعي ، وازدهر هذا التسجيل بالقدرة على التركيز والتصغير والإسراع والإبطاء والتلوين واقترن اللسان بالصورة وظهر التليفزيون وكاد المسطح الناطق يتحول إلى منظور مجسم متحرك ومتكلم في وقت واحد وبهذه الوساطة الجديدة في التسجيل مع ازدهار الطباعة الآلية

السؤال

أصبح السؤال مطروحا هل من الممكن أن يترجم التمثال إلى قصيدة أو تترجم الرواية إلى مسرحية أو تمثيلية سينمائية أو تليفزيونية (٢٦) .

وما لنا نذهب بعيدا والحياة تختبر وسائلها ووسائلها بلا انقطاع وقد برز في عالم الفنون والآداب أسلوب الترجمة من وسيلة فنية إلى أخرى ومن الشواهد الناطقة على قيمة هذه التجارب تحويل بعض الروايات إلى مسامع إذاعية بعد أن كثر تحويلها إلى مسرحيات وليس من شك في أن النقاد التفتوا إلى الفروق بين الأصل وبين الترجمة التفتوا إليها كما يقول الدكتور يونس في الأثر الذي يستخدمه الشكل الجديد بالقياس إلى القديم ، يصلها النظارة من شكل قام على التصور أو التمثيل الخيالي وذلك لأن القصة المدونة تقوم بالقراءة ومهما كانت قدرة الألفاظ على التصوير والمحاكاة فإنها من غير شك تعجز عن الوفاء بالتفاصيل والتقنيات الخاصة بطاقة المسرح ، والصورة المتحركة الناطقة هي الفيصل الحقيقي في اقتراب الترجمة الفنية من الأصل وما يوحيه من وقائع ومسامع ومشاهد (٢٧) .

المادة الخام في البرامج الثقافية : الكلمة :

تقع الكلمة المنطوقة في قلب التجربة الإذاعية ، ولقد حدث أن أصبح « الأدب » يعنى شيئا منفصلا تماما عن الصوت .. شيئا يعيش على صفحات الورق ومن السهل أن ننسى أن عددا كبيرا من الأعمال الأدبية الخلاقة العظيمة في العالم تمثلها الناس بروح مناقضة لذلك تماما ، أى باعتبارها شيئا منطوقا (٢٨) .

لقد كان مولير ينصح الناس بقوة ألا يقرعوا مسرحياته وأن يشاهدوها وهي تمثل .. نصيحة بسيطة ، ومع ذلك فهي صعبة التطبيق ، وقد يبدو من التهور حتى بالنسبة لها — أن يصدر الإنسان حكما موسيقيا بناء على مجرد قراءته للنوتة الموسيقية لإحدى المعزوفات ، كذلك فإن من الصعب تحديد المغزى الحقيقي لمعظم الكلمات ، تماما مثلما نجد من الصعب تحديد معنى أية علامة أو نبرة موسيقية منعزلة ، ولكن من سوء الحظ أن كل كلمة وأية كلمة يمكن للإنسان أن يقرأها وأن يكسوها بنوع ما من المعانى ما دامت الكلمات هي العملة المتداولة ، وما دام من الممكن وضع تعريف لكل منها (٢٩) .

ويقصد بالمادة الكلامية كل ما تقدمه الإذاعة من الكلمة المنطوقة دون — استخدام أى من الفنون الإذاعية الأخرى سواء كانت خلفية موسيقية أو مؤثرات صوتية أو فواصل ترفيهية وغيرها . وتتحدد أساليب الكلمة المنطوقة وتتخذ أشكالا متباينة منها الحديث الذى يليقه متحدث واحد ، والحوار بين أكثر من متحدث ، والندوة التى تجمع عددا من المتخصصين فى مجال معين ، ومنها أيضا الأسئلة والأجوبة .

وتواجه الكلمة المنطوقة منافسات تتزايد مع تطور الفنون الإذاعية شأنها شأن الكلمة المطبوعة التي تنافسها أساليب أخرى تنصدرها الصورة . على أن الكلمة المنطوقة ظلت رغم ذلك سيدة الموقف ، ولعل ذلك يرجع إلى أنها في أكثر الحالات أداة اتصال طبيعي ، وأن المستمع يستقبل فيها مضمونها صافيا دون أن تصرفه عنه محسنات منافسة وقد واجهت إدارة الإحصاء بهيئة الإذاعة المصرية صعوبة في عزل المادة الكلامية عن غيرها وتصنيفها في مصنف واحد إذ كثيرا ما تتداخل في برامج تتضمن فنونا إذاعية أخرى وفي حدود المستطاع حددت المادة الكلامية بالآتي :

١ - البرامج الاعلامية وتشمل النشرات الإخبارية والتعليقات السياسية والرسائل السياسية .

٢ - البرامج التعليمية عامة .

٣ - الأحاديث والندوات والقصة والرياضة والعلوم من البرامج الثقافية .

٤ - الأحاديث الدينية والفتاوى .

٥ - ٥٠ ٪ من برامج الخدمات .

٦ - ٥٠ ٪ من البرامج الخاصة .

٧ - وقد حددت نسبة الـ ٥٠ ٪ من برامج الخدمات والبرامج الخاصة استنادا إلى دراسة تجريبية انتهت إلى أن حوالى نصف هذه البرامج تقريبا تكونه مادة كلامية وفق التعريف الإجرائي الذي أشار إليه البحث . وفي هذه الحدود حصرت ساعات إرسال المادة الكلامية التي قدمت خلال عام ٧٠ / ١٩٧١ من الإذاعات المحلية فبلغت ٤٣٩٧٣٤ ساعة بنسبة ٢١,٧٦ ٪ من إجمالي إرسال تلك الإذاعات أى بما يقل عن الربع . ومن هذا البحث يتضح أن نسبة المادة الكلامية في البرنامج العام ٢٨,٣٨ ٪ وصوت العرب ٢٦,٢٩ ٪ والبرنامج العام وصوت العرب من حيث نسبة المادة الكلامية يقترب منهما البرنامج الثانى الثقافى ٢٥,١٣ ٪ مما يشير إلى أهمية المادة الكلامية في البرامج الثقافية التى تغطى المجالات العلمية والأدبية والفنية حتى يفيد الإنسان العربى والمصرى من الثقافة بكل ما فيها من تجارب وتيارات جديدة ، وربطة بالثقافات المحلية والعالمية وإحياء التراث القديم .

الموسيقى

المنطوقة

على أن لغة الإذاعة لا تتمثل في الكلمة المنطوقة فحسب ، وإنما في الموسيقى والمؤثرات الصوتية ، وذلك أن التركيبية الصوتية في الراديو تؤثر على الوجدان بطريقة مماثلة لتأثير الموسيقى .. ويذهب «ما كوينى» إلى أن أى شكل من أشكال الفن التى تعيش فى الزمن لابد يعتنى بالشكل الموسيقى . إن الأذن لا تستطيع أن تحتل الاستماع إلى مجرد كلمات تنقل المعلومات ويظل المحاضر شخصا مملًا إن لم يهتم بتقويع ما يحمل

حديثه من عوامل الحيوية ، وسرعان ما يتحول الكلام البحث إلى شيء لا معنى له ، لأن كلمات بلا « ريثم » وبلا تنوع في الإيقاع وبلا شكل محدد للعبارات وبلا أداء منسق على أساس من الحاسة الموسيقية للشخص الذى ينطقها سرعان ما يصبح لها وقع الرصاص الثقيل على عقل المستمع (٣٠) .

وفي ختام حديثه عن التجربة الإذاعية يقول دونالد ما كوينى « كثيرا ما قيل » إن لم ينقل البرنامج الإذاعى موضوعه كاملا وبوضوح عند سماعه مرة واحدة فهو برنامج فاشل قد يكون فى هذا رأى بعض الصحة إلا أنه لو ساد لدل ذلك منطقيا على أحد أمرين :

إما أن الإذاعة المسموعة مجرد وسيلة بدائية لنقل ما هو أبيض أو ما هو أسود دون أن يكون لها القدرة على نقل مستويات من المعانى أكثر عمقا ، أو أن المستمع يتمتع بإدراك يفوق الطاقة البشرية . وقد نشأ اعتقاد سائد بوجود التمسك بوجهة النظر هذه فضلا عن أن هناك اتجاها يقاوم الاعتقاد بوجود أية قيمة فى أى شيء لا نستطيع لمسه باليد ، حتى الكتاب - الذى يسمح لنا بأن نعود إلى صفحاته السابقة لنلقى النظرة على فقرة صعبة فيه - قد يوصف على الفور بأنه « غامض » إذا لم تكن رسالته واضحة وضوح الشمس . إن أى عمل فنى لا رسالة له ليس جديرا بتسميته عملا فنيا (٣١) وهناك دلائل على بعض المستمعين يعتبرون تكرار اذاعة أى برنامج إهانة لذكائهم ، ولا تجرؤ على تصور المصير الذى يمكن أن يلقاه بعض المستمعين على يد معارفهم لأنهم يشعرون بميل إلى سماع « بستان الكرز » مرتين !! (٣٢) .

ومن المؤكد أنه لا عودة إلى الوراء فى الإذاعة المسموعة فالعمل المذاع ابن اللحظة ويتلاشى بمجرد سماعه ، فإذا كانت للنص إثلاذاعى قيمة خاصة مع وجود مخرج جيد يرشد « عين » العقل إلى أعماق لا يتوقعها - فأن العمل المذاع يتطلب تركيزا وانتباها إيجابيا ، ولا يساوى هنا بين الجودة والتعقيد ولكن ماكوينى يؤكد على أن التعرف على أية تجربة ذات قيمة فنية تستحق الوجود كما يعتقد أنه كلما ازداد مضمون العمل الفنى عمقا ازدادت حاجتنا إلى دراسته دراسة أدق وذلك مثلما تعود مرة أخرى إلى لوحة مرسومة أو إلى معزوفة موسيقية لتكتشف فيها آفاقا جديدة وظلالا جديدة من المعانى .

ومما يرثى له أن الاذاعة تبلغ حدا كبيرا من « السهولة » ادى إلى نمو مقاييس زائفة للقيم وافترض المستمعون انه ما دام العمل المذاع لا يتسم بالسهولة فمن المحتم فى هذه الحالة ان يكون غامضا ومدعى علم ومتخبطا دون هدف وغالبا ما يحدث هذا ، إلا أن افضل الاعمال الإبداعية فى أية وسيلة تتطلب انتباها واعيا لا مجرد قلق سطحي خال من التفكير (٣٣) .

ونخلص من ذلك إلى أن أى عمل فنى إبداعى فى الراديو أو التليفزيون يستشير ولا يصف ، فهو لا يستطيع أن يقدم مجرد المظهر المادى للأمور ولا التجربة الاجتماعية للمسرح ، ان ما يقدمه هذا العمل اقرب بكثير إلى ما يحدث فى اكثر انواع القراءة للنفس ابداعا : تجربة شخصية معاشة باعماق النفس ومرئية ببصيرة داخلية . إلى أى مدى ينجح العمل الفنى الاذاعى فى تحقيق ذلك ؟ هذا امر لا حدود لمداه .. يقول (ادوارد ساكفيل ويست) : « الحقيقة أن الراديو اكثر قابلية من المسرح والشاشة لانه يقدم درجات اكبر من الاعداد الدرامى نظراً للمرونة القصوى التى تتمتع بها وسيلة الاذاعة وقدراتها الواسعة النطاق على الياحء المبدع .. حتى الحديث المباشر يتضمن عنصرا دراميا ينشأ عن تركيز الصنع على شخصية المتحدث غير المرئى كما ينشأ عن شكل الحديث إلى نهايته (٣٤) .

لغة البرامج الثقافية : ~~محموت~~ فى البرنامج العام وصت العرب :

إذا كانت الاذاعة تقدم نشراتها الاخبارية فى لغة عربية فصحية مفهومة من جانب المستمع ، فلماذا لا تقدم جميع برامجها بالفصحى ؟ لقد كانت الاذاعة المصرية منذ انشائها فى ١٩٣٤ وحتى عام ١٩٤٠ تقدم برامجها بالفصحى وفى الاربعينات تسللت العامية حتى سيطرت أخيرا على معظم البرامج فى هذه الأيام ، فى الوقت الذى كانت فيه نسبة الامية مرتفعة فى الثلاثينات وما بعدها (٣٥) .

ولم تكن البرامج فقط هى التى تقدم بالفصحى بل إن الاغانى ايضا كانت بالفصحى ويذكر الاستاذ على عيسى ^{تجربة} منذ سنوات قدم فيها البرنامج العام رواية كليوباترا التى كانت مقررة على طلبة الثانوية العامة . ويقول « تعجب اذا علمت ان اطفالا كانوا فى ذلك الوقت ما بين العاشرة والحادية عشرة وكانوا يفهمون كل أحداث التمثيلية » كما قدم البرنامج العام تجربة أخرى فى العام الماضى وهى برنامج « انك لعل خلق عظيم » وكان البرنامج بالفصحى . اما البرامج الثقافية فانها تقدم بالفصحى (٣٦)

وليس المقصود بالفصحى هنا - فصحية التراث السلفية - ولكن المقصود بها اللغة المشتركة - لغة الاتصال بال جماهير ، التى تبنتها الصحافة أول الامر - بعيدة عن تقعر فصحية التراث وغرابتها من ناحية وعن الوقوع فى أسر العاميات واللهجات المحلية من ناحية أخرى - ثم آزرتها وسائل الاتصال السمعى والمرئى بال جماهير ، الأكثر حداثة وهى الإذاعة والسينما والتليفزيون ، وهذه اللغة المشتركة تكشف عن ملاءمة لغتنا العربية لاحتياجات العصر الحديث ومتطلباته ، وتحقق نفاذها الأوسع والأكثر انتشارا إلى جماهير

المستمعين عبر أقطار الوطن العربى ، مجتازة حدود المتعلمين والاميين معا (٣٧) ، وأصبحت بذلك اللسان الذى يحقق المعادلة الصعبة بين القومية والمحلية فى اللغة عبر إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب .

وعلى صعيد التطبيق ، فقد أصبحت هذه اللغة تتسم بالتخلص من العبارات والكليشيهات المحفوظة والمتوارثة ، واللوان الزينة اللفظية والتأنيقات البلاغية التقليدية ، متجهة إلى تحقيق بلاغة عصرنا من نوع جديد يتمثل فى المباشرة والتحديد والمرونة والعمق والقدرة على الحركة ومراعاة مستويات المستمعين واحتياجاتهم ، وأصبحت هذه اللغة تمثل الوسط المشروع الذى لابد أن يراعيه كل إذاعى يتوجه بالمادة الإذاعية (خبرا كان أو تعليقا أو برنامجا ثقافيا أو تمثيليا أو منوعا) إلى جمهور المستمعين ، لا يصدر عنه ولا يهبط دونه ، ولم يعد السؤال المطروح : الفصحى أم العامية ، لكنه أصبح : لغة اتصال ناجحة أم لا ، لغة تحتفظ بالمقومات الرئيسية للفصحى وتتسع مع ذلك — للمسات والالوان والظلال الخاصة بالعاميات واللهجات المحلية ، وتخلق من كليهما وسطا لغويا متناغما أساسه الوحدة والتنوع معا (٣٨) .

وإذا كانت هذه اللغة المشتركة ضرورة فى البرنامج العام فهى ألزم فى صوت العرب لأن هذه اللغة المشتركة تجمع بين أبناء الأمة العربية التى يتوجه إليها صوت العرب ، وبالتالي فهى وسيلة الاتصال المفهومة لدى الجماهير العربية مهما كانت درجة ثقافتها أو تعليمها .

ومن أجل ذلك تعتمد معظم البرامج فى صوت العرب ومن بينها البرامج الثقافية على الفصحى ، بل إن التمثيلية الإذاعية تقدم منذ عام ١٩٧٧ بالفصحى ٥٠ ٪ ويصرح مدير صوت العرب بأنه يأمل أن ترتفع النسبة خلال عام ١٩٧٨ إلى ١٠٠ ٪ (٣٩) .

وقد كتب الأستاذ أنيس منصور يحيد هذا الاتجاه يقول :
« تستحق إذاعة صوت العرب » عظيم التقدير والاحترام لأنها قررت أن تكون لغتها العربية الفصحى فى كل برامجها بعد أن تفشت العامية أو العربية المكسرة فى البرامج الأخرى والتليفزيون . وهى محاولة غير مقصودة لأن تكون لدينا لغتان العربية ولغة أخرى هى تشويه اللغة العربية والذى يحاوله صوت العرب ونجح فيه ، هو ما يجب أن تفعله كل الإذاعات العربية — أقصد الإذاعات المصرية الناطقة باللغة العربية . وكل البرامج العربية فى الإذاعات البريطانية والأمريكية والروسية واليهودية ناطقة باللغة العربية تعيش حولنا وليس عندنا . وهو عيب ليس له ما يبرره إلا التراخى والإهمال .. ولو أننا انتبهنا إلى كلامنا العادى نحن كمتقفين لوجدناه عربيا سليما ، لا ينقصه إلا

علامات التشكيل . وبشيء قليل جدا من الضبط ، تصبح لغتنا عربية فصحي واللغة الوسط بين الفصحى والعامية هي لغة الصحف فهي سهلة العبارة ، قليلة المفردات . ولذلك كانت الصحف مفهومه عند كل الفئات والطبقات . إذن ليس الواحد منا في حاجة إلى مجهود كبير لكي تتحول اللغة العربية السهلة على السنتنا إلى لغة عربية فصيحة .

« والناس تنتظر من الإذاعة والتليفزيون « النموذج الحسن . ونحن نحرص على أن يكون المذيع حسن الصوت واضح الكلمات . أى أن يكون مانيكانا لغويا وصوتيا فنقتدى به صغارا وكبارا . ولكن اذا وجدنا المذيع أو المتحدث أو الضيف أمام الميكروفون أو على الشاشة يستخف باللغة العربية فليس على الناس إلا أن يفعلوا نفس الشيء ... متوهمين أن هذه هي الصورة المثلى للكلام والحديث ومن هنا كانت غلطة المذيع فادحة وغلطة المذيعين والمتحدثين معه وباء يجب أن نتقيه . »

« اما من أين نبدأ تعليم اللغة العربية واحترامها وحرصنا عليها ، فلنبدا من أى مكان .. من الإذاعة من المدرسة من الصحف والمجلات من الندوات المهم أن نبدأ بصورة مركزة ومستمرة أما النتائج فمؤكدة وسوف تجيء على مهل لأن تقويم اللسان العوج يحتاج إلى وقت وصبر وتشجيع . ولذلك كانت سعادتي عظيمة بأن للعرب صوتا قريبا فصيحاً ينطلق من القاهرة^(٤٠) . »

إن استعمال الفصحى المشتركة في البرامج الثقافية بخاصة ، أمر أساسى لتحديد معالم لغة الإذاعة العربية بعامية ، سيما وأن اللهجة العامية في أى قطر عربى ليست إلا عربية محرفة ، دخلتها الفاظ وتراكيب أجنبية بحسب التأثيرات التى تعرض لها كل قطر عربى على حدة ، وإن التحريف في العامية ليس مطردا وليس واحدا فهو يختلف من قطر إلى قطر ، ويختلف في الأسرة الواحدة حسب الأجيال التى ينتمى إليها أفراد الأسرة ، طبقا لعامل التغير الذى يعتري اللهجات العامية بصورة ظاهرة سريعة^(٤١) .

وتتفاوت مظاهر الاختلاف في هذه البيئات ، فهي مثلا تقل في الأسرة الواحدة ، وتبلغ أشدها بين قطر وقطر إلى درجة يتعذر معها أن يتفاهم أبناء قطر واحد مع أبناء الأقطار الأخرى سواء عن طريق التخاطب أم عن طريق الكتابة . وهذا يتضح في بعض الأمثلة التى تستخدم فيها اللهجات العامية من بلاد عربية مختلفة ، فالمثال الأول للعامية الجزائرية يقول :

« الودود والسوافة : واحد النهارهما زوج متاع الناس ، خطوا للسوق باش بشروا عودة ، صابوا راجل ودودا يبيع في عودة ، ساوموها منه ، قالوا أشجال تسوى العودة ، قال لهم اعطوا خم خم خم ، قال الواحد لصاحبوا يا نمشوا ، ما يجى يوصل للسين غير اذا كنا شرينا عودة أخرى ، ومشو في حالهم^(٤٢) . »

فإذا ترجمت هذه القطعة العامية إلى العربية الفصحى ، وجدناها تعنى حكاية تدور بين تاجر لا يحسن النطق وبين الزبائن الذين يساومونه فذات يوم ذهب الرجلان إلى السوق ليشتريا فرسا ، فصادفا هذا التاجر يبيع فرسا ، فسألاه عن ثمن الفرس ، فقال لهم خم خم خم . فقال أحدهم لصاحبه : هيا نمشى ، لأننا سنكون قد اشترينا فرسا أخرى قبل أن يصل إلى حرف السين ، فهل يمكن لعربي في خارج الجزائر أن يفهم هذا الكلام العامى بغير الاستعانة بمترجم وكأن الحكاية مكتوبة بلغة أجنبية غير العربية^(٤٣) .

وهذه الصعوبة نفسها تنشأ عندما نقرأ في احدى القصص السودانية المعاصرة جزءا من حوار بالعامية السودانية ، يقول :

« جال : سيخ السوج وين جـ جال ليهو الوليد أحمد يا هو ، ومضورجال ليهو : أى يا أسطى . جال : السوج أصلو خلاص برا هو مرج من يدى من أيام : الرازج كله الله . إنى ما دير افشاك ، يلاك يا عثمان نشيف منعم ، ما تجيف كدى فى خشم الباب وتكورك^(٤٤) . »

هذا الكلام أيضا لا يستطيع عربى خارج السودان أن يفهمه إلا بعد الترجمة إلى العربية الفصحى وهى :

قال : أين شيخ السوق ، قال له الوليد أحمد : هذا هو ، قال متصورله : نعم يا معلم قال : إن السوق قد أفلت من يدى منذ أيام ، الرازق هو الله . أنا لا أريد زيارتك ، هيا بنا يا عثمان نرى منعم ، لا تقف هكذا فى فتحة الباب وتكثر من الكلام^(٤٥)

وهكذا لو أردنا أمثلة مختلفة من شتى الأقطار العربية مستقاة من لهجاتهم العامية ، فأننا سوف نصادف صعوبة بالغة فى فهمها ، مما يعرقل إلى حد بعيد التفاهم الذى ينبغى أن يكون موجوداً بين أبناء الامة العربية الواحدة ، وهذا التفاهم هو الأساس فى لغة الإذاعة العربية بعامية وفى لغة صوت العرب بخاصة ، لأن صوت العرب إذاعة موجهة إلى منطقة واحدة متجانسة التاريخ والأهداف والعقيدة واللغة الفصحى وهى المنطقة العربية .

فإذاعة صوت العرب تعتبر ناطقة باسم العالم العربى فهى تتبنى قضاياها وتتابع نشاطاته وانجازاته أى أنها تتحدث إليه فقط بقدر ما تأخذ منه وتعطيه . ولذلك ترتفع صوت العرب بموضوعاتها إلى المستوى القومى بنسبة ٥٠ ٪ وأحيانا ٧٥ ٪ فهى النسبة الغالبة فى كل الأحوال وهى ملتزمة بتقديمها لأن مصر بلد عربى أولا ولأن هذه المواد تجد الشعبية المطلوبة فى البلاد العربية ثانيا^(٤٦) . ولذلك فإن صوت العرب حين ترسل بالفصحى المشتركة ، ولا يترسل بإحدى العاميات ، فإن ذلك يرجع إلى أن العاميات عامل

انقطاع بين العرب في الوقت الحاضر بحيث لا يفهم قطر لهجة قطر آخر كما تبين مما سبق ، كما انها عامل انقطاع بيننا وبين تراثنا العربى ، وهو تراث كان له دور كبير في بناء الثقافة الانسانية ، وفى تاريخ العلوم الحديثة باعتراف الغربيين انفسهم فقد استطاع العرب الاوائل بعد عصر الفتوحات أن يتمثلوا حضارات الامم القديمة وان يضيفوا اليها من ابداعهم وعبقريتهم في كل المجالات ، مما جعل ثقافتهم وعلومهم ركيزة للتقدم الانسانى في العصور الوسطى (٤٧) .

كانت مؤلفاتهم العلمية في الطب والرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والزراعة ... من المراجع الاساسية عند الغربيين ، وكانت تدرس في جامعاتهم حتى وقت قريب ، فكتابات ابن سينا في الطب كما يقول لوبون - لم يكف اساتذة جامعة مونتبيليه بفرنسا عن شرحها الا منذ خمسين عاما فقط (٤٨) .

وكانت مؤلفاتهم الادبية ايضا من شعرونثر ، لها اثر واضح في الآداب الغربية في القرون الوسطى اعترف به مؤرخو تلك الآداب ، وفى ذلك يقول جب : « لعل خير ما اسدته الآداب الاسلامية لآداب اوربا ، إنها اثرت بثقافتها وفكرها العربى في شعر ونثر العصور الوسطى (٤٩) » .

وتأسيساً على ذلك ، فإن القول بأن الفصحى هى اللغة الاتصالية في الاذاعة بوجه عام وفى البرامج الثقافية بخاصة ، فى البرنامج العام أو صوت العرب ، قول يقوم على اساس أن الفصحى قد اثبتت قدرتها على تناول شتى العلوم فى الماضى وهى فى سبيل الاتساع لها فى الحاضر كما انها اثبتت قدرتها على التعبير عن اسس العواطف والمشاعر الانسانية ولا يستطيع أحد أن ينكر ما فى أدبها من حكم وزهديات وغزل عذرى عفيف (٥٠) .

أما العامية فإنها لا تقوى على أن تكون لغة للعلم والادب ، لانها لا تقوم على قواعد وأصول مكتوبة ، وليس لها نحو خاص ، فالأمر فيها متروك لأذواق الناس وأهوائهم ، وان ما بذله بعض المستشرقين من دعاة العامية فى سبيل ايجاد قواعد للعامية قد أكد استحالة وضع هذه القواعد لا بالنسبة للهجات الاقطار العربية المختلفة فحسب وإنما بالنسبة للهجة القطر الواحد ، ولذلك رأينا بعضهم وهو يحاول وضع قواعد للهجة المصرية ، لم يجاوز اللهجة القاهرية وحدها ، وبذلك لم يصل الى شئ مما كان يرجوه . وليست استحالة وضع قواعد للعامية قاصرة على ما بين لهجاتها من اختلافات ، بل لما يطرأ عليها من تغير سريع ، مما جعل ما يكتب بها اليوم فى بلد من البلاد غير مفهوم لأهل هذا البلد بعد سنوات .

ملخص :

وهكذا يمكن القول أن الفصحى المشتركة هي الوسيلة الوحيدة التي تؤدي بها البرامج الثقافية دورها ، لا نقول ذلك على أساس اعتبارات دينية أو عاطفية أو تاريخية فحسب ، ولكن لما لها من أصول راسخة وتجارب واسعة في مختلف أساليب التعبير اكتسبتها في تاريخها الطويل حيث يمكن أن تستوعب حقائق العلوم في العصر الحديث ، كما وسعتها في ماضيها البعيد ، كما أن أدبها الفصيح يقوم بدور كبير في بعث الروح القومية وإذكائها ، بينما نجد الأدب العامي يرتبط بالقوميات المحلية مما يؤدي إلى انحلال عرى الثقافة العربية^(٥١) .

وقد تحدثنا في هذا الفصل عن البرامج الثقافية واللغة المشتركة على اعتبار : -

← ١ - أن اللغة هي القاسم المشترك الأعظم بين جميع الاذاعات بعامة وبين البرامج الثقافية بخاصة .

ب - أن اللغة المشتركة هي وسيلة الاتصال الاذاعي بين البلاد العربية فضلا عن أنها القضية المحورية بين دعاة القومية والمنتصرين للمحلية .

ج - أن اللغة المشتركة في الاذاعة تجاوزت حدود الوطن المصرى إلى جميع الناطقين بالعربية بالعربية ، وهى لذلك عامل جوهري يعمل على تقارب المجتمعات في نطاق معين تحدده اللغة القومية العامة .

د - أن الاذاعة اعانت على إظهار المفهوم الاجتماعى الصحيح للغة .

هـ - ليس المقصود هنا - فصحى التراث السلفية - ولكن المقصود بها لغة الاتصال بال جماهير التى تكشف عن ملائمة لغتنا العربية لاحتياجات العصر الحديث ومتطلباته . وقد تبين أن صوت العرب يعتمد على الفصحى المشتركة نتيجة لتوجهه إلى الجمهور العربى فى البرامج الثقافية أكثر من اعتماد البرنامج العام على الفصحى .

- (١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة القاهرة : ١٩٧٢/٥/١١/٦ ص ٢٠٧ (المرجع السابق)
- (٢) د . عبد الحميد يونس : اللغة الفنية مجلة عالم الفكر . الكويت ١٣ م^٢ .
- (٣) نفس المرجع . يونس
- (٤) د . عبد الحميد يونس : اللغة الفنية مجلة عالم الفكر . الكويت ع^١ م^٢
- (٥) د . عبد الحميد يونس : اللغة الفنية مجلة عالم الفكر . الكويت ع^٢ م^٢
- (٦) فن الاذاعة ص ١٥ مرجع سبق ذكره .
- (٧) فن الاذاعة ص ١٦ - مرجع سبق ذكره .
- (٨) نفس المرجع ص ١٦ .
- (٩) الدكتور عبد الحميد يونس : اللغة الفنية جـ مرجع سبق ذكره ص ٣٨
- (١٠) C.A.Cingria, Les Trobadaurs et la Radio d'echo, paris 1947, p. 1923
- (١١) Cherif Khazndar, Tradition orale et Radio dans, Tardieu , op cit. p. 93
- (١٢) Revue de paris, decembre 1955, p.64
- (١٣) Afriqu-Monde, Ed. Saint-Paul, 1903, p. 192
- (١٤) الدكتور عبد الحميد يونس : اللغة الفنية مرجع سبق ص ٣٨ وما بعدها .
- (١٥) المرجع نفسه ص ٣٨ .
- (١٦) المرجع نفسه ص ٣٩ .
- (١٧) المرجع نفسه ص ٣٩ .
- (١٨) المرجع نفسه ص ٣٩ .
- (١٩) المرجع نفسه ص ٣٩ .
- (٢٠) المرجع نفسه ص ٤٠ .
- (٢١) المرجع نفسه ص ٤٠ .

- (٢٢) المرجع نفسه ص ٤٠ .
- (٢٣) المرجع نفسه ص ٤١ .
- (٢٤) المرجع نفسه ص ٤١ .
- (٢٥) المرجع نفسه ص ٤٢ .
- (٢٦) المرجع نفسه ص ٤٢ .
- (٢٧) المرجع نفسه ص ٤٣ .
- (٢٨) دونالد ماكوفى : فن الراديو - الفن الاذاعى ع ٣٨ م ١١ فى يناير ١٩٦٧
- (٢٩) المرجع نفسه ، ص ١٥ .
- (٣٠) نفس المرجع ص ٣٠ .
- (٣١) نفس المرجع ص ٣٠ .
- (٣٢) المرجع نفسه ص ٣١ .
- (٣٣) المرجع نفسه ص ٣١ .
- (٣٤) المرجع نفسه ص ٣١ .
- (٣٥) مجلة الاذاعة والتليفزيون : فى ٢٢/٥/١٩٧٦ .
- (٣٦) مجلة الاذاعة والتليفزيون : فى ٢٢/٥/١٩٧٦ .
- (٣٧) المنظمة العربية للتربية والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع - مرجع سبق ذكره ص ٢٠٩ .
- (٣٨) نفس المرجع ص ٢٠٩ .
- (٣٩) مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ٢٢/٥/١٩٧٦ .
- (٤٠) فى جريدة الاهرام فى اول نوفمبر ١٩٧٧ .
- (٤١) المنظمة العربية للتربية والثقافة مؤتمر الوحدة والتنوع - مرجع سبق ذكره ص ١١٢ وما بعدها .
- (٤٢) مجلة المشرق ، ٥ ، ١٩ - السنة ٣٣ ع ٣٧ فى المرجع السابق ص ١١٢ .
- (٤٣) نفس المرجع ص ١١٢ .
- (٤٤) اسحاق ابراهيم اسحاق . قصة اعمال الليل والبلدة : الخرطوم ١٩٧٠ .
- (٤٥) مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ٣ ابريل ١٩٧٦ .
- (٤٦) نفس المرجع .
- (٤٧) المنظمة العربية للتربية والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع - المرجع السابق ص ١١٣ .
- (٤٨) جوستاف لوبون : حضارة العرب (القاهرة - المكتبة العصرية - ١٩٤٥) ص ٥٨
- (٤٩) هاملتون جب : تراث الاسلام ص ١٨٩ - ١٠ .
- (٥٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة : المرجع السابق ص ١١٤ .
- (٥١) المرجع نفسه ص ١١٦ .

الفصل السادس

البرامج الثقافية بين الأدب والفنون والعلوم

الثقافة

نتحدث في هذا الفصل والفصول التالية عن تنوع المادة الثقافية والموضوعات التي تقدمها البرامج الثقافية في شتى ألوان الثقافة والعلم والإنسانيات تأسيساً على التعريف الذي ذهب إليه البحث للبرامج الثقافية ، وأنها مجموعة البرامج التي تتعرض بشكل مباشر للأنشطة المتصلة بالأدب والنقد الأدبي والدراسات الأدبية والفنون التشكيلية والمسرح والعلوم والدراسات الإنسانية وما إلى ذلك وإن كان هذا التقسيم الاصطلاحي يستبعد الدراما والموسيقى الجادة والتعليم ، فإن هذه المواد من المكونات الأساسية في التكوين الثقافي للفرد ، والواقع أن كل برامج الإذاعة يمكن أن يكون لها أثر في التكوين الثقافي للفرد والمجموعة بطريق مباشر أو غير مباشر .

وقد يتصل الأثر بمجرد إضافة معلومات ، أو خلق اتجاه جديد ، أو إضعاف اتجاه قديم ، أو المعاونة على خلق وجهة نظر محددة جديدة ، أو متحولة من وجهة نظر أخرى ، وقد يكون في خلق قيمة جديدة أو تدعيمها أو الإضعاف من قيمة قديمة أو التحول عنها .. وقد يتمثل الأثر في تعديل سلوك قائم أو العدول عنه إلى سلوك جديد .. وهذا كله ما يعرف باتجاهات التأثير .. » .

ولذلك نتناول بالترتيب :

التكامل بين الاذاعة وأجهزة الثقافة والفنون كالمسرح والسينما ، والفنون التشكيلية
كما نتناول تنمية الوعي القرائى من خلال البرامج الثقافية ، ثم نناقش دور الاذاعة في
مواجهة العوز الثقافى من خلال التكامل بينها وبين أجهزة الثقافة الأخرى .

ثم نتناول : الادب والبرامج الثقافية والدور الذى تقوم به البرامج الثقافية في نشر
الادب وتذوقه ، كما يتحدث عن الأدب الاذاعى والقصة والادب الدرامى ، والبرامج
الخاصة .

ونتناول أخيرا : البرامج الثقافية وتبسيط العلوم : حيث نتحدث عن دور البرامج
الثقافية في التقريب بين أصحاب الثقافتين العلمية والأدبية عن طريق تبسيط العلوم
وضرورة تبسيط العلوم في الدول العصرية .

البرامج الثقافية بين الادب والفنون والعلوم

نتحدث في هذا الفصل عن التكامل بين الاذاعة وأجهزة الثقافة وذلك أن المؤسسات الثقافية في ظل الحضارة العربية (المساجد ودور الحكمة والمدارس والمكتبات) كان لها أثر كبير في بناء ثقافة الأمة العربية ، غير أن هذه المؤسسات تراجعت عن دورها بفعل الاستعمار وأثر الظروف التي مرت بأقطار الوطن العربى ولما بدأ التعليم في العصر الحديث عنى في أغلب الأمر بالإعداد الوظيفى والمهنى للطالب ، وأدت الضغوط الكمية والظروف الاقتصادية إلى قصور الخدمات التعليمية عن استيعاب مهمة التثقيف بصورة متكاملة ، فضلا عن ظهور وسائل اتصال ومؤسسات ثقافية جديدة لا تستطيع أجهزة التعليم وحدها — مهما بلغت إمكاناتها أن تستوعبها^(١) .

وقد قرر اعلان حقوق الإنسان حق الثقافة مقترنا بحق التعليم ، ولعل ظروف الوطن العربى وضغوط أعباء الخدمات التعليمية والثقافية ، وقصور الموارد والإمكانات في حالات كثيرة يدعو إلى التنسيق والتكامل بين الأجهزة المسئولة عن التعليم والثقافة وتجميع مواردها وتنسيق خططها ، تحقيقا لأكبر عائد ثقافى في حدود الإمكانيات المتاحة^(٢) .

ومن هنا كانت قضية التكامل من القضايا الأساسية في التخطيط للبرامج الثقافية بالاذاعة المسموعة وفى تنفيذ هذه البرامج لأن ظاهرة التخطيط العلمى في العصر الحديث تتطلب بالضرورة التكامل والتنسيق وتجميع كل الإمكانيات في إطار خطة شاملة .

أولاً : البرامج الثقافية والفنون :

يمثل مجال الفنون أرضاً واسعة خصبة للتكامل بين الإذاعة وأجهزة الثقافة الأخرى بحكم ترابط الفنون العربية التقليدية ووجدتها ، وتشابه الظروف التي وفدت فيها الفنون الحديثة إلى المجتمع العربي ، وبحكم تقارب المشكلات والعقبات التي تواجه هذه الفنون ^{هذه} وتعوقها عن تأدية دورها الكامل في إغناء وجدان الجماهير العربية .

١ - الإذاعة والمسرح :

إذا كانت فنون الأدب والموسيقى والفنون التشكيلية تلعب دوراً هاماً في تكوين الذوق العام ، فتؤثر بالتالي على تشكيل الرأي العام ، فإن هذه الفنون تتلاقى على خشبة المسرح .. إن المسرح يحتاج إلى الكلمة والحركة والصوت والتشكيل جميعاً ، بل هو يستعين بفنون الإضاءة وعلم الصوتيات في كثير من جوانبه^(٣) .

والمسرح عامة — والمسرح العربي خاصة — يرتبط بعلاقات متنوعة الجوانب والأهداف ببقية المؤسسات الثقافية العاملة في المجتمع ، مما يحتاج معه إلى دراسة مختلف جوانب هذه العلاقات وتدعيمها ، وسنكتفى هنا بدراسة علاقة المسرح بالإذاعة وبرامجها الثقافية موضوع البحث .

فالمسرح بالنسبة للإذاعة المسموعة عند قيامها بدور الوسيط الثقافي مصدر ثقافي وفن جماهيري متمم لدورها في الحياة الثقافية . وقد رأينا فيما تقدم أن « البرنامج العام » يخصص برنامجاً للمسرح بعنوان « أضواء المسرح » في حين يخصص صوت العرب برنامجاً بعنوان « عالم المسرح » .

ويقتضينا هذا أن ندعو إلى تدعيم هذين البرنامجين لتقديم الانتاج الثقافي الرفيع سواء كان محلياً أم عالمياً مترجماً على أن يكون للمسرحيات والأبحاث المسرحية نصيب واضح من فترة البرنامج ^{البرنامج} حتى يمكن توصيل المعارف الفكرية والفنية إلى مستمعي المدن والقرى البعيدة عن العواصم ومراكز الإشعاع الفني . سيما وأن التدفق المسرحي لا يتم عبر القنوات الموصلة للجماهير فما يزال « حزام العوز الثقافي » ان جاز هذا التعبير يقف حائلاً أمام هذا التدفق في الأقاليم ، ذلك أن النشاط المسرحي في مصر ، قد تعرض للكثير من الاضطراب ، واختلفت مساهمة الدولة في هذا النشاط باختلاف الفترات التاريخية ، وباختلاف وجهات النظر حول ما يترك للقطاع الخاص وما يضطلع به القطاع العام^(٤) . وذلك في الوقت الذي يمكن للمسرح ان يستخدم كأداة للاتصال بالجماهير لتثقيفها . وتهذيبها من غير اعتماد على القراءة والكتابة^(٥) .

ومن خلال الاحصاءات يبين ان الحركة المسرحية في مصر ضيقة اكثر من اللازم ، لان رقعة الجماهير التى ينبغى ان يتصل بها واسعة ، وهنا يغدو دور الراديو فى توسيع هذه الرقعة اساسيا ، حيث يشيع بين غالبية فقيرة أمية تجهل مبادئ القراءة والكتابة الامر الذى يقتضى ان يكون الراديو مواصلة رئيسية تحل محل الاجهزة الثقفية الاخرى التى تعجز تلك الغالبية عن استيعابها . والمسرح — كما يقول فاجنر هو « فن الفنون » لانه يعتمد فى تكوين وجوده على معطيات الفنون الاخرى كالادب والتمثيل ، والتصوير ، والموسيقى ، والعمارة ، وذلك بالاضافة الى جمعه لعنصرى الزمان والمكان اللذين يمكن ان يتميز بأحدهما فن دون آخر . كما ينفرد المسرح بتميز خاص لا يتاح لغيره من الفنون الاخرى ، وهو أن المتفرج لا يستهلك العرض المسرحى وحده — كما يفعل مستهلك القطعة الادبية أو اللوحة مثلا وانما يشارك غيره الرؤية والاستماع فى نفس الوقت . وبجماهيرية المسرح — شبه الحتمية — والتى لا تتم صورة العرض المسرحى المتكامل ، يصبح المسرح الى جانب امتاعه الترفيهى — من أهم الاجهزة التعليمية والثقفية^(٦) .

والثقافية

ويتضاعف الدور الاجتماعى للمسرح عندما يتصل بالاجهزة الثقفية الاخرى كى يسخرها لاغراضه سواء بالسلب أو الايجاب ، وعلى هذا تصبح الاهمية مركبة ، لان رقعة الجماهير التى يتصل بها تتسع . فقد يتحدد تأثير المسرح الحى المباشر بزمانه ومكانه ، ولكن يتراعى مداه ويعمق ان هو اقام علاقات دبلوماسية صحيحة مع المؤسسات الثقافية ووسائل الاتصال الجماهيرية الاخرى .

وعلى ذلك فان برامج المسرح فى الاذاعة (صوت العرب والبرنامج العام)

ينبغى أن تعمل على :

- ١ — الارتقاء بمستوى الانتاج الفنى على اختلاف فروع حتى يصل الى مستوى رفيع ممتاز يجعل لثقافتنا وزنا عالمياً .
- ٢ — أن تصل ما بين هذا الانتاج الممتاز واكبر عدد من ابناء الشعب وان تضمن اطراد الزيادة فى هذا العدد مستقبلا حتى يصل الى الجماهير العريضة .
- ٣ — أن تقدم الى المواطنين صورة امينة متكاملة للانتاج العالمى فى هذه المجالات لتصل ما بين الثقافة القومية والثقافة العالمية وصلا مستمرا .
- ٤ — أن تؤدى دورها الثقافى فى الوطن العربى ، فتمد نشاطها الى اقطار هذا الوطن باعتبار أن الثقافة هى الدعامة الاولى للوحدة القومية .
- ٥ — أن تتيح للاعمال الممتازة لديها فرصة الطواف فى العالم لتعلن عن ثقافتنا القومية ولتكسب هذا الوطن احتراماً فى نظر الشعوب الاخرى .
- ٦ — أن يشتمل الانتاج على مضمون انسانى يشارك فى المرحلة الحالية مشاركة حقيقية فى بناء هذا الشعب وفى تأصيل القيم الحضارية الصحيحة .

وتمثل هذه المهام الثقافية للمسرح ، تغيير النظرة اليه كنتيجة طبيعية لارتفاع وعى الجماهير من ناحية ، والارتفاع بمستوى فن التمثيل من ناحية اخرى ، وتقدم فنون المسرح والسينما بشكل عام ، وارتباطها بحياة الناس ومشكلاتهم الواقعية ، تحاول — في نماذجها الناضجة — الاسهام في بناء حياتنا الجديدة بنقد السلبيات والانحرافات ودعم القيم الايجابية الشريفة ، بعد ان كانت تكاد تكتفى بالتسلية والإثارة والإضحاك بوسائل اقرب للترخيص والتهريج والتبذل منها للفن الناضج^(٧) .

فبالنسبة للمسرح ، أنشأت وزارة الثقافة في بداية الامر عام ١٩٦٠ مؤسسة عامة لفنون المسرح والموسيقى ، ودعمت مسرح العرائس بالفنانين التشكيليين وبنصوص وضعها كبار الكتاب ، حتى فاز المسرح في عام ١٩٦٠ بالجائزة الثانية في مهرجان بوخارست العالمى .

كما انشأت الوزارة عام ١٩٦١ مسرح الجيب لتقدم عليه التجارب الطليعية ، ولكي يتيح للباحثين المتخصصين فرص الدراسة والمناقشة من اجل فتح آفاق جديدة امام العمل المسرحى . وقدمت للفرق الحرة معونات مالية ومسارح تؤجرها لها بايجار رمزى . ومن المسلم به أن هناك علاقة درامية بين المسرح والاذاعة ولذلك فان برامج المسرح في صوت العرب والبرنامج العام ينبغي ان تحرص على متابعة الحركة المسرحية العربية ، وتطويرها وتسييل الاضواء على أهم الأنشطة المسرحية .

٢ — الاذاعة والسينما :

اصبحت السينما أداة فعالة في نشر المعرفة وتطوير الفكر والذوق ، وهى بقدر ما تؤدي دورا كوسيلة ترفيهية تستطيع ان تنهض بدور ايجابى في المجال الثقافى ، والى هذا ينبغي ان تتجه معظم طاقاتها ومواردها ولهذا فان السينما الناشئة في الوطن العربى مطالبة بأن تكون في خدمة الثقافة .

وفي إحصاء اليونسكو ١٩٧١ فضلا عن إنتاج الافلام الطويلة في سنوات ١٩٦٠ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٨ ، ١٩٧٠ ، والاحصائية تثبت عن إنتاج هذه السنوات الحقائق التالية : —

مصر انتجت ٦٤ فيلما في سنة ١٩٦٨ وفيلمين مشتركين وغفلت الاحصائية عن ذكر انتاج ١٩٦٩ و ١٩٧٠ . اما الانتاج العربى فان الاحصائية اثبتت ما يلى :
الجزائر أنتجت ٥ افلام سنة ١٩٦٥ وفيلما واحدا مشتركا و ٣ افلام في سنة ١٩٦٨ ولم تذكر الاحصائية شيئا عن بقية السنوات .

لبنان أنتجت ٥ افلام سنة ١٩٦٠ و ١٥ سنة ١٩٦٥ وستة افلام في كل من سنتي

١٩٦٩ ، ١٩٧٠

تونس انتجت ٧ افلام سنة ١٩٦٨ و ٣ افلام سنة ١٩٦٩ .
وقد تناول هذا الاحصاء ٤٨ دولة منتجة للافلام الطويلة ، يعتبر الانتاج المصرى
الخامس عشر بينها ، وهو بهذا يحتل مكانة من حيث الكم يمكن اعتباره طيبا نسبيا .
واذا اعتبرنا أن قدرة مصر على الانتاج تصل الى ٥٠ فيلما في العام بمتوسط اسبوعين
لكل عرض يعرض فيه الفيلم الواحد فمعنى هذا أن مصر تحتاج ليدور كل فيلم دورة كاملة
على مدى عام كامل الى ٢٥ دار عرض مختلفة وموزعة توزيعا جغرافيا عادلا ، ليستكمل
الفيلم الواحد دورة كاملة طوال العام .. إذن فستحتاج مصر إلى ١٢٥٠ دار عرض . هذا
بالنسبة لدور العرض ولو افترضنا أن متوسط مقاعد كل دار هو قرابة ألف وخمسمائة
مقعد فإننا نستطيع في هذه الحالة أن نوفر للفيلم المصرى قرابة مليونين من المقاعد
تستقبل رواد السينما . كما أن دار العرض نفسها التى ستشغل بعرض هذا الإنتاج
طوال العام على امتداد خمسة وعشرين أسبوعاً تحتاج إلى ٢٥ فيلما لتشغيل بقية
أسابيع العام ، وسيكون لها أن تختار بين عرض أفلام سبق إنتاجها في أعوام سابقة
بنسبة معينة ، واستيراد أفلام من الخارج ، هذه هى الصورة التى تراها الدراسة ، لكن
النظرة الواقعية مختلفة عن هذا التصور ، فبالعودة إلى الإحصاء سنرى أنه أثبت أعداد
دور العرض في الدول المختلفة مستبعدا الدور التى يقل عملها عن ستة شهور على الأقل في
العام ، وفي هذا الإحصاء استبعدت الدور الصيفية في مصر . ويقول الإحصاء : « إن في
مصر سنة ١٩٦٩ - (١٦٥) دارا لعرض الأفلام مقاس ٣٥ مم ، ودارين لعرض الأفلام
مقاس ١٦ مم ، فيها ١٥٠,٢٠٠ مقعد ».

ومعنى هذا أن هناك ٤,٦ مقاعد الكل ألف مواطن ، وأن قرابة ستين مليونا يدخلون
السينما في مصر كل عام ، وفقا لإحصاء ١٩٦٩ وأن ذلك يعنى أن كل مواطن يدخل
السينما أقل قليلا من مرتين في العام .

وتقتضى هذه النظرة بالضرورة أن تسهم الاذاعة بانتشارها الواسع في وصل المستمع
الذى لا يجد مكانا في دور العرض بالإنتاج السينمائى ، وقد رأينا أن البرنامج العام
يخصص برنامجا أسبوعيا لقصة أحد الأفلام ونعنى برنامج « من الشاشة إلى
الميكروفون » كما يخصص صوت العرب برنامجا أسبوعيا هو « سينمائيات » ، وهذه
البرامج تستهدف في إطار البرامج الثقافية نشر الثقافة السينمائية بين مختلف طبقات
الشعب ، وخاصة في الريف حيث لا يجد المواطن في القرية وسيلة للتثقيف غير الراديو
الذى ساهم في خلق برامج متعددة عن السينما وإبراز مختلف الأفلام بطرق متعددة
ونشرها بشتى الطرق البرمجية بين المواطنين ، كما أن الراديو في نفس الوقت استطاع
أن ينشر الثقافة السينمائية بين مختلف الدول العربية عن واقع البرامج السينمائية التى

ينقلها صوت العرب كما انه إلى جانب نشر الأفلام عن طريق الاذاعة هناك برامج أخرى تستضيف النجوم السينمائيين مثل برنامج « فنون » وبرنامج « لقاء الفن » في البرنامج العام ، وبرنامج « قصاصيص » و « سهر الأحد » في صوت العرب ، وتلقى هذه البرامج الأضواء على النجوم السينمائيين ، وعن طريق اللقاءات المستمرة معهم استطاع المستمع باختلاف ثقافته أن يعرف الكثير عن هذا الممثل (أو) المنتج (أو) المخرج ^{المصري} واستطاع أن يكون على علم بما يجرى عن تطور في السينما المصرية والعربية .

وفي بحث أجراه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة حول آراء الجمهور المصري في الأفلام السينمائية (العوامل التي تجذبه إليها أو تصرفه عنها) . تبين أن ٧٦٣ مشاهدا بنسبة ٤٨,١ ٪ يسمعون برامج السينما بالاذاعة وترتفع النسبة بين غير المتزوجين وصغار السن ، كما اتضح أن ٩٥٠ مشاهدا بنسبة ٥٩,٩ ٪ تسمع الأفلام التي تذيعها الاذاعة وترتفع النسبة بين غير المتزوجين وصغار السن والمتعلمين . وأجاب ٧١٠ مشاهدا بنسبة ٧٤,٨ ٪ بأنهم لو سمعوا فيلما في الاذاعة واعجبهم يشجعهم هذا على مشاهدته بالسينما ، دون علاقة فارقة في حالة المتغيرات المختلفة وقد احتلت الاذاعة المرتبة الأولى بين وسائل الاعلام التي يستمع إليها المشاهدون للسينما حيث بلغت نسبتهم ٩٣,٧ ٪ ، وكانت نسبة الذين يستمعون للبرامج السينمائية في الراديو من غير مشاهدي السينما ٨١,٩ ٪ .

وقد أثبت البحث أن وسائل الاتصال الجماهيري تؤثر في بعضها البعض وتنشطها به فالمشاهد للسينما أكثر تعاملًا مع وسائل الاعلام من غير المشاهدين وأكثر هذه الوسائل تأثيرا في السينما هي : الاذاعة والتلفزيون مع ملاحظة أن التلفزيون يمثل منافسا واضحا للسينما ويؤثر في سلوك التردد عليها . وتجدر الإشارة إلى أن السينما تمثل المرتبة الثالثة بين وسائل الاتصال المصرية بعد الاذاعة والتلفزيون وقبل المسرح ، وهذا يتطلب من السينما وضع ذلك في الاعتبار ، حتى يتسنى لها القيام بدورها الاجتماعي والثقافي .

يتسنى

فالسينما كغيرها من المكتشفات الآلية الحديثة ، يمكن أن تنفع الانسان ، كما يمكن أن تضره ، وذلك على حد تعبير الدكتور مندور - لأن الآلة « لا عقل لها بطبيعتها ولا قلب ولا ضمير حتى قال المفكرون » ان العلم من الممكن دائما أن تسترقه اسلابه « فبالرغم من أن العلم يصدر عن أسمى ملكة يملكها الانسان وهي العقل ، الا أننا كثيرا ما نرى مكتشفات تستخدم ضد الانسان بدلا من أن تستخدم في خدمته ، وتسخير قوى الطبيعة ونزواتها لمصالحه .

الإذاعة والموسيقى :

نظرا لوجود وعى موسيقى عند المستمع الأول للراديو في بداية حياته — وإذا كان يختلف من شخص إلى آخر — فإن البرامج الأولى كانت زاخرة بالألوان الموسيقية إرضاء للمستمع ، بل إن بعض المستمعين أطلق على جهاز الاستقبال اسم « صندوق الموسيقى » ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على اهتمام المستمع بالموسيقى وإحساسه بها . إن دافيد سرنوف نفسه الذى يعتبر من الإذاعيين الأوائل حين فكر فى إنتاج أجهزة الاستقبال بكمية كبيرة أطلق عليها هذا الاسم بما له من إحياء حتى تلقى رواجاً بين الجمهور^(٨) .

ولقد أصبحت الموسيقى بفضل الراديو على صلة بالملايين من المستمعين ولم تعد قاصرة على الطبقة القادرة على ارتياد الحفلات الموسيقية أو على سكان المدن التى تتوفر فيها وسائل الاستماع إلى الموسيقى .

وبالرغم من النجاح الكبير الذى تلاقيه البرامج الموسيقية فقد وجد بالتجربة أنه من المتعذر إرضاء جميع المستمعين ، ولذلك تسعى الإذاعة إلى التعرف على رغبات المستمع وتحقيقها عن طريق تقديم الموسيقى فى :

١ - برامج تجمع بين الترفيه والثقافية .

٢ - برامج ترفيهية .

٣ - برامج ثقافية .

وستقتصر المؤلف هنا بالإشارة إلى الموسيقى التى تقدمها البرامج الثقافية حيث يجب تحقيق مستوى فنى عال يتطلب ثقافة موسيقية رفيعة مع مراعاة أن هذه البرامج لا تستهدف التعليم ، فالفرق كبير بين التعليم والتثقيف^(٩) . وأن ما يصلح للتقديم فى قاعات المعاهد الموسيقية لا يصلح بأى حال من الأحوال لتقديمه فى برنامج موسيقى إذاعى وأن المادة الكلامية فى البرامج الموسيقية (الشرح والتعليق) هى فى الواقع مادة مساعدة مهمتها توضيح الأعمال الموسيقية المقدمة .

يجد مقدم البرامج الموسيقية الثقافية فى الموسيقى العالمية وفى بعض الأعمال الموسيقية المحلية والشعبية ثروة فنية كبرى عليه أن يختار من بينها مواد برنامجية الموسيقى وتشكل كثرة هذه المؤلفات أول صعوبة تواجه مقدم البرنامج فعليه أن يختار المؤلف الموسيقى الذى يريد تقديمه من بين مئات المؤلفات الموسيقية المماثلة بل إنه يجد نفسه فى نفس المشكل عندما يختار التسجيل الموسيقى للعمل الذى اختاره فشركات الاسطوانات تغرق السوق أسبوعيا بآلاف التسجيلات الموسيقية وكل عمل موسيقى له أكثر من تسجيل عليه أن يختار الأفضل من بينها وهذه صعوبة لا شك فيها .

ويمكن عرض وتقديم المؤلف الموسيقى في أكثر من برنامج ، ذلك أن الغرض الأساسي من البرنامج الموسيقى هو تقديم العمل الموسيقى نفسه وأن الشرح والتعليق وعنوان البرنامج كل هذه الأشياء هي وسائل تؤدي للغرض الأساسي وهو تقديم العمل الموسيقى وأن الذى يتغير في كل مرة هو الشرح والتعليق فقط .

فإذا وقع اختيارنا على السمفونية الخامسة للموسيقار لودفيج فان بتهوفن لتقديمها فبرنامج موسيقى يمكن أن يقدمها في البرامج التالية :

اولا : الموسيقى السمفونية :

ويكون التعليق والشرح على السمفونى وطريقة صياغتها وتطورها وما أحدثه بتهوفن في هذا اللون من الموسيقى من تطور .

ثانيا : بتهوفن :

ويكون التعليق والشرح عن حياة بتهوفن .

ثالثا : اوركسترات عالمية :

ويكون التعليق والشرح عن الاوركسترا الذى يقدم السمفونى .

رابعا : اشهر قادة الاوركسترا :

ويكون التعليق والشرح عن حياة المايسترو الذى يتولى قيادة — الاوركسترا .

خامسا : التقويم الموسيقى :

يكون الشرح والتعليق في هذا البرنامج عن تاريخ تقديم السمفونية أو تاريخ ميلاد أو وفاة كل من المؤلف أو المايسترو الذى يتولى قيادة الاوركسترا أو تاريخ تكوين الاوركسترا يتولى عزف السمفونية .

هذه بعض البرامج التى يمكن أن تكون السمفونية الخامسة للموسيقار لودفيج فان بتهوفن المادة الأساسية فيها ويمكن بطبيعة الحال عرض هذه السمفونية في عدة برامج أخرى وكلما كثر عدد البرامج التى يقدم فيها المؤلف الموسيقى كان ذلك أفضل فانه يتيح للمستمعين فرصا أكثر لاعادة الاستماع إلى المؤلف الموسيقى ويمكنه من تذوقه أكثر .

ويعتقد البعض أن الدراسة التحليلية للأعمال الموسيقية تقلل من مقدار تذوق المستمع لها اذ يشعر انها مجرد عرض لمهارة المؤلف الفنية وأنها مجرد صناعة لا أكثر ولا أقل وتفقد الموسيقى كثيرا من قيمتها الروحية وفي الحقيقة ان الآراء لا زالت مختلفة حول هذا الموضوع ولكن لابد للمستمع المثقف من الامام بطريقة بناء القوالب الموسيقية وتفهم

بناء كل مؤلف والاختلاف بين المؤلفات الموسيقية من جهة الصياغة وان خلق جيل من المستمعين الناضجين يعادل خلق جيل من الموسيقيين المحترفين .

وتصلح المواد الموسيقية التى تختار من بين الاوبرات العالمية ومن بين موسيقى الباليه للتقديم فى البرامج التى تجمع بين الترفيه والثقافة اكثر من صلاحيتها للتقديم فى البرامج الثقافية الخالصة . وان كان يمكن تقديم مختارات من الاوبرات العالمية او البرامج الثقافية وذلك بعد عمل المقارنة الفنية بين المشاهد المشتركة فى الاوبرات وطريقة معالجة المؤلفين لها اما مجرد تقديم اغانى الاوبرا ومناسبتها وتاريخ تقديمها فأنسب للبرامج الترفيهية والثقافية .

والموسيقى التصويرية تصلح للتقديم فى البرامج الثقافية . وفى البرامج التى تجمع بين الثقافة والترفيه فى النوع الاول يركز التعليق والشرح على اسلوب المؤلف وطريقة كتابته للاوركسترا وغير ذلك من النواحي الفنية اما فى البرامج التى تجمع بين الثقافة والترفيه فيكون التعليق اكثر عن الموضوع الذى تصوره فقط مراعاة عرضه فى اسلوب مبسط .

كما أن تقديم تاريخ التطور الموسيقى فى العصور المختلفة وعرض اسلوب مختلف المدارس الموسيقية يعتبر من اهم مواد البرامج الموسيقية الثقافية فمثل هذه البرامج تتيح للمستمع فرصا كثيرة للاستماع الى مختلف الالوان الموسيقية مع الشرح المناسب الذى يعين المستمع على تفهم اسلوب المؤلفين المشهورين وما أحدثوه بأعمالهم من تطور فى فن الموسيقى .

وقد لوحظ فى البرامج الموسيقية الثقافية أن صوت العرب يختص بها أكثر من البرنامج العام . ولكن لوحظ ايضا أن صوت العرب يعنى بالثقافة الموسيقية العربية . وتقتصر الباحثة تخصيص برامج للموسيقى العربية ، تعنى فيها بتقديم التراث الموسيقى العربى مع شرح وتحليل يعتمد على الدراسات العلمية ، وتذكر الباحثة هنا كتاب « مصادر الموسيقى العربية » ، الذى ألفه هنرى جورج فارمو وترجمه الدكتور حسين نصار^(١٠) ، والذى قسم الموسيقى العربية الى أربعة مذاهب واضحة وهى :

١ - المدرسة العربية القديمة .

٢ - شراح المدرسة الاغريقية .

٣ - المدرسة المنهجية .

٤ - المدرسة الحديثة .

ويقول الدكتور نصار إن هذا اللون من الكتب حول الموسيقى العربية له اهميته الكبيرة ، إذ إنه الخطوة الاولى التى لابد منها قبل القيام بأية دراسة فى أى فن او علم .

٣ - الإذاعة والفنون التشكيلية :

ان تنمية حاسة الرؤية الجمالية تتطلب عناية من البرامج الثقافية الإذاعية لمعاونة المستمع على إدراك قيم الجمال الطبيعي والجمال التشكيلي (عمارة - نحت - تصوير وغيرها) وليس بمستطاع أجهزة التعليم وحدها أن تنهض بهذا الدور ، ومن هنا تتأكد الحاجة إلى تكامل الإذاعة مع أجهزة الثقافة لتطوير مفهوم التذوق الفنى من خلال برامجها الفنية مثل برنامجى « فنون » و « لقاء الفن » بالبرنامج العام والبرامج المماثلة فى صوت العرب ، من خلال تقديم صور سمعية للمتاحف والمعارض من أجل تنمية الاحساس بقيم الجمال وإتاحة الفرص لمعايشة روائع الفن والطبيعة .

ويقتضى ذلك تطوير برامج الفنون فى البرنامج العام وصوت العرب معا وذلك بالاهتمام بتقديم تراث الحضارة الفنية ، وخاصة التراث التشكيلي فى مصر (البرنامج العام) وفى البلاد العربية (صوت العرب) . كما ينبغى أن تربط هذه البرامج بين الثقافة والفنون ، وتأكيد فكرة التثقيف عن طريق الفن وتطوير البرامج لتحقيق هذا الهدف ، وذلك عن طريق :

(أ) إحياء التراث التشكيلي بإعادة تصويره سمعيا برؤية عربية معاصرة .

(ب) التعريف بالتراث الفنى التشكيلي فى مصر والوطن العربى فى العصور التاريخية المختلفة .

(جـ) إجراء الاحاديث والمناقشات من خلال البرامج الثقافية حول مختلف جوانب الابداع الفنى فى التراث التشكيلي المصرى والعربى وإبراز الجوانب الايجابية فيه .

(د) تشجيع البرامج الاذاعية التى تتناول حياة وأعمال الفنانين التشكيليين المصريين والعرب ، مع ضرورة الاهتمام بالنقد الفنى حتى يضطلع بدوره الهام والعمل على توحيد لغة الفن التشكيلي ومصطلحاته على الصعيد القومى بالتعاون بين المنظمات والمجامع اللغوية ، وإذاعة ما يتفق عليه من خلال البرامج الثقافية .

واهتمام الإذاعة بالفنون التشكيلية ، اهتمام بفنون تعبر عن كل الناس بصرف النظر عن فروق السن او الطبقة او التعليم ، ففى تجربة رائدة قام بها حبيب جورجى ثبت أن التعبير التشكيلي للمادة ينبع من نفس الانسان البدائى كما ينبع من نفس الانسان المتطور ، وفى جامعة ريدينج ببريطانيا ناقش نقاد الفن هذه التجربة ، وكتب عنها الناقد الانجليزى هيربرت ريد مبينا الجوانب المختلفة للموضوع . فالفن التشكيلي اذن من اكثر الفنون شيوعا بين الناس ، وتذوقه حظ شائع بين الجماهير ، ولذلك فإن دور الإذاعة فى وصل الجماهير بالفنون التشكيلية يغدو دورا اساسيا للبرامج الثقافية بخاصة ، لما للفنون التشكيلية من اثر فى تشكيل الوجدان العام . سيما وأن المصرى القديم قد عرف التعبير

الفنى عن تشكيل المادة منذ عصر ما قبل التاريخ ، ومضى قدما فى طريق التطور ، حتى حقق معجزات حضارية رائعة لا تزال موضوع تقدير اساتذة الفنون فى العالم . ولكن التاريخ المعاصر شهد للأسف انحسارا واضحا فى هذا اللون من التعبير الفنى ، حتى لقد كاد يجف ، ووسائل الاعلام والاذاعة فى مقدمتها مسئولة جميعا عن مواجهة هذا الانحسار ، واشاعة التذوق الجمالى بين الجماهير .

ونخلص مما تقدم إلى أن البرامج الثقافية ينبغى ان تضع للفنون فى خريطتها مكانها الملائم ، والذي يتناسب مع شخصية كل إذاعة من الاذاعات سواء فى البرنامج العام أو صوت العرب ، ذلك ان الاذاعة فى مقدورها أن تحقق التفاعل بين الفن والمجتمع ، وقد تبين من مقال للكاتب التشيكوسلوفاكى فلاديمير كاربوسيكى أن تأثير الفن الحى يمكن احيانا نادرة أن يعبر عنه من خلال النمط التقليدى لانتقال المعلومات فهناك أشكال متعددة للفن على شاكلة الموسيقى تبدو أنها تسير على شاكلة واحدة فى هذا الانتقال فالمفتاح الموسيقى هو الرمز ، والممارس هو الناقل ، والوسيط الذى يتم فيه الانتقال هو القناة ، أما الاستماع فهو الاستقبال للرسالة ، فى حين أن الفهم هو فك رموز المعلومات وما إلى ذلك .. ولكن ماذا عن الاشكال الاخرى للفن اين يدخل انتقال المعلومات فى موضوع العبارة ، الفن غير التعبيرى والرقص وما إلى ذلك ؟

إن التبسيط الشديد فى تطبيق طرق « انتقال المعلومات » على الفن إنما يرجع بصفة أساسية إلى عدم التوفيق فى فهم الخاصية الوظيفية المتعددة للفن ، ان الأغلبية العظمى لهؤلاء الذين يستخدمون هذه الطرق يغفلون كلية أن التواصل هو وظيفة واحدة فقط من بين الوظائف المتعددة للفن فهم يقومون باستخلاصات دون ان يضعوا فى الاعتبار الشئ الذى يقومون باستخلاص فيه ولهذا فانهم يتعرضون لتغطية وظائف أخرى (ينظرون إليها على أنها عديمة الاهمية قد تكون احيانا الجوهر الحقيقى لعمل أو أسلوب معين) . وفى مقال لكارل اشنبرنير استاذ الفلسفة فى جامعة كاليفورنيا يتحدث عن مستقبل القيم الجمالية ، يقول عن مهمة الفن ، إنها ينبغى ان تقدم على الاقل ترويجا للنفس من الملل . وفى أحسن حالاتها تستطيع أن تقدم وسيلة ملء العالم المدرك ، عالم الزمان والمكان والخيال ، بطريقة تجمع الثراء والعمق .

ثانيا : البرامج الثقافية وتنمية الوعى القرائى :

يذهب جورج ديهاميل إلى ان الراديو يزاحم الكتاب ، والناس المرهقون بالجهد العصبى الذى تتطلبه حركة الحضارة الآلية يركنون الى قانون اقل الجهود ، فيكتفون بأن يسمعوا دون ان يتعبوا انفسهم فى القراءة ، وتأتى السينما فتعزز نفس الكسل ، وديهاميل يرى فى ذلك محنة خطيرة على مستقبل الانسان لأمرين :

اولهما : لان كل ثقافة حقيقية هي « اختيار » و « مجهود » فنحن لا نختار ما نسمعه في الراديو ولا ما نراه في السينما ، كما اننا لانستطيع ان نتثقف ثقافة حقيقية خصبه عميقة ما لم نبذل مجهودا عند القراءة الاولى ، فلا بد من معاودة قراءتها والنظر فيها بامعان ، ونحن عند كل قراءة جديدة نجد معانى دفيئة ، ونستوحى آراء جديدة تخصب نفوسنا وتفتح امامنا آفاقا لم نعهدها وكل هذا « غير ممكن باستماعنا الى الراديو الذى يتدفق كالسيل ، حاملا الينا اخلاطا من كل شيء ، او بمشاهدة السينما » .

ثانيا : ان هذه الوسائل الآلية العامة ستنتهى بأن تقتل الفردية فكل الناس يسمعون نفس الاحاديث بالراديو ، ويشاهدون نفس الروايات بالسينما . ديهاميل يرى ان هذه الحالة تنتهى بهم الى ان يصبحوا جميعا نسخا متشابهة لا أصالة لاي منها ، فتصير عقليتها عقلية واحدة .

وهنا نلمس صراعا سياسيا عنيفا في اقوال ديهاميل ، كما يلاحظ المرجوم الدكتور محمد مندور ، فالاشتراكيون اليوم هم احرص الناس على تعميم الراديو والسينما ومثل ذلك في المدارس ، وذلك لكي تكون كوسائل لنشر آرائهم وتلوين نفوس الشبان باللون الذى يريدونه « وهذا ما ياباه ديهاميل وانصاره لا لانهم يخشون من استنارة الجماهير استنارة قد تدعوهم الى التمرد ، ولا لانهم يضمنون بانتشار المعرفة بين جميع طبقات الشعب ، بل لانهم يودون ان يسموا بالثقافة عن الانحطاط الى مستوى الدعاية لاي مذهب كان ، فهم يريدونها حرة ، غاية مكتفية بذاتها ، وفي تكوينها لادراك الإنسان من النبل ما يجب ان تكتفى به ، وعندما يتكون إدراك الافراد سيستطيعون ان يتحكموا كما يريدون في مصائرهم ومصائر وطنهم فالثقافة عندهم والادب أشياء مقدسة لايجوز ان نجرها في أحوال حياتنا الفانية العابرة .

واذا كان جورج ديهاميل ، ومن تبعه من المفكرين الاوربيين ، يمثلون اتجاها من الاتجاهات الاوربية التى أثارتها الأجهزة الآلية ، ونمو الاتصالات الجماهيرية منذ عام ١٩٢٠ تقريبا ، حيث انتشرت الصحف الشعبية والافلام السينمائية والراديو ثم التليفزيون كما بدأ يشار إلى هذه الوسائل بأنها وسائل اتصال جماهيرية Mass Media او اتصال بالجماهير Mass Communication فان الدكتور طه حسين ، يمثل اتجاها مصيبا إزاء هذه الوسائل ومن خلال مشكلات الواقع الثقافى المصرى ، التى تختلف فى كثير من جوانبها عن مشكلات الواقع الثقافى الاوربى ، فنجدته فى « مستقبل الثقافة فى مصر » المنشور سنة ١٩٣٨ ، يتحدث عن « هذه الأدوات الحديثة التى استكشفتها العلم وابتكرتها الحضارة واتخذتها وسيلة إلى الإذاعة والتغلغل فى طبقات الناس إلى أبعد حد ممكن ، وهى الصحافة والسينما والراديو^(١) » .

ويذهب إلى أنه من المكبرين لها المؤمنون بنفعها الذين ينتظرون منها الخير كل الخير لأنى لا أنظر إليها على أنها أدوات للاذاعة وإنما أنظر إليها على أنها أدوات لتثقيف الشعب وتهذيبه وتصفية ذوقه وتنقية طبعه ، وتحقيق الصلة بين طبقاته وتحقيق الصلة بينه وبين غيره من الشعوب .

« ولست أنظر إليها على أنها مكملة للتعليم الشعبى وإنما أنظر إليها على أنها قد تكون أشمل نفعاً وأبعد أثراً من هذا التعليم ، ولكن بشرط أن تحقق هذه الأغراض والا تصرف عنها إلى أغراض أخرى ليست من الخير فى شيء وأنا أعلم أن الأدباء والفلاسفة يشفقون من هذه الأدوات الثلاث على العقل والثقافة أشد الإشفاق لقد ألفوا الكتب فى ذلك وكتبوا المقالات وسيؤلفون الكتب ويكتبون المقالات . ولكنى أعلم أن ظروف الحياة فى مصر مخالفة لظروف الحياة فى أوربا ، فالشعوب الأوروبية قادرة كلها على القراءة لأنها أخذت بالتعليم منذ عهد بعيد ومن المحقق أن الصحافة والسينما والراديو خليفة أن تصرف الناس عن القراءة الهادئة المطمئنة وأن تنافس الكتاب منافسة خطيرة على العقل والثقافة . ولكن كثرة المصريين لا تقرأ فلا أقل من أن تتلى عليها الصحف التى تعلمها وتهذيبها بلغتها السهلة وعباراتها العربية وأساليبها اليسيرة ، ولا أقل من أن يبلغ السينما والراديو عقولها وقلوبها وأذواقها بما يعرضان عليها ويحملان إليها من المشاهد والأخبار ، ومن ألوان العلم والأدب والفن الميسرة المقربة الى طاقاتهم . »

والى أن « تتعلم هذه الكثرة المصرية وأن تصبح هذه الأدوات خطراً على القراءة الهادئة المطمئنة » يذهب طه حسين الى اننا « نستطيع أن نعتمد على هذه الأدوات نفسها على انها وسائل أساسية فى تثقيف الشعب وتهذيبه وإرشاده الى الخير فى سيرته والى الصواب فى رأيه . »

ومن ذلك يتبين أن طه حسين ، يتجه فى الاتجاه الذى يتلمس حاجة مجتمعه من جهة ، وحاجة جيله الذى يريد فى شجاعة أن يقبل الحياة كما يهديها له العالم الحديث ، من جهة أخرى ، وهو فى ذلك يتفق مع المسيو لويس سيدانيه Louis de Sedaner الذى أعلن فى مقال نشره بمجلة « النقد الجديد » Nauvelles revue crio أن « عيد السينما والراديو آت من أن هاتين الوسيطتين لم يجدا بعد اساتذتهما » وهويتساعل فى جوهر المقال عما اذا كانت الكتابة والطبع هما الاداة الوحيدة لنشر المعرفة ، ثم يجيب بالنفى ، إذ يرى فى قول ديهاميل بهذا الرأى ضرباً من الغرور فليس من المنطق أن نعيب السينما والراديو لمجرد أن كل ما يحملانه لنا « اليوم تقريباً ردىء منقطع » .

ومن أجل ذلك يذهب طه حسين فى « مستقبل الثقافة » إلى ضرورة أن تنظم هيئات من المثقفين تشرف من بعيد على حياة هذه الأدوات الثلاث ، وواضح أن هذه الهيئات لن تكون

غربية عن هذه الأدوات : فنقابة الصحافة هي التي ستشرف على حياة الصحافة وهي التي ستوجهها وهي التي ستردها إلى القصد ان جارت عنه وإلى الخير ان حادت عن طريقه ، وقل مثل ذلك في لغة الراديو أما السينما فلها قصة أخرى لأنها تأتينا من الخارج والطارىء علينا منها أكثر جدا من الذى نستحدثه في بلادنا ، وإذا كانت أوربا نفسها على حريتها تشكو من خطره على الذوق والخلق : فأحرى بنا أن نحتاط منه للذوق والخلق ، وأن نراقبه مراقبة دقيقة وألا نبيح عرضه إلا إذا وجدنا الخير منه أيضا وأما شره على أقل تقدير والمهم أن يكون أمر ذلك الغى هيئة مثقفة ترتفع عن التحكم والجور وتتنزه عن الرجعية والجمود .

ومن ذلك يتضح أن مشكلة الثقافة ترتبط بنمو الاتصال بال جماهير ، ولكن هذه المشكلة اليوم تتخذ إطارا آخر أكثر إفادة من الوسائل نفسها واكتشافات العلم الحديث في نشر وإذاعة الثقافة ، بحيث تبرز هذه المشكلة في هذا السؤال :

كيف ننتفع بمزايا كل وسيلة من هذه الوسائل الجماهيرية ؟

ولقد توصلت بعض البحوث التجريبية إلى أن لكل وسيلة من وسائل الإعلام خصائصها ومزاياها الفريدة ، ومن ذلك يتضح أن تخوف المثقفين والدارسين من تأثير الوسائل الجديدة على انتشار الكتاب ، على نحو ما تجد عنده ديهاميل لم يعد له ما يبرره ، فلقد دلت الدراسات التي أجريت في ١٩٧٢ العام الدولي للكتاب على عكس ما كانت تشير إليه التوقعات ، وثبت بالحصص العلمي الدقيق أن الكتاب لا يزال يشق طريقه نحو الانتشار ، برغم تطور هذه الوسائل الجديدة ، وقدرتها على امتصاص الوقت والانتباه جميعا .

لكن هذا الحصر لا ينفي مع هذا أن تأثير الوسائل الجديدة على انتشار الكتاب قد انحصر في الدول النامية ، ذات الإمكانيات الاقتصادية المحدودة ، أما في الدول المتقدمة التي وصلت إلى مرحلة اقتصادية هيأت لها قدرات التفوق فإن انتشار هذه الوسائل الجديدة قد سار جنبا إلى جنب مع انتشار الكتاب . ومعنى هذا أن الكتاب قد ازداد عمقا في ضمير الشعوب المتفوقة برغم التقدم الهائل الذى تشهده وسائل النشر الجديدة فيها ، في حين نجد أن هذه الوسائل قد أثرت على انتشار الكتاب في الدول النامية .

وتطرح هذه القضية على البرامج الثقافية في الاذاعة دورا أساسيا في المساهمة في نهضة الكتاب العربى بالنشر عنه ، والترويج له ، واتخاذ مادة حوار تثير شهية الجماهير للقراءة ، وقد نستطيع أن نستثمر هذه البرامج الاذاعية في دعم الكتاب ، بدلا من تركها تهدده لتقضى عليه ، فالوسائل المطبوعة تسمح للقارىء بأن يتحكم في وقت قراءتها كما تمكنه من إعادة الاطلاع على مضمونها وتسمح بالتالى إلى حد بعيد في هذا الاطلاع .

ومن أنصار هذا الرأي ، جورج ديهاميل ، الذى يذهب إلى أن كل « مكتبة قبل كل شيء هي مجموعة وسائل ومناهج هي ذلك المكان الجليل الذى يحتفظ فيه الرجال بتاريخ تجاربهم وتحسساتهم واكتشافاتهم ومشروعاتهم وأنا أقصد بذلك إلى تاريخ الشعوب حيناً ومغامرات الأفراد حيناً آخر ، وإلى تاريخ أعمالنا طورا ، وتاريخ أفكارنا طورا آخر ، ففي الكتاب أحيانا وصف لوسائل صنع آلة بخارية ، وأحيانا وصف لوسائل حياتنا اليومية — حياتنا المادية — ثم حياة الروح وحياة القلب .

ويذهب ديهاميل « إلى أن قدرة الإنسان المتوسطة على الانتباه والاستطلاع والفراغ قد استغرقتها « اليوم عدة آلات قوية الأثر ، نافذة الاستهواء فالراديو والسينما تشغل من يوم إلى يوم مكانا أكبر ، لا في وسائل تسلية رجل القرن العشرين فحسب ، بل وفي عناصر تكوينه الظاهرة ، إذ تختلط الأخبار بالمعارف والتسلية بالعلم ، اختلاطا مخيفا في نفس الرجل المتوسط . وقادة الفكر في عصرنا لم يعلنوا بعد في قوة أن هذه الظاهرة تبعث في نفوسهم القلق ، ولعل البعض منهم يرى أن الوسائل تتغير ، وأن الانسانيه ستحتفظ بتراثها لا في المكاتب بل على اسطوانات من « الباغة » أو في أشرطة من الغراء .

وينطلق « ديهاميل » من اعتبار أن « الثقافة الروحية مجهود ونتيجة لذلك المجهود على السواء . فكل نظام للحضارة يضعف من المجهود يضعف أيضا من الثقافة » وهو إذ يقول ذلك لا يرى أن « الحضارة الحديثة — بالرغم من مظاهرها وما توحى به من تقدم — قد نقصت من مشقة المجهود في كل ميادين النشاط ، وإنما هي غيرت من طبيعة ذلك المجهود . فعامل المصنع عندما ينتهى من عمله اليومي لا يشعر بأنه أقل تعباً مما كان من قبل فالجهد العضلى الذى يبذل قد يكون — إن لم يصدق ذلك في كل الصناعات — أقل اطرادا وأخف قسوة ، ولكن جهده العصبى يزداد كل يوم بازدياد الآلات تعقيدا كما يزداد بنمو قوتها نموا مخيفا . فسائق السيارة — الذى يقود سيارته عشر ساعات متواليات يعمل صيفا وشتاء وهو جالس ، دون أن يقوم بأى مجهود عضلى ، ولكنه دائما في حالة توتر عصبى لا تخففه العادة إلا تخفيفا غير محسوس بحيث يعتقد أنه عند انتهاء عمله اليومي يحس من الاعباء قدر ما يحس الحاطب أو عامل الطرق ، بل إنه بلا ريب ليجد نفسه عاجزا عن أن يهدأ أو يستريح أو ينام ليعوض من إجهاده ، ولهذا كنت بعيدا عن أن أرى أن حضارتنا الراهنة قد اعفتنا من الأعمال الشاقة ، وإنما هي تجنبنا بعضا من المجهودات لتثقلنا بما هو أشق منها وأضنى . ثم إن رجل القرن العشرين مرهق بأعمال الدواوين ، ومرغم على احتمال نيرها والنهوض باعبائها ، فحياة أكثر الناس تواضعا اليوم إدارة فعلية ، بما يتبع هذه اللفظة من أكداس الورق والإعلانات وشبابيك التذاكر والإجراءات والانتظارات والمرافعات والخصومات والمضايقات والمفاجآت بكافة أنواعها . »

فأساس الثقافة — عند ديهاميل إذن — هو فهم الظواهر والكتب والكائنات والنفوس — حتى النافذ منها والموهوب — عرضة دائما للتردد والذهول والاغماء العارض واقدرها على الانتباه في حاجة دائما إلى الرجوع إلى الموضوع والعناصر وإلى الحجج التي يتناولها العرض أو المناقشة وهذا الرجوع — الذي يقصد منه إلى دقة الفهم — هو على وجه التحديد « ما نسميه بالتفكير ، فالرجل الذي يقرأ يقف في كل حين ليفكر أى ليحاول أن يعود فيتناول الفقرة من جديد يقرأها مرة ثانية وثالثة ورابعة بل وعاشرة وهذه الطريقة لا تتفق وفنون الحركة ، فإننا عندما نسمع « سيمفونية » أو نشاهد تمثيلية تراجيدية لانستطيع أن نعود إليها ، على حين الكتاب يمكننا من التفكير تفكيراً ضرورياً وإن يكن لاحقاً ، فإذا كان الكتاب جيداً نزعنا إلى قراءته من جديد والنظر عن قرب في بعض التفاصيل أو الإمعان في نوتة المؤلف الموسيقي ونحن في الحفلة الموسيقية أو في المسرح نلتمس اللذة ، بينما نتخذ من الكتاب وسيلة للثقافة الحقيقية

والثقافة الحقيقية — عند أصحاب هذا الاتجاه — تعتمد ، كما يقول ديهاميل — على القراءة ، والقراءة معناها الاختيار إذ أن « من يقرأ يقرى أى يختار elire lire ووظيفة الاختيار من أولى وظائفها الطبيعية ، والكائن الحى حى لأنه يختار فهو ينتقى من بين ما في العالم من أشياء — ما يصلح لأن يكون له غذاء أى مادة للحمة ، ونحن عندما نقرأ كتاباً أو مجلة أو جريدة نختار مادة لروحنا ، وكذلك عندما نذهب إلى مسرح أو حفلة موسيقية نكون إلى حد ما قد اخترنا معتمدين على ما وصلنا من أخبار ، فالأمر أمر خيار واختيار elction et dilechion ونحن نتخير ما نرى فيه خيراً فنحبه .

« وملكة الاختيار مهدرة محتقرة عند تلك المذيعات الحديثة القوية ، أعنى السينما والراديو عندما تذيع اغنيتها الروحية المحوة المعالم ، حتى لنضطر في سبيل صورة واحدة جميلة نلتقطها التقاطاً إلى أن نتحمل آلافاً غيرها أفضل إلا أصفها بشيء ولكى تستمتع إلى حفلة موسيقية جيدة بالراديو لابد لك من أن تلقى وتواجه وتتحمل آلافاً من الضوضاء البغيضة أو المضحكة . والبسطاء من الناس الذين هم غواة الراديو الحقيقيون والذين هم في حاجة إلى الثقافة والذين ابتداء يصدفون عن الكتاب ليلتفون بالضوضاء ، أى أولئك الذين نبسط هنا قضيتهم وندافع عن مصالحهم هؤلاء لا يحفلون باختيار ما يسمعون ، إذ يفتحون « الحنفية » (الصنبور) ويأخذون في الشرب على بركة الله فيعبون كل شيء « ، اخلاطاً » من موسيقى « فاجنر » إلى « جاز » إلى محاضرة في السياسة إلى اعلانات تجارية إلى دقائق الساعة إلى رقص في صالة إلى موجات طفيلية إلى مواء الموجات الشاردة » .

ويقول ديهاميل — أو على الأصح يعيد — أن « نظام الثقافة الذي يستحيل فيه التفكير والاختيار إنما هو في الحقيقة تقويض لما كان يسمى حتى اليوم ثقافة » .

وتأسيسا على ذلك ، يخص ديهاميل الكتاب بمكان الصدارة ، فالكتاب « يسعى عادة إلى الخلود ، وهو يعلم أن لهذا اللفظ « الخلود » عدة معان ، ويستعمله هنا في معناه - لانسانى الذى يضيق منه بؤس غنائنا . فالفكرة المكتوبة التى لا تموت بعد ثلاثة قرون نسميها خالدة وأبدية ، وفي هذا اسراف في استعمال الألفاظ فنحن نعلم حق العلم انه سيأتى يوم ، بعيد بلا ريب لا يبعث فيه اسم شكسبير أى صدى على الأرض ، ومن يدرينا لعله كان هناك شكسبير آخر في القمر الذى نراه اليوم متجمدا أو كما يقول أبو العلاء في مثل هذا المعنى :

« سيسأل قوم ما الحج ومكة كما قال قوم ما جديس ومكلم » فان ديهاميل يكرر أن « الكتاب يسعى إلى الخلود وهو يتطلب مكانا في حياتنا الزمنية ، وفي حياتنا الروحية ، كما يرمى إلى أن يسكن بيوتنا وأن يكون في متناول بصرنا وأيدينا ، وهو زينة في ذاته كزينة الرياش ، وعندما نغلفه بالجلد أو بالأقمشة الثمينة أو بالذهب نراه يشبه الحلى ونحن ننظر إليه نظرة حب وعرفان بالجميل ونعلم أنه حاضر ما نمد إليه يدا الا سارع إلينا يحدثنا بما يستطيع أن يقول وإذا عرفنا نسأله رأينا وجدناه مستعدا للإجابة تمام الاستعداد وثمره الثقافة الحقيقية هي « أن نعرف كيف نستخدم الكتب » كما لاحظ « أندريه جيد » ونحن نتفق مع ديهاميل في اعتبار الكتاب أداة أساسية للثقافة ولكننا نتفق أيضا مع الاتجاه الحديث الذى يفضل الافادة من مزايا كل وسيلة جماهيرية في تحقيق الاتصال الثقافى بالجماهير .

استخلاص

فنشر الثقافة وحسن استخدام أجهزتها يعتبر من العوامل الفعالة في إصلاح ما نشكو منه أحيانا من فساد في الخلق أو ضعف في الشخصية أو عجز عن تحمل المسؤولية وحل للمشاكل التى قد تواجه كلا منا في الحياة « ذلك لأن الثقافة كما يقول الدكتور مندور — لم تعد « ترفا عقليا ، بل وسيلة حياة نستطيع أن ندرك قيمتها لو تصورنا انتشار وباء في الورق يأتى على ما جمعت الإنسانية في خزائنها من كتب « فالكتب ليست خزائن ، للمعرفة فحسب ، بل هي أيضا وسائل للتفكير وشحن الذكاء وتدريبه حتى قيل إن جودة أى كتاب تتوقف على مدى قدرته على أن يصبح بالنسبة لقاربه وسيلة للتفكير . وإذا كانت المعرفة هي وسيلة السيطرة على الطبيعة وعلى الحياة وتسخيرها لخير الإنسان — فان تدريب الذكاء هو خير وسيلة لتذليل الحياه بين يدي الإنسان ، وذلك لأن الذكاء في رأى معظم المفكرين هو القدرة على حل المشاكل التى تعرض لأول مرة ، وفي رأى

البعض الآخر هو القدرة على ملابسه الواقع والتكيف معه ومن الواضح أن الذكاء لا يستطيع أن يقوم بهاتين الوظيفتين الخطيرتين ما لم يدرّب ويغذى بالثقافة .

ولا يزال الكتاب في العالم كله وسيلة أساسية للتثقيف الحق ، وذلك لأن الكتاب هو : « مستودع الثقافة الجدية العميقة » كما أنه الوسيلة المواتية للتثقيف بمعناه الصحيح ، لأنه بفضل عمقه وقوة إيحائه وسيلة يستعين بها القارئ على التفكير الأصيل . والثقافة الحقّة ليست في النهاية إلا تحقيق القدرة على فهم الناس والأشياء فهما صحيحا والحكم عليها حكما سليما . وهذا الفهم وذلك الحكم لا يمكن الوصول إليهما إلا إذا جمع الفرد بين وسيلتين هامتين هما : الدراسة من ناحية والتفكير من ناحية أخرى ، فالدراسة بغير تفكير لا يمكن أن تنتهى إلى فهم صحيح . والاكتفاء بالتفكير الذاتى دون دراسة لا يمكن أن يؤمن معه الضلال عن الفهم الصحيح ، والكتاب الجاد هو الذى يجمع بين الدراسة وتقديم المعرفة من جهة وإثارة التفكير أو الإيماء به من جهة أخرى .

وبالرغم من أن الكتاب يتعرض لمنافسة شديدة من الأجهزة الآلية كالإذاعة والسينما ، ثم الصحف ، فإن تطور العالم الحديث ينبىء بأن الكتاب لن يسترد مكانته فحسب ، بل سيعود إلى الصدارة بين أجهزة الثقافة المختلفة ، وذلك لعدة أسباب منها :

١ - أن شعوب العالم كلها قد تنبعت إلى خطر الأمية ، واتخذت من محاربتها أساسا لكل نهوض مادي وصحي واجتماعي .

٢ - أن الخط الفاصل بين العمل العقلي والعمل الجسمي قد أخذ في الزوال فالعلم الآن يغزو كافة الميادين حتى ليتوقع العالم أن تمحى في المستقبل القريب كل ضرورة للمجهود العضلي الذى ستحل محله الآلات التى لا تحتاج في إدارتها إلى مجهود ذهنى وعصبى . وهذا المجهود يحتاج إلى معرفة سابقة وتدريب وثقافة علمية كافية وكل هذا يقدمه الكتاب ، حتى رأينا منظمة اليونسكو ترصد جائزة كاليانجا التى تمنح سنويا لأحسن كاتب يؤدي خدمة ممتازة في نشر الثقافة العلمية بين الجماهير وقد أعطيت جائزة سنة ١٩٥٧ للعالم الفيلسوف برتراند رسل الذى كتب بهذه المناسبة مقالا قال فيه :

« إن العلوم الحديثة والاكتشافات والاختراعات وضعت بين أيدي الحكام والمحكومين قوة هائلة يمكن استخدامها للخير كما يمكن استخدامها للشر ، فإذا كان الرجال القابضون على زمام هذه القوة لا يعرفون ما تنطوى عليه من عناصر الخير أو الشر ولو معرفة محدودة فانهم لن يتمكنوا من استخدامها بحكمة ودراية .

وفي البلاد الديمقراطية لابد من تلقين الثقافة العلمية لرجال الحكم ولعامة الناس في وقت واحد . وكان العلماء من قبل ينظرون باستخفاف واستنكار إلى الكتاب الذين يبذلون

نشاطهم في الكتب والصحف لنشر العلوم وجعلها في مستوى القارئ العادي بحيث تعم فائدتها الطبقات الشعبية ، ولكن هذه النظرية تغيرت الآن ، وأصبح من الواجب العناية بنشر الثقافة العلمية حتى تمحو الأمية العلمية بين الجماهير . وكم من الناس يعرفون الآن ما يجب أن يعرفوه عن الطاقة الذرية وما يترتب على استخدامها وكيفية هذا الاستخدام إن الثقافة العلمية التي ندعو إليها هي إدخال العلوم كفرع في نشر الثقافة ، والاهتمام بالأدب والشعر والموسيقى وهي تنوير للجماهير لكي تدرك كل ما يجب أن تدركه من حقائق وتعرف ما يجب أن تعرفه من خفايا العلوم ، حتى تكون لها قوتها وأثرها في توجيه العلماء والساسة إلى استخدامهما في سعادة البشرية دون استخدامهما في التدمير والفناء .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن البرامج التي تعنى بالوعى القرائي في الإذاعة إنما تستهدف وصل المستمعين بالكتاب ، لأن المعلومات التي تصل إليه عن طريق الصوت أو الصورة تحتاج دائما إلى نوع من التثبيت بالقراءة ، ولذلك وجدنا في البرنامج العام برنامجين أساسيين هما : « اقرأ » و « زيارة لمكتبة فلان » وفي صوت العرب « قرأت لك » ولعل أهم هذه البرامج الثلاثة هو « زيارة لمكتبة فلان » لأنه يحترم عقل المستمعين ويختار الطريق الصعب في الوصول إليهم وإذا كانت صعوبة الطريق تعنى أنه لا يستقيم ولا يكشف عن مسالكه إلا لمن يملك بصيرة نافذة وقدرًا من الوعي يتيح له المضى فائها في فائها في المقابل تكسب الإنسان مزيدا من هذه القدرة وتدربه على اكتساب المعرفة والتسلح بها ما وجد إلى ذلك سبيلا . وحين تمردت نادية صالح على نص المعد الاذاعي وانطلقت هي بقدراتها الخاصة وخبراتها الحرفية استطاعت بالفعل أن تثبت أقدام البرنامج الذي يفيد من إمكانات الاذاعة الفنية في نشر الوعي القرائي .

ولقد انتجت اليونسكو فيلما تليفزيونيا ملونا (١٦ مم) مدة عرضه عشرون دقيقة ، حول العام الدولي للكتاب تحت عنوان « الكتاب المفتوح » يناقش قضية انتشار الوسائل الجديدة ، وهل يستطيع الكتاب أن يواصل وجوده ؟ ويؤكد أن الكتاب سوف يؤدي دوره المعتاد ولكن في حيوية دافقة ، وحيثما ظهر التليفزيون خشي رجال التربية أن يقضى على عادة القراءة غير أن تقارير المكتبات أثبتت أن الكتب زاد انتشارها بعد ظهور التليفزيون ، وتزايد إنتاج الكتب بأعداد أوفر وكثر إقبال الجماهير على شرائها وقراءتها أكثر من أى وقت مضى ، ولكن هذه الظاهرة لم تحدث على نفس المستوى في كل مكان ، وذلك مرجعه أساسا إلى التفاوت الاقتصادي في عالم اليوم ، والذي لا يقدم فرصا متكافئة بالنسبة للمكتبة فئمة أقاليم بأكملها في العالم تشكو فقرا مذهلا في الكتب .

وتأسيسا على هذا الفهم فإن البرامج الثقافية في صوت العرب والبرنامج العام ينبغي أن تعنى بثقافة المستمع من خلال الكتاب والمجلة . وهذا يقتضى مراجعة كاملة لخطط البرامج الثقافية للعناية بثقافة المستمع العربى وفق تخطيط يجمع أهدافا أهمها : —

- (أ) ارتباط المستمع العربى بتراثه الزاخر من خلال مختارات لأروع ما فى هذا التراث **تقدم** يقدم بصورة إذاعية تصله به وصلا وثيقا .
- (ب) إتاحة الفرصة للمستمع لمعيشة عصره من خلال نماذج من إبداعات الفكر الإنسانى والاهتمام بتنشيط الترجمة تحقيقا لهذا الهدف .
- (ج) الاهتمام بالثقافة الأدبية والثقافة العلمية فضلا عن المعلومات العامة .
- (د) تنمية عادة القراءة عن طريق المسابقات والجوائز مع مختلف الوسائل حتى يبقى للكتاب دوره فى تكوين ثقافة المواطن العربى .
- (هـ) التعريف بالمؤلفات التى لا تلقى إقبالا من دور النشر التجارية والتى تضطلع وزارات الثقافة بنشرها وخاصة كتب العلوم والفنون والتراث .
- (و) التعريف بالكتب العربية فى أقطار الوطن العربى كافة .
- (ز) الاستفادة من الإمكانيات الفنية للإذاعة فى وصل المستمع بالكتاب من خلال البرامج الثقافية .

ثالثا : الإذاعة والعوز الثقافى :

ويتضح مما تقدم أن الأجهزة التى تشرف عليها الدولة ، بالإضافة إلى الإذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات كأجهزة ثقافية ، لا تفى فى تدفقها الحالى بمواجهة العوز الثقافى فى مصر ، إذا اتخذنا من مقياس اليونسكو وسيلة مقارنة نقيس به كفاية إمكانيات الاتصال الجماهيرى أو عدمها فى الدول النامية « كهدف عام » تقول المنظمة إنه ينبغي على كل دولة أن تسعى إلى أن يزود كل ١٠٠ شخص من سكانها بعشر نسخ من الصحف اليومية وخمسة أجهزة راديو ومقعدين للسينما وجهاز تليفزيون . وتقول اليونسكو فى تقرير للأمم المتحدة :

« ١٠٠ دولة واقليم فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، تبلغ هذا المستوى وهو الحد الأدنى المنخفض غاية الانخفاض فى الوسائل الجماهيرية الأربع كلها ، سكان هذه الدول يبلغ عددهم ١٩١٠ مليون نفس أو ٦٦ فى المائة من مجموع سكان العالم . وهناك ١٩ دولة أخرى ، أى ما يعادل ٢ فى المائة من سكان العالم لا تبلغ حد اليونسكو الأدنى بالنسبة لثلاث من هذه الوسائل .

الخلاصة أن ما يقرب من ٧٠ في المائة من شعوب العالم تفتقر إلى الحد الأدنى من الوسيلة اللازمة للإعلام عما يجرى داخل البلاد ، ولا نقول خارجها .

والواقع أن الموقف الفعلي أسوأ — كما يقول شرام — والقياس المذكور لا يدخل في حسابه توزيع الإمكانات داخل الدول ذاتها ففي كثير من الدول المتخلفة يسكن ما يزيد عن ٦٠ ٪ من السكان في الأقاليم الريفية بينما تتركز إمكانات الإعلام والثقافة في قلة نسبية من المناطق الحضرية والنتيجة أن التحليل العام المذكور لا يعكس بدقة القحط في الإمكانات الموجودة في الأقاليم الريفية في معظم البلدان المتخلفة ، بل وفي معظم البلدان شبه العامية المحسوبة فوق حد اليونسكو الأدنى .

على أن فروق الاتصال الجماهيري بين البلدان النامية والبلدان العالية التنمية ليست كلها فروقا في الكم فمن أولى الأشياء التي يلاحظها المرء على الاتصال الجماهيري في البلدان المتخلفة هو تجمعه في المدن . وهذه الظاهرة بالطبع موجودة لحد ما في كل مكان . ففي البلدان العالية التقدم شأنها شأن البلدان المتخلفة ، تميل الصحف ومحطات الإذاعة ودور السينما إلى اتخاذ مقارها حيث يتجمع الناس . غير أن أغلبية الناس في البلدان العالية التقدم يعيشون في مراكز حضرية . أما في البلد المتخلف بصفة عامة فإن ٨٠ ٪ من السكان يعيشون في مناطق ريفية فإذا ما تجمعت الوسائل في المراكز الحضرية في الدول النامية فإنها تكون في الحقيقة مركزة على أقلية من الناس كما نجد الحال بالنسبة للصحف ، وفي مصر أربع صحف يومية فقط من ٢٧ تطبع خارج القاهرة والاسكندرية ولكنها ذات توزيع غاية في الضآلة .

كما أن الإذاعة ، والأفلام بدرجة أقل تتجمع في المدن . مفهوم بالطبع أن يجد المرء الاستديوهات ومحطات الإرسال في المدن ولكن المرء يرجو أن يجد في الأقاليم الريفية نسبة أكبر من أجهزة الاستقبال لأن الراديو يستطيع أن يغطي مسافات كبيرة ، ونسبة أكبر في مشاهدة الأفلام (لأن الأفلام تستطيع كالراديو أن تتخطى عائق التعليم) .

ولعل في ذلك ما يبين مكان الراديو بين وسائل الاتصال الجماهيري في مواجهة المشكلة الثقافية في مصر ، وقد رأينا صورة من التعامل المتزايد مع هذه الوسائل رغم عدم كفايتها ، في حين نجد أن دور الراديو يزداد في المجتمع المصري باعتبار أنه وسيلة لا تتطلب كفايات خاصة لدى التعامل معها كالقراءة والكتابة على اعتبار أن نسبة الأمية ما تزال مرتفعة إلى حد كبير ، ومن الملاحظ أن أجهزة الراديو أصبحت تنتشر الآن انتشارا واسعا كنتيجة لرخص أسعارها وسهولة الحصول عليها من مصادر متعددة . وكما ينطبق ذلك على مجتمع المدينة فإنه ينطبق على المجتمع القروي أيضا فقد لاحظ إبراهيم أبو لغد

ان هناك ١٣٥ جهاز راديو في القرى الست التي درسها عام ١٩٦١ والتي كان تعدادها حينئذ أربعة عشر الفا من السكان أى أن هناك جهاز راديو لكل ١٠٢ أشخاص ذكور وإناث وأطفال . إلا أن عدد الأجهزة لا يقيس حجم الاستماع الاذاعي وبخاصة في المناطق الريفية حيث يمثل نشاطا جماعيا أى أن إرسال الراديو لا يقتصر على صاحبه واسرته فقط وإنما هو ينتشر لى يعم جيرانه واصدقائه وأقاربه .

وقد لوحظ قبل بحث « أبى لغد » بعشر سنوات تقريبا وفي دراسة قام بها مكتب البحوث التطبيقية بجامعة كولومبيا ، واعد منها تقريرا نشر في مجلة علم الاجتماع الريفي باسم « آدموند برونر » بعنوان السلوك الاتصالي الريفي والاتجاهات في الشرق الاوسط لوحظ أن الاستماع الى الاذاعة يمثل نشاطا اجتماعيا في المناطق القروية فعدد المستمعين الى الاذاعة مرتفع الى حد كبير في هذه المناطق وبخاصة في مصر إلا أن الحال لا يسير على هذا المنوال في مجتمعات قروية أخرى ففي دراسة أجريت في قرية سيلانية في نفس الفترة - تقريبا - التي أجريت فيها دراسة كولومبيا في الشرق الاوسط ، وجد الباحث هناك أربعة أجهزة راديو فقط وإن المشاركة في الاتصالات الجماهيرية تمثل مشاركة ثانوية يؤديها بعض صغار السن غير المرتبطين بالمجتمع التقليدي بينما ينغمس الكبار في مشاركة أولية دينية وقروية ، وفي نفس الفترة تقريبا قام مايرستايكوس بدراسة للاتصالات في قرية يونانية أدعشه أن يجد راديو وحيدا كأننا بحانة للقرية ويتحكم في إرساله عامل هذه الحانة .

/ اذ يور وحمد /

وفي الدراسة التي قام بها الدكتور محمود عودة في عام ١٩٦٧ يجد أن اغلبية افراد العينة يستمعون الى الراديو بانتظام او احيانا فان قلة قليلة هي التي لاتمارس مثل هذا النشاط فلقد ذكر ٦٢,٧٥ ٪ من افراد العينة انهم منتظمون في الاستماع الى الراديو فان هذا الاستماع اصبح بمثابة نشاط اجتماعي يومي ملموس بينما ذكر ٣١,٣٧ ٪ من هذه العينة انهم يستمعون احيانا الى الراديو . وكان الذين لا يستمعون الى البرامج الاذاعية يمثلون ٥,٨٨ ٪ فقط من العينة .

وقامت مراقبة البحوث بهيئة الاذاعة المصرية عام ١٩٦٩ بدراسة ميدانية على عينة من العمال الصناعيين في ست محافظات تتناول خصائصهم ، عادات استماعهم ، ميولهم ، اتجاهاتهم ، آراءهم ومقترحاتهم ، وقد أظهر هذا البحث أن ٩٩ ٪ من افراد العينة يستمعون إلى الإذاعة مقابل نسبة مفرطة في الضالة لم تتجاوز ٦ ر ١ ٪ لا تستمع ، ولعل هذه الحقيقة توضح مدى شيوع هذه الوسيلة الهامة من وسائل الاتصال في المجتمع المصري ، والمرجح أن التوسع التدريجي في مد شبكة الكهرباء على مناطق لم تصلها من قبل ، وانتشار أجهزة البطاريات والترانزستور ورخصها وسهولة

تداولها ، وتعدد خدمات الإذاعة وتنوعها وامتداد الإرسال على مدى النهار وأكثر الليل ، ثم رخص هذه الوسيلة من وسائل الترفيه والتثقيف والإعلام ، نقول من المرجح أن هذه العوامل مجتمعة قد أدت إلى انتشار الاستماع الإذاعي في المجتمع المصري .

ألا أننا لا نستطيع أن نقدم تفسيراً مقبولاً لهذا الغزو الإذاعي للريف المصري خاصة ، والمجتمع المصري بعمامة ، إلا إذا وضعنا عدداً من المتغيرات والأبعاد الاجتماعية والنفسية — بالإضافة إلى التطورات التي طرأت على المجتمع المصري بعمامة موضع الاعتبار والنظر الفاحص — أن « أبى لغد » يذهب إلى أن التعامل مع الإرسال الإذاعي يمثل سلوكاً سلبياً ، ولكننا لا نتفق معه في مضمون هذا السلوك السلبي وأبعاده فتفسيره — كما يقول محمود عودة — قد يوحي بأن هناك نوعاً من التكاسل يطبع القروى بطابع عدم الجرى وراء الأخبار والمضمون الاتصالي بوجه عام ولكن مدى هذا السلوك الاتصالي هو أن الراديو والإرسال الإذاعي يعد من المناشط الاتصالية التي لا تتطلب خصائص لمستقبلها كمعرفة القراءة والكتابة مثلاً ، كما أنه يجمع بين ميزات الاتصال الجماهيري وميزات الاتصال الطبقي في آن واحد فهو حقا يبيث إرساله إلى ملايين عريضة ولكنه في نفس الوقت — يضمن هذا البث برامج وأركان طبقية فهو يخصص قسماً للعمال وآخر للفلاحين وثالثاً للمثقفين وهكذا ، بل أن هناك قنوات إرسالية بأكملها خاصة بطبقات وفئات اجتماعية معينة .

ونخلص مما تقدم ، إلى أن أجهزة الثقافة ووسائل الاتصال بالجماهير ، في ضوء فعالية كل منها ، ينبغي أن ينظر إليها من حيث الإفادة في تكامل التثقيف والتهديب والتوجيه والترويح عن الجماهير .

ولقد تبين مكان الإذاعة بين هذه الوسائل الجماهيرية ، وهو مكان لا يحجب هذه الوسائل ولا يشجب دورها ، ولكنه مكان متمم مروج لمضمونها في آن واحد كما سيجيء وهو الأمر الذي يجعل من اتخاذ برامجها الثقافية أمراً لازماً في مواجهة المشكلة الثقافية في مصر ، لما تتميز به الإذاعة من انتشار وتأثير في عقول الجماهير ، فهي تصل إلى كل ركن من أركان مجتمعنا العربي ، ويستفيد منها جميع المواطنين ، بل إنها تربط مجتمعنا بغيره من المجتمعات . فقد نجد اليوم قرية أو مدينة صغيرة من غير مكتبة أو مسرح أو سينما أو تليفزيون وقد « تصل الجريدة إلى بعض القرى النائية ، ولكننا نشك في وجود قرية من غير جهاز للراديو ، ونشك أكثر في وجود شخص متعلم أو غير متعلم لا يستمع إلى الإذاعة سواء كان يملك جهازاً أو لا يملك . وانتشار الإذاعة بهذه الصورة يجعل في الإمكان تسمية المرحلة الراهنة في تطور البشرية بالمرحلة الإذاعية في انتشار الثقافة بين الناس .

ومن ثم ينبغي أن تكون الاذاعة المسموعة محل اعتبار خاص في مجال التطور الثقافي ، وليس مجرد أداة حديثة من أدوات التسلية والترفيه . بل انها لتكاد تكون العامل الحضارى الأكثر فعالية في ربط شعوب الدول العربية عن طريق الإسهام في إزالة فوارقها الثقافية والاجتماعية ، والعمل على إيجاد مزاج حضارى متوحد له صيغة عامة .

ومن هنا يبين الدور الاساسى للبرامج الثقافية في تحقيق التكامل بين الاذاعة وأجهزة الثقافة ، ففي المسرح مثلا ، نجد أن للإذاعة المسموعة تمثيلياتها الخاصة الملائمة لإمكانات طبيعتها التى تقتصر في تأثيرها على السمع دون الرؤية وفن كتابة هذه التمثيليات متأثر بتكنيك النص المسرحى والسيناريو السينمائى وان كان يختلف عنهما في كونه يتصل بالاذن أولا . بالإضافة إلى تلك المشابهة الحرفية في الصنعة التمثيلية ، فان تمثيليات الراديو تستقى مادة موضوعاتها من نفس مصادر الادب المسرحى وأهدافه ، وعلى هذا ، يمكن للراديو أن يستوعب النشاطات المسرحية الحية عن طريق تسجيلها وإذاعتها . ولتعويض البعد المنظورى الذى تفتقده المسرحية المذاعة يمكن أن يصحب التسجيل تعليقات المذيع وشروحه لأهم تحركات الممثلين وانفعالاتهم وأزيائهم ، ومن ثم يصبح تسجيل المسرحية فنا قوليا جديدا له أصوله وقواعده .

ويمكن للراديو من خلال برامجه الثقافية أن يقدم النتاج الثقافى الرفيع سواء كان محليا أو عالميا مترجما ، على أن يكون للمسرحيات وأبحاثها نصيب محمود في فترة الإرسال ، ذلك أن الهدف الحقيقى من البرامج الثقافية هو توصيل المعارف الفكرية والفنية إلى مستمعى المدن والقرى البعيدة المحرومة مما تنعم به العواصم من مؤسسات تثقيفية وترفيهية .

ويمكن للبرامج الثقافية أن تفعل نفس الشئ مع السينما ، ذلك أن السينما فن مصنع ، ومن المعروف أن لها علاقة قرابة بالمسرح والاذاعتين السمعية والمرئية ، وتتحدد تلك العلاقة أساسا في أنها جميعا فنون تمثيلية ، وان اختلفت الوسيلة والصياغة العامة ، ودرجة التقيد بحدود الزمان والمكان .

فالبرامج الثقافية في الراديو اذن ينبغي أن تقدم بعض النصوص الدرامية وتاريخ المسرح والسينما كوجه من أوجه الحضارة الانسانية ، كما ينبغي أن تقوم بمسرحة بعض المواد الثقافية القابلة للمسرحة .

ملخص :

تحدثنا في هذا الفصل عن تنوع المادة الثقافية والموضوعات التي تقدمها البرامج الثقافية في شتى ألوان الثقافة والعلم والإنسانيات . وقد تبين :

- ١ - أن البرامج الثقافية في البرنامج العام وصوت العرب تعنى بتحقيق التكامل مع أجهزة الثقافة والفنون ، بحيث تحقق صلة بين المستمع وهذه الأجهزة كالمسرح والسينما .
- ٢ - أن البرامج الثقافية في الاذاعتين تعنى بتنمية الوعي القرائي ومحاولة الحفاظ على الكلمة المطبوعة كوسيلة للتنقيف من خلال الترويج لها ببرامج تعنى بالكتب والمجلات .
- ٣ - أن البرامج الثقافية في الاذاعتين تعنى بتنمية التذوق الفني من خلال تقديم برامج خاصة بالفنون التشكيلية والموسيقى .
- ٤ - أن الاذاعة يقع عليها عبء كبير في مواجهة العوز الثقافي الناجم عن عدم توافر الأجهزة الثقافية الأخرى بما يكفى لسد الحاجات الثقافية للمواطنين وقد تأكد هذا العوز وفقا لمقياس اليونسكو على النحو المتقدم ، ويقتضى ذلك أن تقوم الاذاعتان بمواجهة هذا العوز الثقافي عن طريق زيادة ساعات الإرسال المخصصة للبرامج الثقافية . وبخاصة التي تعنى بتحقيق التكامل مع أجهزة الثقافة والفنون .

الهوامش

- (١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المؤتمر الاول للوزراء المسؤولين عن الثقافة في البلاد العربية - عمان - المملكة الاردنية الهاشمية ٢٠ - ٢٣ ديسمبر ١٩٧٦ .
- (٢) نفس المرجع ، ص ١٥
- (٣) عبد المنعم الصاوي : المرجع السابق ١٦٥
- (٤) وزارة الثقافة : السياسة الثقافية - مرجع سبق ذكره ص ٩١ .
- (٥) الدكتور محمد مندور : الثقافة واجهزتها ص ١٧ .
- (٦) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مؤتمر المسرح في الوطن العربي دمشق ١٥ - ٢٢ مايو ١٩٧٣
- (٧) وزارة الثقافة : سجل الثقافة ١٩٧٢ - القاهرة ص ٢١٨ .
- (٨) د . محمود فهمي : الصوت والصورة - (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية د . ت) ، ص ٢٥ .
- (٩) احمد المصري : بناء البرامج الموسيقية في الفن الاذاعي يناير ١٩٦٠ .
- (١٠) د . حسين نصار (مترجم) كتاب : مصادر الموسيقى العربية تأليف هنري جورج فارمو - مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٦ . - المقدمة .

الفصل السابع

الأدب والبرامج الثقافية

نتحدث في هذا الفصل عن الأدب في البرامج الثقافية ، بعد أن تحدثنا عن الفنون تأسيسا على أن البرامج الثقافية تعنى بدوائر ثلاث هي : —

الفنون والأدب وتبسيط العلوم ، والدور الأدبي للبرامج الثقافية يرتبط بدور الإذاعة في خلق الوعي الجمالي والاجتماعي عند المستمعين ، وتربيتهم من ناحية الذوق ، ومن هنا يبدأ التقاء الإذاعة بالأدب .

فالإذاعة وسيلة من وسائل تقديم الأدب والفن بصورة مختلفة إلى الناس ولأن الإذاعة وسيلة جماهيرية سمعية فاعتمادها كبير على الكلمة وفنونها ، ولأن الأدب فن الكلمة ، يأتي الالتقاء الواضح بين دنيا الإذاعة ودنيا الأدب ، ليس لأن الكلمة وسيلة تعبيرية فحسب ، بل لأن هناك مجالات أخرى لهذا اللقاء^(١) .

فالأدب تعبير عن الوجدان ووسيلته الكلمة المكتوبة ، والإذاعة تعبير عن الوجدان ووسيلتها الكلمة المذاعة ، فالأدب يخاطب وجدان الناس ويعبر عنه والإذاعة تتجه بالاصل إلى هذا الوجدان ، وهي لا تعطيه وحسب وإنما هي تساهم في خلقه وتطوره أيضا^(٢) .

وفى أول الامر كان يكتفى بأن يكون دور الاذاعة بالنسبة للادب هو نقله كما هو للمتلقين ، فتقرأ قصائد الشعر او القصة او المقال النقدي كما كتبه الكاتب دون تحويل او تدخل . إلا ان الاذاعة سرعان ما بدأت تفرض سلطانها على الاعمال المقدمة إيماناً منها باختلاف الصوت المسموع عن القراءة في طبيعة تلقى كل منهما .. فالقراءة للادب مباشرة من الكتاب المطبوع لا تحتاج الا الى العين وهى بهذا ترغم العقل كله على التركيز فيما تتلقاه العين ، وتتيح للخيال ان يقوم بدوره في تجسيد معانى ما يصل الى العقل عن طريق العين اما التلقى عن طريق الاذن وحدها ، وهذه هى الحاسة الوحيدة التى تحتاجها الاذاعة لتصل الى المستمع فيختلف بالضرورة والطبيعة عن التركيز والتفرغ الذى يتيح التلقى عن طريق القراءة المباشرة^(٣) .

وكان لابد ان تخلق الاذاعة لنفسها ادبها الخاص الذى يراعى احتياجاتها الصوتية من حيث الشكل ، والذى يستهدف جماهيرها العريضة من ناحية المضمون ، والذى يحدد لنفسه رسالة ثابتة وهى ان يكون تعبيراً عن وجدان الجماعة متأثراً بها ومؤثراً فيها .. ونشأ بهذا مجموعة من الكتاب يكتبون للاذاعة مباشرة وفي تصوره الشكل الذى سيصدر به العمل ، والمؤثرات الصوتية والموسيقية والغنائية التى ستساهم في تحديد شكله النهائى — ثم يخضع عمله هذا لاحساس المخرج وتفسيره لإمكانات الممثل الاذاعى وحسه وقدراته الصوتية وبهراعته في التعبير والاداء^(٤) .

وكما خلقت التمثيلية الاذاعية خلق البرنامج الممثل، وخلق البرنامج الخاص وخلق البرنامج المنوع ، وخلق البرنامج الاخبارى .. واستطاعت الاذاعة ان تشكل كل ما تقدمه وفقاً لمتطلباتها الصوتية في دنيا الفن والادب والعلم .. وأصبح كاتب المادة الاذاعية كاتباً متخصصاً له مواصفاته وخبراته ، وله قدراته وإمكاناته وله حسه بالصوت وبإمكانية الكلمة المسموعة — وفي مختلف اللغات اكتملت الدورة حين تم طبع الادب الاذاعى المكتوب للاذاعة أصلاً في كتب متداولة ، وحين أصبح له نقاده المتخصصون الذين يضعون المقاييس الفنية ، ويوزنونه طبقاً لقواعد الفن الاذاعى الراسخ للتقاليد والمواصفات^(٥) .

الادب الاذاعى : بولس درجّة

وهنا يرقى بنا الدكتور يونس درجّة أخرى في البحث ، لنقف عند الادب الذى يتوسل باللغة ... ولا حاجة بنا إلى تكرار القول بأننا يجب أن نفرق بين اللغة المنطوقة المجهورة ، أى لغة الحديث والخطاب ، وبين تلك الرموز التعسفية على خطورتها وجلال مهمتها ، التى اصطلحت البشرية عليها ، وهى الرموز التى عرف تركيبها بالتدوين أو الكتابة ، وما تحمله من تمثيل الصوت^(٦) .

وما دمنا نعرض لموضوع البرامج الثقافية في الاذاعة ، فمن الواجب أن نعترف بما أدته الاذاعة للآدب من ناحيتين أساسيتين : الأولى ، أنها أعادت للأنواع الأدبية المجهورة كالخطابة والإنشاد ، وما إليهما ، مكانها من التفنن الأدبي وكان التدوين قد قضى على هذه الأنواع أو كاد ، والثانية — هي أنها أكدت الخصيصة الأولى للآدب باعتباره فنا تعبيريا كسائر الفنون الجميلة ، لا يختلف عنها إلا بالوسيلة التي يتوصل بها وهي اللغة ، وبذلك خلصته من شوائب كثيرة خالطته في العصور الوسطى ، في الشرق العربي والغرب المسيحي على السواء ، حين كان الآدب يرادف المعرفة المتسعة والأخذ من كل شيء بطرف ، أو يدل على صناعة يمتنها نفر من الناس أكبوا على تعليمها طلبا للصلوات والجوائز واشباعا لرغبات السلطان (٧) .

وعند الحديث عن « الآدب الاذاعي » نجد أن للكلمتين ظلالات كثيرة تتخلق في فكرنا وأذهاننا ، فالآدب مستمد من الكلمة اللاتينية (Littera) التي تعنى بدورها رسالة أو كتابا « Lettre » وتعرف كذلك أن « الرسائل » في نظامنا المكتوب تعنى مجموعة من الحروف الطباعية أو الكتابية بمعنى علامات تساعدنا على التسجيل بالكتابة للاصوات المنطوقة (٨) .

ونرى أن الصوت لا يمكن أن ينفصل عن هذه الرموز التعسفية ، لأن هذه الرموز لها وظيفة المفهوم وتثبيت الصوت أو تجريده . ونرى أيضا أن فكرة العمل الأدبي تشترك جنبا إلى جنب مع الصورة المرئية للصفحة المكتوبة والمغطاة برموز مكتوبة باليد أو مطبوعة (٩) .

وان مؤلف العمل الأدبي يصبح كاتبا ecrivain عندما يؤلف أعمالا يقصد بها القراءة أو التمثيل « فهو عندما يؤلف انما » يكتب والمستهلك لعمله هو القارئ « Lec- teur » بمعنى أنه انسان يقرأ بعينه وفي هدوء دون حاجة إلى النطق أو الاستماع إلى نطق الكلمات التي يقرأها (١٠) .

وهكذا ، فان الآدب وحتى اختراع الاسطوانة والراديو ظل « فنا » يتطلب الهدوء والصمت ، فالمؤلف أو الكاتب يسجل كلماته في هدوء . وبإيجاز ، فان عالم الآدب قد أصبح عالما هادئا على الرغم من التقدم الطباعي ، وسنحاول أن نتعرف عما اذا كانت الوسائل الآلية قد غيرت مفهومنا للآدب .

نفترض أن الراديو والاسطوانة غير موجودين ، ويمكننا أن نتخيل هذا العالم بالنسبة للآدب ، حيث يكتب البعض في هدوء ، ويقرأ البعض في هدوء ولكن هذا العالم لم يلبث أن تعكر صفوه هدوؤه بسبب ضجيج صالة التحرير في الصحيفة ، وأصوات ماكينات الطباعة وما يحدثه من ضوضاء .

ولكن إلى أن نفترض أن هذه الصورة تتفق مع الواقع ، علينا أن نتساءل هل للكتابة أهمية أقل في الترويج للثقافة الأدبية . ان « تاردو »^(١١) لا يعتقد ذلك ، وان ظهور المطبعة جعل دور الكلمة المكتوبة في الاتصال الثقافي والأدبي كبيرا . يقول تاردو^(١٢) :

« ان فكرة الفن الأدبي ترتبط من قديم بلن الكلمة المكتوبة ، وكيف يكون الأمر خلاف ذلك ما دام الفن الأدبي هو فن تغيير ونقل وتكوين صور أدبية وأداة تكوينها ؟
« ان الفن الأدبي يقوم على الشكل التكويني كما يقوم على المونتاج ، شأنه في ذلك شأن الفن السينمائي » .

وهكذا فإنه يرجح أن الرموز المكتوبة في العصور حتى البدائية منها ، وكذلك اللغة الانسانية تبودلت وطابقت وتطابقت . كل لغة منها كان لها وظيفتها الميتافيزيقية فهي ترتبط الانسان بالعالم المحيط به ، ويمكن القول إنه في كل العصور كانت الكلمة المنطوقة وشقيقتها المكتوبة في الأدب متلازمتين في عرض الأشكال الفنية للأدب — وفي إحدى المرات ذكر أحد الفلاسفة موضوعا لافلاطون حيث كان يقول لسقراط : « الكتب هي الوسيلة التي يعتمد عليها الانسان الذي ينسى بسرعة . فالإنسان يرجع للكتاب ولا يعتمد على ذاكرته ويضيف « بارين » ان سقراط قد تخيل نوعا من المدنية التي فيها يتخيل مدينة جميلة تقوم على الخيال . ولقد كان سقراط يريد من وراء ذلك أن يعرف معنى اللغة ، فالإنسان لذي ينطق بلغة يبقى وراء هذه اللغة ليجيب عليها وليطبقها وليراقبها^(١٣) » .

هكذا ، ومنذ سقراط نجد أن الكتاب في معركة تنافسية مع الكلمة المنطوقة كوسيلة للثقافة ، وربما كان لسقراط حنينه الخاص إلى الماضي ، حيث اللغة في أصلها لغة منطوقة ، تستقبلها الأذن ، وتستوعبها الذاكرة ، كأساس للثقافة والاتصال البشري .

من هذا المنظور المنطوق للاتصال الأدبي ، نرى استمرارية البقاء للكلمة المنطوقة عبر التاريخ ، ونذكر في هذا الصدد المقال الذي أشرنا إليه لسنجريا عن التروبادور والراديو ، فالتروبادور مجرد بهلوان في الحفلات يستحوذ على الانتباه وتقرده ، ماذا كان يقول الشعر المنشد في القرون الوسطى في فرنسا : الحب ، حقيقة ، في قالب شعري ما هو ، ثم يتلو الأنباء والنشرة الجوية .

وان الكلمة المنطوقة في الأدب لم تختف ، بل سارت جنبا إلى جنب مع الكلمة المكتوبة ، وحسب الظروف ، فإن الفن الأدبي يقدم إما في شكل مكتوب أو في شكل إذاعى .

ان نمو الكلمة المكتوبة قد ارتبط في القرون الأخيرة بتقديم الطباعة ، ومن الخطأ ان يقال إن الحياة المجهورة للأدب قد اختلفت نتيجة لاكتشاف المطبعة الذى يسبق عصر اكتشاف الراديو ، والكتاب في كل الاوقات سواء كان مخطوطا أو مطبوعا ، يعنى دائما التحليل والتدوين والتوثيق للحياة الادبية ، واذا حاولنا أن نضع جدولا تاريخيا ، فإننا يجب أن نضع المسرح في المكانة الأولى ، إلى جانب الفنون الأخرى ، إن الأعمال المسرحية التى يمكن أن نعجب بها لها قبل كل شيء محتوى أدبى ، حيث إن الرسالة الادبية هذه تتطلب قراءة هادئة تسمح بالتخيل^(١٤) .

وتجىء أشكال الاتصال الأدبى والثقافة المجهورة التى ظهرت خلال القرون لتؤكد أنها كانت مقنعة وفعالة ، حينما ظهرت في الندوات الادبية أو من خلال مدرسة فكرية . وفى هذا المجال يجب أن نتعرف على طبيعة النقل المنطوق للثقافة ، ويذهب جان تاردو^(١٥) إلى أن الراديو والكتاب ، على الرغم من عداوتهما الظاهرة يجب عليهما أن يتآزرا في مواجهة الخطر الجديد المتمثل في التليفزيون ، كما يذهب إلى أن الراديو يجد نفسه موضوعا في منتصف الطريق بين القراءة الصامتة والتجسيد الكامل المرئى والمجهور للوجود الإنسانى (المسرح — السينما) ، أما الراديو فيضع المستمع من الناحية النفسية في منتصف الطريق بين التخيل الباطنى والتعبير الكامل المجهور . هذا الوضع الممتاز يسمح للأدب الاذاعى أن يطور قدراته في اتجاهين أساسيين :

الشعر — الخيال الشعري السريالى — وفى الحالة الأولى فإن في مقدور الراديو أن يقدم للشعر إمكانية التنشيط واستخدام الإمكانات الصوتية بينما كان الشعر مخفيا قبل أن يذاع من خلال الراديو^(١٦) .

وفى المجال الأدبى ، فإن الراديو ينتخب عينة أدبية بعد استفتاء الرأى العام لاختيار العمل الجديد الذى يقدم من خلاله ، مع مراعاة التوقيت المناسب ومن ذلك يتضح أن الراديو يقدم للأدب خدمة جليلة ، فهو يحفز المستمع الذى يعجب بعمل أدبى مذاع إلى قراءة « العمل نفسه ، بعد اذاعته . وعلى الرغم من ذلك فإن الكتاب سيظل سيد الوسائل بالنسبة لنشر الأدب^(١٧) » .

إن المستمع لكى يتفهم العمل الأدبى جيدا ، يجب أن يقرأه ، وأن يستمع إليه كذلك ، مما يساعده ، على تمثيل العمل على أفضل نحو ممكن ، وثمة حقيقة أخرى ، لا يمكن أن ننكرها على الاذاعة ، وهى أنها جعلت تذوق الأدب حظاً شائعاً لجميع الناس بلا استثناء ، على اختلاف طبقاتهم ومهنتهم ، ولم تجعله مقصورا على فئة قليلة من القارئ الذين أتيح لهم أن يعرفوا القراءة والكتابة لأن الأدب الاذاعى سمعى يتوسل

بالكلام ، وليس بصريا يتوسل بالكتابة . ولذلك نستطيع أن نذهب مع الدكتور يونس^(١٨) بلا تحفظ إلى أن الاذاعة خرجت بالادب من دائرته الاستقرائية القديمة وجعلته أدبا ديمقراطيا ، يتصل بقوام الشعب كله ، وحطمت الابراج العاجية في التذوق ، كما حطمتها عوامل أخرى في الابداع ، وليس المعنى المقصود أن الاذاعة جعلت الفن القولى أدبا شعبيا بالمفهوم الخاص للادب الشعبى ، ولكن المراد أنها وصلت بين هذا الفن وبين الشعب ، واصلته في نفسه ، وجعلته يتفاعل معه ، يحقق شخصيته كما يحقق شخصية الفرد المبدع له^(١٩) .

القصة والادب الدرامى :

في البرنامج العام وصوت العرب :

يقدم البرنامج العام بالاضافة إلى التمثيليات الاذاعة ، برنامجين يترسلان بالدراما الاذاعية وهما :

١ - برنامج « من القصص العالمى » الذى يقدم ٤٥ ر ١٢ مساء الاربعاء من كل اسبوع .

٢ - برنامج « مواقف درامية » الذى يقدم الساعة ٣ من بعد ظهر السبت من كل اسبوع .

أما صوت العرب « فيقدم بالاضافة إلى التمثيليات الاذاعية ، برنامج « عالم القصة » أسبوعيا في مدة ربع الساعة ٤٥ ر ٨ مساء الثلاثاء وتعاد اذاعته ٣٠ ر ١١ صباح الخميس .

ومن هذه البرامج يتضح أنها جميعها تعنى بالادب القصصى المكتوب للقراءة وأنها تعيد تقديمه من خلال الاذاعة ، وهو يقدم من خلال الاعداد الاذاعى والاخراج الاذاعى ، لأن الاذاعة تقوم بدور خيال المستمع ، وتحل محله في تجسيد العمل لعقله ووجدانه ، وتفرض عليه تفسيرها هى للنص الأدبى وتجسيدها هى له .

ويقول أمين بسيونى مدير صوت العرب « إن الادب الاذاعى أصبح ضرورة ملحة للميكروفون خاصة اذا وضيعنا في اعتبارنا ان الاذاعة تعتبر أوسع أنواع الاعلام انتشارا خصوصا في البلاد النامية حيث ترتفع نسبة الامية ، فاذا كانت الصحيفة العادية يقرأها عدة آلاف من الناس فإن الاذاعة صحيفة الملايين ، ونضيف أن افتقار الاذاعة إلى كبار كتابنا مثل توفيق الحكيم والسباعى وغيرهم هو الذى جعل الاذاعة تسعى لتكوين جيل كبير من المعدين المتخصصين في اعداد العمل الأدبى الاذاعى لهؤلاء الكتاب دون أن تحاول أو تسعى — للأسف في استنبات أو خلق كاتب واحد متخصص في الادب

المسموع ، كما أن الأدباء الشباب انفسهم نجدهم يندفعون إلى طبع مؤلفاتهم ، اما في مجموعة قصصية أو مسرحية أو ديوان من الشعر^(٢٠) لأن هذه الطريقة هي الوحيدة التي تضعهم في مصاف الأدباء والكتاب بخلاف ما يحدث اذا كتبوا تمثيلية اذاعية وان كتبوا منها المئات فلن تضعهم في يوم من الأيام في مصاف الأدباء المرموقين^(٢١) وان كانت هذه النظرة في حاجة إلى تصحيح ، بعد أن لاحظ الكثيرون من نقاد الأدب المعاصرين تأثير الفن الاذاعي على الكثير من ألوان الأدب القصصي والمسرحي الجديد واستطاعوا أن يجدوا بصمات هذا الأدب في أعمال أصحاب الموجه الجديدة في دنيا المسرح ودنيا القصة مما يؤكد أثر الاذاعة في التأثير على أشكال التعبير الأدبي^(٢٢) .

الادب الدرامي :

وكان من الطبيعي أن تحتفل الاذاعة بالادب الدرامي ، لانه صورة من صور التعبير الديمقراطي ، فالدراما لم تزدهر في مجتمع من المجتمعات ، حتى وان كان التمثيل فيها خاصا بالملوك ، الا بظهور فكرة ديمقراطية ، ومع ذلك فقد وجدت الاذاعة أن الدراما لا تقوم بالحوار وحده ، وإنما بعناصر أخرى مرئية تبرز للمشاهد والأشخاص والحركات ، وكان لزاما على الاذاعة التي تتوسل باللغة والصوت ، وتستغل الأذن أن تترجم سائر العناصر المرئية في الدراما إلى عناصر مسموعة^(٢٣) . وان كانت الدراما تنقسم إلى « مشاهد » على المسرح ، فانها تنقسم إلى « مسامع » في الاذاعة ، ولما كانت الأذن لا تستطيع التركيب المعقد الذي تستطيعه العين ، فقد كان من الضروري أن تركز التمثيلية الاذاعية ، وأن تتحدد شخصيتها البارزة ، وأن يبرز سياقها وتطورها ، وأن تتواصل أحداثها ، وألا تتوقف فترات كما تتوقف الدراما المسرحية التي تنقسم إلى فصول . ومع ذلك فقد أضافت الاذاعة — على حد تعبير الدكتور يونس^(٢٤) — تأثيرا آخر في الأدب الدرامي ، وهو تحديدها للآطار الخارجي ، بتحديد الفترة الزمنية التي تستغرقها التمثيلية الاذاعية ، مثلها في ذلك مثل المسرح في تحديد الزمن الذي يستغرقه التمثيل ، ومثلها في ذلك مثل الصحافة في تحديد المقالات والقصص تحديدا حتمته مساحة الجريدة أو المجلة ، واختلف بذلك الانتاج الذي ينشر عن طريق الصحافة عن الذي ينشر عن طريق الكتاب ولنترك جانبا الوحدات الارسطاليسية الثلاث : وحدة الزمان والمكان .. إلخ التي تقتضى زمنا معينا لا تتعداه ، ولندع جانبا الدراما اليونانية التي كان يستغرق عرضها ساعات أو يوما أو اثنين ، ولكننا نتكلم عن الدراما المسرحية التي تستغرق ساعتين ونصف الساعة ، أو ثلاث ساعات على أكثر تقدير ، والتي تتكون من فصلين أو ثلاثة فصول ، يشتمل كل منها على مناظر ... أما الاذاعة فتعتمد على الأذن ، وهي ليست كالبصر الذي يعتمد على تعقيد المرئيات ، فهي تسمع شيئا منسوبا كالتيار

المنساب ، بينما البصر يستطيع أن يلمح في لحظة واحدة منظرا معقدا ، متعدد العناصر المتلاحقة أو المتوقفة ، ودرجة الملل في البصر أقل منها في الأذن ، إذ إن العين أرقى ، والأذن أقوى وبخاصة من الناحية الاجتماعية ، ولكنها بطبيعة الحال محدودة (٢٥) .

ولذا كانت التمثيلية الإذاعية في تحديدها الزمنى أقل من التمثيلية المسرحية أو السينمائية ، فما يطلق عليه بالمشهد الكبير ، الذى يتجمع فيه عدد كبير من الأشخاص قليل في الإذاعة ، ويحدث في ومضات صوتية سريعة ولا تتوقف زمنا طويلا كما هو الحال في السينما والمسرح ، وهكذا حددت الإذاعة الزمن وبسطت الحادثة من حيث الأشخاص ، ومن حيث العقدة ، ومن حيث السياق مع الترجمة الصوتية الكاملة للعناصر المرئية (٢٦) .

ويقصد بالمسرح الإذاعي Le theatre Radiophonique .

الى أشكال ثلاثة هي (٢٧) : —

١ - إعادة نقل الأعمال الدرامية التى تم عرضها للجمهور في المسرح أو التى أذيعت من الاستوديو . وفي هاتين الحالتين يقتضى من المذيع أن يقدم تعليقا كافيا يصف فيه الديكور والعمل الذى يؤديه الممثلون ، ويدقق في تعبيراتهم حتى يتمكن من نقلها بوضوح .

٢ - يقوم الراديو بإذاعة أعمال أدبية ، « قصص - أخبار - روايات الخ » ، ويمكن أن تكون إذاعة هذه الأعمال على شكلين أولهما ، القراءة بصوت أو أكثر للعمل في مجموعه . وهذا النوع من الإرسال يمس جمهورا عريضا بسبب طبيعة العمل وبسبب خصائص صوت القارئ ، الذى قد يكون مؤلف العمل نفسه ، فيقدمه في صورة جيدة ، أما الشكل الثانى ، فيدخل في مجال العمل الدرامى المؤلف خصيصا للراديو ، ذلك أن تبني العمل الأدبى الذى ألفه متخصص في الكتابة للإذاعة يحرص على احترام هذا العمل عند تقديمه للإذاعة ، فيراعى مقومات الاتصال الإذاعى مستخدما الصوت المعبر

٣ - الأعمال الأدبية المؤلفة خصيصا للراديو ، وهى هنا تراعى دائما مقومات المسرح الإذاعى ، هذه الأعمال يمكن أن تنقسم بدورها إلى شكلين :

أ - الأعمال المؤلفة للإذاعة ، ويمكن تقديمها أيضا على المسرح أو الشاشة .

ب - أما الأعمال المؤلفة خصيصا للراديو والتى تفقد مقوماتها الأدبية إذا حاولنا تقديمها في وسيلة أخرى للتعبير ، فإنه لا يجوز تقديمها الا من خلال جهاز الراديو .

ومن ناحية أخرى فإن الظروف المادية للاستماع الاذاعي ليست هي نفسها عندما نشاهد مسرحية على المسرح أو رواية في السينما ، فهناك صوت الضجيج في الشارع والمحادثات والتعليقات ورنين التليفون ، كما أن هناك الظروف الخاصة بالمستمع الذي يملك حرية كبيرة في الحركة ، أى في مقدوره أن يقوم أو يتحرك دون أن يمنعه أحد . وهنا نفقد عنصر الانتباه ولذلك فإن الذين يقدمون برامج الاذاعة سواء كانت تمثيليات أو غيرها يراعون ظروف الاستماع الملائمة ، فيختارون الوقت الهادئ والمناسب للمستمع بعد الغداء مثلا ، أو في المساء أو بعد العودة من العمل ، وعلى الرغم من ذلك فإنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بانتباه المستمع ، الذي يستطيع بحركة من أصبعه أن يوقف حركة الاستماع (٢٨) .

ونخلص من ذلك إلى أن ظروف الاتصال الاذاعي ظروف خاصة ، لأن الاستماع ليس استماعا جماعيا ، اللهم الا استثناءات بسيطة مع الأسرة مثلا . ومن ذلك يتضح أن جمهور الاذاعة مختلف لأنه جمهور متعدد ، وليس في الإمكان حصره ولا يتصل بعضه ببعض الآخر (٢٩)

ومن جهة أخرى فإن التسجيل الاذاعي لمسرحية ما يراعى عنصر الوقت ، كما تقدم ، وهى مسألة في غاية التعقيد ، فبرامج الاذاعة التى تذاع يوميا تعد بقسوة مطلقة ، لأن جميعها محدد وقته ، وليس في المقدور الهروب من ذلك ، فإى إرسال لابد أن يحترم مدته الموقوتة ، حتى لو كانت قصيرة وفى اذاعة الدولة كالاذاعة المصرية لا يذاع الاعلان ، الا فى اذاعتى : الشرق الاوسط ، والشعب ، أما صوت العرب والبرنامج العام فلا تقدمان اعلانات على الاطلاق ، وذلك على النقيض من الاذاعات الاهلية التى تقدم الاعلانات حيث يساوى الوقت الاذاعي ثمننا غاليا يدفعه المعلن . ولقد استطاعت الدراما الاذاعية أن تتطور في البلاد التى تخضع الراديو لإشراف الدولة وتناهى عن سيطرة الإعلان (٣٠)

ولقد بدأت أهمية انتاج الدراما الاذاعية تتضاعف في العالم ، فالراديو مشروع أو جهاز كبير للمستمع الذى يوجد في كل مكان ، وفى دراسة « لجان لسكير » - Jean Lesa-cure عن الراديو والادب تتضمن أرقاما من فرنسا في عام ١٩٥٥ تشير إلى أن الاذاعة تخصص ٧٣٦ ر ٣٢ ساعة للبرامج الفنية والثقافية التى تهتم بها اهتماما بالغا . وأن انتاج التمثيليات يلعب دورا كبيرا في حياة الكتاب فالادب يتغذى من الاذاعة ، أى أن الاذاعة قد خدمت الادب لأنها اذاعته بعد أن كان مختفيا بين أضياف الكتب وفى ايطاليا وانجلترا والولايات المتحدة ، فإن السينما والتلفزيون والراديو تقدم جميعا فرصة كبيرة للكتاب باذاعة اعمالهم (٣١) .

وفي بعض الأحيان تقدم الاذاعة أعمالا مترجمة من المسرحيات ، وذلك لاجذب انتباه العامة لأنها أعمال مستوردة تمثل عملا غير مفهوم بالنسبة للمستمع المحلي^(٣٢) ، ومن جهة أخرى فإن الدراما المذاعة تذاع وليس في مقدورها الاستماع إليها مرة أخرى ، مما يجعل فرصة النقد هنا أقل ، على النقيض مما تتيحه القراءة . والتثيلية الاذاعية تقدم للمستمع الذي لا يراها ومن أجل ذلك تسمى التمثيلية الاذاعية^(٣٣) . Theatre . Paur les aveugles لأنها تمثيلية غير مرئية تعتمد على المادة المسموعة كما تقدم .

ان العمل هو فعل وليس مجرد صوت أو كلام . ولتفسير ذلك نذكر الدور الذي كان يقوم به بطل العصور السابقة ، الذي كان يقوم بوصف وتصوير احداث ما لتمثيلية وقعت بالفعل من الحياة ، كذلك المذيع الان يقدم احداثا مسرحية منقولة ، وعليه أن يتمثل المسرحية جيدا حتى يصورها للمستمع تصويرا دقيقا . أما بالنسبة لـ أعمال المؤلف خصيصا للراديو ، فإن المؤلف يحرص على استخدام طريقة تعبير واضحة^{واضحة} يسهل بلوغها للمستمعين ، لأنهم لن يشاهدوا العمل المسرحي وكذلك يجب أن يكون صوت المذيع واضحا ، ويروى المسرحية بجميع تفاصيلها في تصوير دقيق ، وأن يراعى درجة السرعة Tempos ويعتمد على الموسيقى اثناء رواية المسرحية^(٣٤) .

والعنصر الرئيسى فى المسرح الاذاعى هو العمل الادبى المؤلف للاذاعة وهو قد يكون فى شكل حوار Dialogue ولكن يجب أن نذكر أن الاذاعة تقوم على استخدام المونولوج افضل منه على المسرح أو الشاشة ، لأن المستمع للراديو فرد وليس جماعة ، ومن جهة أخرى فإن السينما تعتمد على الصورة وفى ذلك ما يشد المشاهد إلى المقعد ، أما الراديو فإن المستمع حر الحركة ، ويمكنه الانشغال عن مسرحية مذاعة ، وهنا تكمن ضرورة محاولة استهواء جمهور الراديو الذى يمكن أن يقفل الجهاز ويبتعد عن مضايقاته اذا رأى فيها ذلك . ولذلك يجب على المذيع الذى يوكل إليه تقديم رواية أو مسرحية عالمية أن يوضح صوته ويحدد نبراته ، فليس كل مذيع صاحب صوت صالح للاذاعة ، كما أن اللغة التى تصور الأحداث بقوة افضل بكثير من اللغة الجافة^(٣٥) .

ويقوم المسرح الاذاعى على اللغة اساسا وفى هذه الحقيقة ما يجعلنا نقول إن العمل المسرحى الاذاعى الجيد هو الذى يجعل الأذن « ترى » ، فالصوت يلعب دورا هاما ، والصوت المثالى Ideale هو الذى يعطى للعمل الجيد فعالية وتأثيرا ولذلك يحرص الراديو على استخدام أصوات ممثلين يمكنهم ترجمة الفعل إلى صوت واضح ، يكون ذا فاعلية عند المستمع^(٣٦) .

التمثيلية والبرامج الخاصة :

التمثيلية الاذاعية والبرنامج الخاص من أعلى مراتب الفن الاذاعي من ناحية الشكل والمضمون واستجابة الجماهير لها ذلك أنه تبدو فيها عملية الخلق الاذاعي كاملة فاذا كنا نستطيع أن نجد الحديث في الكتاب والموسيقى في الاسطوانات والاغنية وفي المسرح فان التمثيلية الاذاعية التي تنتقل عبر الزمان والمكان لا يمكن أن نجدها في كتاب أو اسطوانة أو مسرح .

ولم تصل التمثيلية الاذاعية إلى شكلها الفني الحالي الا بعد تجارب عديدة لقد ظن البعض فيما مضى أنه يكفي أن نضع الميكروفون في مسرح وندعه ينقل إلى المستمعين أصوات الممثلين ولكنه بعد فترة أدركوا أن طبيعة الراديو تختلف عن طبيعة المسرح وأن الأول يعتمد كل الاعتماد على حاسة السمع في حين أن المسرح يعتمد على النظر إلى جوار السمع فحاولوا أن يعوضوا المستمع عما ينقصه ، من عناصر الرؤية مما يجعل المذيع يصف للمستمع المنظر الذي تدور فيه الأحداث . أي المكان والزمان الذي تقع فيه هذه الأحداث وحركات الممثلين وتعبيراتهم وملابسهم والمؤثرات المسرحية المنظورة الأخرى كالإضاءة والماكياج ولكن هذا كله لم يحقق الظاهرة ، الإذاعية التي تمليها طبيعة الراديو وكان لابد من عمل تجاري آخر انتهى بوجود التمثيلية الإذاعية كشكل فني متميز يجعل الأذن تمسك بصفات المنظر والحدث الذي يمكن أن تراه العين وبشكل يتفوق على حدود المسرح وتقاليده التي لا تمكنه من حرية الحركة والزمان والمكان وانتهى بذلك المسرح المعتمد على فصول مقسمة تحد من انطلاق الحديث وتتابعه وهذا أوجد للراديو مسرحا غير محدود ينقل إلى المستمع ودون أن يترك مكانه ودون أن يتكلف شيئا من حجز مكان أو ارتداء ملابس أي أن التمثيلية الاذاعية كما حققت حرية الفن وحررت الفن التمثيلي من القيود المفروضة عليه فانها حققت للمستمع حرية التلقى وحررته من القيود المفروضة عليه .

ولكن اذا كانت طبيعة الراديو قد حققت الحرية فان الحرية ليست مطلقة وهناك قيود تحددها وحتى نلمس هذه القيود فلنستعرض وسائل التعبير التي يجدها كل كاتب ومخرج من كتاب ومخرجى الفنون الدرامية تحت تصرفه .

كاتب السينما ووسائله الحوار المؤثرات الصوتية — الموسيقى — التعبير بالوجه والحركات ومحاولة الممثل تجسيم الشخصية عن طريق الشكل الخارجى ، الملابس والمناظر والمؤثرات الضوئية وأدوات المسرح ، عدد كبير من الممثلين ، المناظر الطبيعية

وتغيير المناظر ، الحيل الفوتوغرافية الألوان ، اللقطات ، ولكن كاتب الاذاعة لا يستطيع أن يستخدم سوى الثلاث الأول وهى الحوار والمؤثرات الصوتية والموسيقية .

ومن خلال هذه العناصر الثلاثة يعمل الكاتب والمخرج الاذاعي فى التمثيلية دون عجز عن التعبير الكامل ، وسنرى أنه يستطيع بها أن يقدم كل العناصر التى تدفع المستمع إلى تصوير المناظر والأحداث بل وأن يتفوق بها على كل الأشكال الدرامية باعتبار أن للكاتب حرية الانتقال فى الزمان والمكان وتقديم ما لا يستطيع أن يقدمه المسرح أو السينما إلا بتكاليف ضخمة والمستمع للتمثيلية الاذاعية لن يكون مجرد مشاهد أو مراقب لما يجرى على شاشة السينما أو خشبة المسرح بل شريكا فى عملية الخلق باعتبار أنه يستخدم خياله لتصوير ما يحدث وبالتالي فتقبله للتجربة الفنية أكثر كمالا لأنه مشترك فى الموقف وهناك قيد آخر على الكاتب وهو الزمن الذى يقدم فيه البرنامج فتمثيلية نصف الساعة مثلا بعكس المسرحية التى تستغرق ٣ ساعات أو الفيلم الذى يستغرق ساعة ونصف .

وعن طريق هذين الشكلين الاذاعيين : التمثيلية ، البرنامج الخاص تمكن المؤلفون من التعبير عن أمانى ومشاكل الشعب الثائر المتمثل فى العامل والفلاح والجندي والمتقف ولقد حرص المؤلفون على مهاجمة بقايا الأفكار الرجعية بجميع صورها وتعريف المواطن بماهية الروح الاشتراكية والكشف عن الاخطاء الواجب تفاديها .

رائد

ويتبين من ذلك أن البحث الفنى-الدائب هو رائد العمل وإن التجارب المتصلة تفرض نتائجها التطبيقية فى مجال التمثيليات وهذا ما يكشف التحول من أسلوب التمثيلية ، ذات العنوان الثابت إلى التمثيلية الحرة ومن أمثلة التمثيليات ذات الإطار الثابت :

الوان من الحب

عرض لمختلف العواطف التى تحرك الانسان فى الحياة .

الناس والصيف :

الدعاية للمصايف المصرية وسلوك الجماهير غير المصيفة اثناء الفصل الحار .

فنان زمان :

توعية الجماهير بالفنانين الذين كرسوا حياتهم لخدمة الشعب .

اضحك مع :

تقديم نجوم الفن فى عالم الفكاهة من خلال تجاربهم المسلية .

حكمت المحكمة :

عرض للقضايا الهامة التى شغلت المحكمة .

غدا او بعد غد :

تبسيط النظريات العلمية وبيان مستقبلها المنظور .

ذات يوم :

تقديم المناسبات التاريخية والقومية فى أسلوب درامى .

الخوف ممنوع :

تقوية عنصرى رباطة الجأش وضبط النفس فى المواطن العادى .

الحكم للمستمع :

مشكلة انسانية تهم أكبر عدد من المستمعين ويترك الحكم فيها لهم

نساء فى حياتهم :

بيان دور المرأة المناضلة وراء كل عظيم .

مسرحية ناجحة :

عرض وتقديم روائع المسرحيات ذات الفصل الواحد .

شجاعة

على فين :

مواجهة مشكلة « الهروب من المشاكل والدعوة إلى مواجهتها بشجاعة » .

من الشاشة للميكروفون :

تقديم الأفلام العاطفية ذات الأهمية الإنسانية .

مش معقول :

بيان تناقضات الأفراد ثم السلوك والتصرف .

مع الأدباء :

تقديم الأعمال الناجحة للأدباء بواسطة الأديب نفسه .

من كل بلد حكاية :

تعريف المواطن العادى بألوان الثقافات الفنية للشعوب .

لو مفيش :

برنامج يعرف قيمة الأشياء النافعة التى تستعملها ويبين المشاكل التى تنجم عن عدم

وجودها .

وإلى جانب العدد الضخم من التمثيليات التى تقدم كل يوم فهناك جانب من البرامج الخاصة التى تعالج موضوعات معينة .

فإذا كانت التمثيلية الاذاعية تعالج مشاكل الحياة عن طريق ما نسميه بالخيال فإن البرنامج الخاص يعالج عن طريق الحقيقة فالبرنامج الخاص يعالج مشاكل النشاط الإنسانى الجماعى وانتصار الإنسان على الطبيعة ويقوم على الطريقة التحليلية لا الطريقة المستندة على الإثارة ويعطينا الصورة السليمة للحياة الطبيعية .

وإذا كانت التمثيلية تقدم الشخصيات ممثلة إلى الميكروفون فالبرنامج الخاص عكسها فإن الميكروفون يذهب إلى الشخصيات في بيئتها ويجعلها تتكلم حسب الموقف ويتم التسجيل ثم نختار ما نريده من هذه التسجيلات وهذه العملية تعطينا معلومات أكثر من المعلومات المقيدة بنص مكتوب

وتقدم الاذاعة كثيرا من البرامج الخاصة مثل شخصيات تبحث عن مؤلف وهى تقدم الشخصيات الانسانية التى تعمل في دأب وجد وصمت بعيدا عن الاضواء وبيان مدى مساهمتها في العمل البناء الخلاق للمجتمع الجديد وبرنامج ٤٦١٢٠ الذى يعتمد على اشتراك الجمهور في حل المأزق الذى وقع فيه أحد أبطال التمثيلية عن طريق المكالمات التليفونية الخاصة من المستمع إلى الاذاعة مما يساعد على ربط المستمع بالاذاعة كمصدر للمشاركة في تكوين الرأى والتوجيه وفي جميع المناسبات الوطنية والتاريخية والقومية تعرض المناسبة وتوعية الجماهير بمضمونها الحقيقى .

وبرنامج من الحياة الذى يضم ويقدم مشكلة أحد المستمعين عن طريق خطاب يرسله للاذاعة التى تقدمه عن طريق الميكروفون بشكل درامى مناسب .

ملخص :

١ — وهكذا احتفلت الاذاعة بالفنون الادبية وطوعت الإمكانات الاذاعية لها ، فالى جانب التمثيلية والبرامج الخاصة احتفلت ايضا بالقصة المرسله طويلة كانت أو قصيرة ، وهى تعرضها قراءة خالصة أو مصحوبة بعناصر موسيقية تهىء الجو وتحكى التطور وفضلت القصيرة على الطويلة لنفس الاسباب التى تحدثت عنها المؤلفة ، وعملها في هذه الناحية كما يقول الدكتور يونس^(٣٧) يماثل عمل الصحافة وان كان النص في الاخيرة ، ثابتا يستطيع المرء ان يتأمله وان يستعيده متى شاء وان يتمثله كما يجب .

التفنن

٢ - وكانت للاذاعة محاولات كثيرة في ابراز الشعر الذى استوعب التفنن الادبى عصورا متطاولة والذى كان له الصدارة في حياة الادب حتى اخمل النثر الفنى ثم اخذ ينحدر عن القمة شيئا فشيئا وتعرض لازمة شديدة اختلف النقاد في تشخيصها وتعليلها وعلى الرغم من هذا كله فقد احتفلت الاذاعة بالشعر واستغلت جميع المواهب ، لإحيائه وابرازه ، والتفنن في إنشاده وعرضه على الأسماع وكان احتفال الاذاعة بالشعر مقطعا وغير مقطع يساير نزعتها الديمقراطية فخلصته مما كان يروق للأجيال الماضية من البهرج والزخرف ، والترصيع وسائر المحسنات اللفظية واعادت للعنصر الموسيقى فيه مكانة من المشاركة في التعبير لأن الاذاعة ذات الحس الصوتى لا يمكن أن تغفل الموسيقى الشعرية وما فيها من دلالات مباشرة وغير مباشرة واستغلت الاذاعة الموسيقى الخاصة في عرضها لمقطوعات الشعر وقصائده كما فعلت مع القصة القصيرة مهينة للجو وتأكيذا لمختلف النوازع والخواطر التى يعبر الشعر عنها . بيد أن أهم تأثير للاذاعة في الشعر كما يقول الدكتور يونس انما هو الخروج به عن عزلته القديمة والانحدار به من جبال أو لب أو وادى عبقر وتوثيق الصلة بينه وبين الحياة فاعانت الاذاعة على توسيع دائرة الشعر في الموضوعات مع التنوع في الاغراض وعنت بنبضات الوجدان القومى في الاحداث العامة عناية حررت الشعور من رق المناسبة المحدودة عند الشاعر القديم ومن ثم برز الشعر القومى ووجد النشيد الجماعى الذى يضيغ فيه الحاجز بين الشعر وبين الجماعة^(٣٨) ولقد لاحظنا اختفاء برامج الشعر من خريطة البرنامج العام في حين يحتفى صوت العرب بها .

٣ - وما يقال عن الشعر يقال عن سائر انواع الادب الاذاعى ومهما يكن من اتصال الشعر الحديث بالحياة والناس فان الزجل العامى قد اتخذ طريقه الى الصف الاول وصقلت حواشيه وتنوعت اغراضه . أما الاغنية القصيرة والموال فأمرهما مشهور ولا يحتاج الى بيان^(٣٩) .

٤ - ولكن المؤلفة قد لاحظت أن البرامج الثقافية لم تكن بالتراث الادبى العناية المنشودة ، فهي حين تقدم مقتطفات لغوية في برنامج « لغتنا الجميلة » بالبرنامج العام مثلا ، تكتفى بذلك ، في حين ينبغى على صوت العرب بخاصة وعلى البرنامج العام كذلك العناية بتقديم برامج خاصة بالتراث الادبى ، سيما وأن « ضحايا الحضارة الحديثة » الذين لم يفهموها على وجهها الصحيح والشعوبية الجديدة والشباب الذين سعوا الى ادراك التراث العربى خانتهم الادوات وقعدت بهم السبيل ، فغالوا في ازدياء الادب العربى غلو الاولين في إثارة واكباره^(٤٠) .

وتجد المؤلف في دعوة طه حسين الى إحياء الادب القديم أو المحافظة عليه أساس العناية بالتراث الادبي في الاذاعة ذلك أن الاسباب تتجمع لتدعم دعوة طه حسين :

فالحضارة الحق لا تنكر القديم وانما تحث عليه لانها تقوم على اساس منه متين . ولولا القديم ما كان الحديث . فليس التجديد في إماتة القديم . بل في إحيائه واخذ ما يصلح منه للبقاء . ومن أدباء أوربا الآن عدد غير قليل يحسن من أدب القدماء ما لم يكن يحسن القدماء أنفسهم . وكذا كان امر أدباء العرب لم ينسوا الشعر القديم بعد أن تحضروا قليلا ، بل بعد أن اغرقوا في الحضارة ، وانشئوا شعرا متحضرا يشبه احيانا الشعر القديم ولا يشبهه احيانا اخرى .

وتراثنا الادبي مقوم لشخصيتنا ، محقق لقوميتنا ، عاصم لنا من الفناء في الاجنبى معين لنا على أن نعرف انفسنا . ولذلك يجب أن يبقى ضرورة من ضرورات حياتنا العقلية ولذلك يجب أن تحتفل البرامج الثقافية بتقديمه والقاء الضوء عليه ، ليكون غذاء لعقول الشباب العربى وقلوبهم لأن فيه كنوزا قيمة تصلح لذلك ، وقواما لثقافتنا لانه اساس الثقافة العربية .

وفي ادبنا العربى قدرة على الإلهام . فأحاديث العرب الجاهلين لم تكتب مرة واحدة ، ولم تحفظ في صورة بعينها وانما قصها الرواة في ألوان من القصص ، وكتبها المؤلفون في صنوف من التأليف وألهمت السيرة النبوية الكتاب والشعراء في أكثر العصور والبلاد الاسلامية فصوروها صورا مختلفة تتفاوت في حظها من الجمال الفنى . وكذا الامر مع الغزوات والفتوح والفتن التى اصابته العرب في عصورهم المختلفة . وذلك شأن الادب الحى الخصب القادر على البقاء ومناهضة الايام . فهو من خلال البرامج الثقافية يلذ المستمع لانه يقدم اليه ما يرضى عقله وشعوره ، ولانه يلهم ما لم تشتمل عليه النصوص فان الاذاعة تستطيع أن تعيده على الناس في شكل جديد يلائم حياتهم وعواطفهم وخواطرهم^(٤١)

٥ — واذا كانت الاذاعة لا تنفصل عن البيئة بحال من الاحوال ، فان الإذاعة المصرية ، حين تعبر عن الشخصية المصرية ، فإنها ستجد التقاليد والمأثورات أكثر اصالة في مصر منه في أى بلد آخر من بلدان العالم ، وليس القدم وليست العزلة وحدهما هما اللذان صانا على المصريين تقاليدهم ومأثوراتهم ، ولكنها كما يقول الدكتور النجار . وحدة الشعور التى تجمعهم وتربط بينهم كما تربط ماضيهم بحاضرهم .

ولعل صفة البقاء والاستمرار التي عرفها المؤرخون عن تطور التاريخ في مصر والتي نسبها المؤرخ « آرنولد توينبى » الى اقترانها بعملية « التغيير والتجديد » هى فى الحقيقة أكثر اقترانا بوحدة الشعور منها بعملية « التغيير » فوحدة الشعور ادعى الى البقاء والاستمرار : والتغيير والتجديد طابعا الوجود كله منذ كان الوجود^(٤٢) . ولذلك فان المؤلفة تتصور أن تعبر البرامج الثقافية فى البرنامج العام عن الشخصية المصرية ، وان تتكامل مع صوت العرب فى تحقيق الاستقرار التاريخى لهذه الشخصية والذي لخصه جوستاف لوبون فى قوله « مصر الفرعونية حية فى مصر العربية باقية فى مصرنا الحاضرة^(٤٣) » وهكذا يمكن أن يكون للادب فى البرامج الثقافية بالاذاعين ارتباط وثيق بالاصالة والمعاصرة

بـ الاذاعين

الهوامش

- (١) طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر - القاهرة ، دار المعارف - ١٩٣٧ - ص ٥١٤ - ٥١٥ .
- (١) فاروق خورشيد : بين الاذاعة والادب (الجمهورية) - القاهرة في ٢٢ يونيو ١٩٧٤ .
- (٢) نفس المرجع .
- (٣) فاروق خورشيد : بين الاذاعة والادب - جريدة الجمهورية - القاهرة في ٢٢ يونيو ١٩٧٤ .
- (٤) فاروق خورشيد : نفس المرجع .
- (٥) فاروق خورشيد : نفس المرجع .
- (٦) الدكتور عبد الحميد يونس : فن الاذاعة - مرجع سبق ص ١٩ وما بعدها
- (٧) الدكتور عبد الحميد يونس : فن الاذاعة - مرجع سبق ص ١٩ وما بعدها .
- (٨) Jean Tardieu, OP. Cit. p. 34.
- (٩) Ibid , p. 34
- (١٠) Ibid, pp. 35, 36
- (١١) ibid, p. 35
- (١٢) Ibid, p. 36
- (١٣) Ibid, p. 37
- (١٤) Ibid, p. 37
- (١٤) Ibid, p. 37
- (١٥) نفس المرجع ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
- (١٦) نفس المرجع ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
- (١٧) نفس المرجع ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
- (١٨) الدكتور عبد الحميد يونس : فن الاذاعة - المرجع السابق ص ١٩ ، ٢٠ .
- (١٩) نفس المرجع ص ١٩ ، ٢٠ .

- (٢٠) جريدة الأهرام - القاهرة في ١٧ سبتمبر ١٩٧٦ .
 (٢١) جريدة الأهرام - القاهرة في ١٧ سبتمبر ١٩٧٦ .
 (٢٢) فاروق خورشيد : نفس المرجع .
 (٢٣) الدكتور عبد الحميد يونس : فن الاذاعة - المرجع السابق ص ٢١ .
 (٢٤) المرجع ص ٢١ .
 (٢٥) د . عبد الحميد يونس : فن الاذاعة - مرجع سبق ص ٢١ .
 (٢٦) المرجع ص ٢١ .

Nino Frank, Le theatre Rdioophonique dans, Jean Tardieu, op. cit. pp.

Ibid, pp. 149-151

Ibid, p. 150

Ibid, 151

Ibid. 152

Ibid, p. 155

Ibid, p. 156

Ibid, p. 158

Ibid, p. 158

Ibid, p. 161

- (٢٧) الدكتور عبد الحميد يونس : نفس المرجع ص ٢٢ ، ٢٣ .
 (٢٨) الدكتور عبد الحميد يونس : نفس المرجع ص ٢٢ ، ٢٣ .
 (٢٩) نفس المرجع ص ٢٢ ، ٢٣ .
 (٣٠) د . حسين نصار : دراسات حول طه حسين - محاضرات القاها في كلية الآداب بالموصل ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ص ٦٨ .
 (٣١) د . بين فوزى النجار : لطفى السيد والشخصية المصرية مكتبة القاهرة الحديثة - القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٠ .
 (٣٢) نفس المرجع ص ٣٠ .
 (٣٣) نفس المرجع ص ٣٠ .

الفصل الثامن

البرامج الثقافية وتبسيط العلوم

نتحدث في هذا الفصل عن جانب آخر من جوانب البرامج الثقافية ، بعد أن تعرفنا على الفنون والادب واللغة ، تأسيسا على أن تعريف البرامج الثقافية كما تقدم يتضمن التقريب بين اصحاب الثقافتين العلمية والادبية ، فقد لاحظ السير تشارلس سنوفي كتابه « الثقافتان والثورة العلمية » ان افراد الثقافة الادبية يتجهون بسبب تعليمهم وطبيعة ميولهم واستعداداتهم الفطرية ، الى كل ما يمت للادب ، بما تنطوى عليه الكلمة من عناصر الاطلاق والتعميم كالثروة الشعرية ، والنثرية ، والدراما ، والرواية والقصة وتذوق الجمال والسلاسة في الفاظها والعذوبة والسمو في معانيها ، سواء اكان ذلك في اللغة القومية ، ام في اللغات الاجنبية ، أم في هذه وتلك معا^(١) .

ويتجه افراد الثقافة العلمية الى المواد الرياضية والطبيعية والكيمائية والفلكية ، والبيولوجية ، والسيكولوجية ويميلون عادة الى البحث عن الصلة بين هذه المواد وتطبيقها على الحياة اليومية تطبيقا علميا ، بجانب دراستها من الناحية النظرية البحتة . وهذا بخلاف الثقافة الادبية التي تميل الدراسة فيها الى أن تكون نظرية خالصة .

الثقافة

وتأسيسا على هذا الفهم فان البرامج الثقافية تتوجه الى هاتين الطائفتين معا ، لتقرب بين الامزجة والاذواق والتفكير والسلوك العام فبرامج تبسيط العلوم لا تتوجه الى اصحاب الثقافة العلمية وحدهم وانما تتفنيا أن يعرف افراد الثقافة الادبية شيئا عن العلوم التي امتاز بها القرن العشرون . ^{وتغير} بتغير بها وجه العالم الذي نعيش فيه ، كما أن برامج الادب والفنون تستهدف وصل اصحاب الثقافة العلمية بالادب والفن ومن ذلك يتضح أن البرامج الثقافية تواجه الفجوة الواسعة بين افراد الثقافتين ، الذين يقول عنهم سير تشارلس سنوك كما أقيت نظرة على كل من افراد هاتين الطائفتين الذين بلغت ثقافتهم منزلة ارسقراطية ممتازة تبين لى أنهما يتفكان فى عنصر السلالة والدم ، وفيما حبتهم الطبيعة من نعمة الذكاء ، وانهما لا يختلفان كثيرا فى الاصل الاجتماعى الذى ينحدران منه ، كما أنهما يتساويان تقريبا فى الحالة المالية . ولكنهما برغم ما بينهما من عوامل التجانس والتشابه هذه ، كفا عن الاتصال ببعضهما البعض وان الشقة بينهما من النواحي الذهنية والخلقية والسيكولوجية قد بلغت من الاتصال درجة انهارت بسببها كافة العوامل المشتركة بينهما ، حتى انك إذا انتقلت من الفريق الواحد الى الفريق الآخر فى المدينة الواحدة أو الحى الواحد ، خيل اليك انك انتقلت الى ما وراء البحار ، (٢) .

البرامج

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن القول ان الاساس المشترك لعمل البرامج الثقافية فى الاذاعة يتكيف بحسب الاهداف التى يحددها المجتمع . ماهى هذه الاهداف عندما نناقش تبسيط العلوم فى البرامج الثقافية ؟

والفهم

إن العلوم والتكنولوجيا والقيم الثقافية تتطور بمعدل لم تعرفه بل ولم تتصوره قط الاجيال السابقة ، هذه حقيقة واضحة لكن الآثار جد خطيرة ، ولاتفهم بدرجة كافية من الدقة . لا أحد يستطيع حاليا ان يتابع تطور كل فروع المعرفة حتى وان كانت ذات دلالة اجتماعية أو عملية كبرى . وقد بلغت لغة الرسائل « المتخصصة » درجة من التعقيد بحيث أصبح فهمها قاصرا على عدد محدود من المختصين ، هذا جانب من جوانب الموضوع . ومن جهة اخرى نجد أنه لا يمكن لأحد أن يفهم العالم فهما جيدا دون الالمام ببعض الاسس العلمية ويترتب على ذلك تزايد مستمر فى طلب المعرفة والدعوة المتزايدة للوضوح الى استخدام جميع وسائل الاعلام لترويج المعرفة ووضعها فى متناول الجماهير . واصبح اليوم تطور الانسان الفرد ونمو شخصيته نموا متعدد الاتجاهات بعوامل عدة نذكر منها طابع ومستوى وجودة اداء وسائل الاتصال الجماهيرية (٣) هذا بالاضافة الى ان الهدف الرئيسى لاذاعة مصر العربية هو تطور الانسان الفرد تطورا شاملا وعالميا .

ويمكن تقسيم مجال نشاط برامج تبسيط العلوم في البرنامج العام وصوت العرب الى :

- ١ — تبسيط الحقائق العلمية الاساسية والثروة الثقافية وآخر منجزات العلوم والتكنولوجيا .
- ٢ — التعريف بمعلومات جديدة وهامة للمستمعين الذين يحرصون على متابعة انجازات العلوم .

تبسيط العلوم في البرنامج العام :

قدم البرنامج العام ضمن برامج الثقافية اربعة برامج لتبسيط العلوم وهي : —

- ١ — نادى العلوم .
- ٢ — العلم والحياة .
- ٣ — ادب الخيال العلمى .
- ٤ — طبيب العائلة .

وهذه البرامج تمثل مستويات الثقافة التى تقدمها البرامج الثقافية العلمية في البرنامج العام ، وسنحاول الآن استعراض الاشكال التى تقدمها العلوم من خلال هذه البرامج .

١ — برنامج نادى العلوم :

وهو برنامج اسبوعى يقدم لمدة ربع الساعة ٣٠ر٤ مساء السبت ويشمل الاشكال الاذاعية التالية : الحديث المباشر والحوار وزيارات الميكروفون والتحقيقات الاذاعية والرد على أسئلة المستمعين والتعليق على الاخبار العلمية ويستهدف هذا البرنامج المستمع المتخصص الذى درس دراسة علمية ويعمل في مجال تخصصه في الحياة العملية التطبيقية كما يستهدف المتخصص العالم الذى اثرى حياة العمل والتجربة واشتغل بالبحث العلمى ، ذلك أن مثل هذا المستمع ينطبق عليه رأى هايزنبرج وهو أن نتائج التجربة لايمكن أن تخضع لاحتمية مطلقة بل قد تتأثر بالظروف التى تجرى فيها ، اذن فهذا المستمع لايركن الى حصيلته من المعلومات ولا الى تجربته الشخصية فقط ولكنه في حاجة الى الاستزادة بالمعلومات الكاملة حول موضوع معين والى مقارنة نتائج بنتائج غيره مع الذين يعملون في نفس الميدان ، انه يسعى دائما لمعرفة كل ما يحدث حوله سواء ما يحيط به أو ما يجرى في هذا العالم^(٤) .

.. تحدث

ويمثل هذا البرنامج دور الاذاعة كوسيلة للنشر العلمى — متكاملة فى ذلك مع المجلات المتخصصة التى تيسر لاجضاء نوادى العلوم التعرف على ابحاث بعضهم البعض ، وتمتاز الاذاعة عن المجلات المتخصصة فى النشر العلمى بـ (٥)

- أ - ميزة الشيوخ ، فالكلمة المسموعة ملك للجميع .
 - ب - ميزة الآلية فالمستمع يعرف ماذا يجرى فى انحاء الدولة فور حدوثه .
- ولكى يؤدى هذا البرنامج دوره فى النشر العلمى نقترح :

أ - أن يحرص على تبويب النصوص الخاصة به تبويبا ييسر فرصة الرجوع الى أى معلومة وردت فى هذه النصوص ، وعليه أن يكون مستعدا للرد على أى استفسار يرد له بشأن خبر أو رأى أذيع من خلال البرنامج وعليه أن ييسر للمستفسر فرصة الاتصال بمصدر الخبر — اذا كان محليا أو المعلق عليه اذا كان المصدر اجنبيا .

ب - أن يحرص على الاعلان عن عقد المؤتمرات المتخصصة والتى تعقد محليا — وأن يتم ذلك قبل موعد عقدها بفترة قد تكون أكثر من شهر أى فى فترة الاعداد للمؤتمر . تلك المؤتمرات التى لاتسمح طاقة الجرائد والمجلات العامة بالاعلان عنها ، وذلك حتى ييسر للعلماء الاشتراك ببحوثهم .

ج - أن يحرص البرنامج على اجراء الاحاديث التى يتحدث فيها المسئولون عما يجرى فى دائرة مسئوليتهم من بحوث علمية .

٢ — برنامج العلم والحياة :

برنامج يذاع ثلاث مرات فى الاسبوع (٩ مساء الاحد — الثلاثاء — الخميس ، لمدة ١٠ دقائق) ، ويستهدف اساسا تبسيط الانجازات العلمية من خلال تبين صلتها بالحياة ، حتى يتمكن المستمع العام من فهم عالم اليوم فهما افضل ويقوم مضمون هذا البرنامج على اساس اعطاء الجمهور صورة للقضايا الاساسية والحالية للعلم الحديث . كما أن هذا البرنامج يستهدف اثارة اهتمام الجمهور فيما يتصل بالعلاقة الوثيقة الموجودة بين العلم والحياة . كما أنه مضمون تناول المشكلات الخاصة بالعلاقات المتبادلة بين العلوم والتكنولوجيا والثقافة والفنون طوال تاريخ الحضارة الانسانية .

وحين يربط هذا البرنامج بين العلم والحياة . فانه يؤدى دورا متزايدا الاهمية فى نشر العلوم بواسطة تبسيطها ، ويكتسب هذا الدور قيمة خاصة فى ضوء الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة التى يرى المختصون انها ستغير تماما ظروف وطريقة وأسلوب معيشة الشعوب .

وكما أوضحت البحوث التى أجريت فى كل من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية والمانيا الاتحادية وبولندا^(٦) . فان هذه البرامج ذات فائدة لمجموعات كبيرة من المستمعين يمكن تقسيمها على الأقل الى فئتين :

المستمعون الذين يقصدون استقبال البرنامج ، والمستمعون العفويون، ولهذه التفرقة أهمية خاصة بسبب الاعتبارات النظرية والعملية ، كما انها تسمح لنا بإجراء بحث فى الوظائف المتنوعة لبرامج تبسيط العلوم .

ومن الأسر إجراء تقسيم للبرامج الى برامج تبسيط للعلوم وبرامج تعليمية من وجهة نظر المستمع . ولا تعتبر الفروق واضحة من الناحية النظرية اذ ان نفس البرامج لها وظائف تعليمية مختلفة باختلاف فئات المستمعين كما أن البرامج المتنوعة كثيرا ما تقوم بنفس الدور ازاء نفس فئات المستمعين^(٧) وهذا الوضع يخلق بعض الصعوبات فى البحث الذى يستهدف وضع تعريف عام للوظيفة الاجتماعية التى تؤديها الاذاعة العامة .

وفى البحث الذى يرمى الى تقييم برامج تبسيط العلوم والبرامج التربوية والذى يدرس استماع مختلف الفئات الاجتماعية لهذه البرامج ، فان اهم نقطة هى التصنيف الذى أجراه Max scheller لانواع المعرفة فهناك المعرفة الاخبارية والمعرفة العلمية ، وقد ابرز ماكس شيلير أن النوع الاول من المعرفة تعطيه جميع وسائل الاتصال الجماهيرية ويثرى ما يحصله الافراد من تجارب نتيجة الاحتكاك المباشر بالحياة . أما النوع الثانى أى المعرفة العلمية فيساعد الافراد فى تقييم خبرتهم بالحياة . وفيها تتجمع وتتراكم المعلومات المختلفة عن مجال واحد أو مجالات مترابطة . وهكذا نرى النوع الاول يتكون من المعلومات المختلفة عن موضوعات ومظاهر العالم الاجتماعى والطبيعى المحيط بنا أما النوع الثانى فيحوى المشكلات والنظريات والطرق .. المستخدمة فى بحث هذه الموضوعات والمظاهر المختلفة^(٨) .

وبطبيعة الحال لاتقدم برامج تبسيط العلوم فى الاذاعة الا المعرفة العلمية .

والسؤال الذى يطرح نفسه ازاء برنامج « العلم والحياة » هو :

هل هناك حاجة ملحة الى وجود هذا البرنامج ؟

ان الوعى العلمى فى عصرنا الحاضر ضرورة حتمية تفرضها طبيعة العصر على كل مواطن ، ولئن كان الفرد فى المجتمعات العصرية المتقدمة الى هذا الوعى العلمى حتى يساير العصر الذى يعيش فيه فان حاجة الفرد فى المجتمعات النامية فى هذا الوعى لا تتطلبه مقتضيات العصر وحدها ولكن تمليه الظروف والاحوال التى تواجهها بلاده ولذلك فان برنامج « العلم والحياة » يقدم للمستمع فكرة عن الافكار العلمية التى تتضح

فيها الارتباط بين العلم والحياة من خلال تصوير الظروف التي احاطت باختراع ما أو اكتشاف ما من الاكتشافات^(٩).

كما يقدم هذا البرنامج الخطوط العريضة لأحد البحوث العلمية مع بعض التفاصيل التي لا تتعلق بالعلم البحت وإنما تقيد المستمع الذي يرغب في الثقافة العلمية ، والثقافة العلمية التي تقدم من خلال برنامج « العلم والحياة » في البرنامج العام والتي تقدم لقاعدة عريضة من المستمعين غير تلك التي تقدم خلال البرنامج الثانى وتقتصر على جهود المثقفين وإذا كان الراديو يعتمد على حاسة واحدة ، فإن دوره في تبسيط العلوم دور محدد ، لأن الوسائل السمعية تتضاءل قيمتها بجانب الوسائل السمعية البصرية وذلك بالنسبة للمستمع محدود الثقافة . ولذلك فإن مقدم المادة العلمية لابد أن يحرص دائما على بساطة الصور التي يعرضها وأن يستوفى بالتوضيح والتكرار كما يمكنه أن يستعين بالموسيقى والمؤثرات الصوتية^(١٠)

يستمر

٣ — برنامج « أدب الخيال العلمى » :

برنامج اسبوعى يذاع ٣٠ ر ٣ مساء الاربعاء لمدة نصف الساعة وهو برنامج يستعين بالموسيقى والمؤثرات الصوتية في تقديم المواد العلمية للمستمع فى صياغة درامية ، تجعل هذا البرنامج يتوجه لقاعدة عريضة من المستمعين .

ومن عنوان هذا البرنامج يتضح أنه يعتمد على ذلك النوع من الادب الذى يطلق عليه اسم « الادب العلمى » ، أى الادب الذى يجعل التقدم العلمى بسلاحيه المدمر والسلمى محورا لحدثاته ، فهو يخشاه حينا ويجعله حلمه احيانا والادب — العلمى هو نوع من المصالحة بين الادب والعلم ، فاحدهما يقوم على الخيال تماما ، بينما الآخر لا يقوم الا على اساس التجربة والاستقراء والانتهاى من ذلك كله الى قوانين محددة ، بل الى صيغ رياضية كلما امكن ذلك^(١١) . لهذا كان الادب العلمى فى برنامج « أدب الخيال العلمى » توفيقا بين جمهور الثقافة العلمية وجمهور الثقافة الادبية ، كما تقدم عند تعريف البرامج الثقافية ، ويقدم هذا البرنامج أدبا معاصرا يرضى ميل المستمع لانه يستمع الى ادب متصل بقضايا عصره ، ويفتح امامه بابا للتنبؤ بمحاذير المستقبل من جانب ، وامكانياته الهائلة من جانب آخر . وحول الفرنسى . هـ . ج . ويلز الانجليزى ليسا بعديدين عن الازهان ، فطالما تنبأ بالكثير مما تم اختراعه فى القرن العشرين من طائفة الى غواصة الى هبوط على سطح القمر كما أن الدوق هكسلى بعالمه الطريف ، وجورج ادرويل بمزرعة النمل عام ١٩٨٤ ، ليسا ايضا بعديدين عن الازهان ، فهما يحذران الانسانية من أن استخدام العلم قد يؤدى الى تحكم السلطة فى أقدار ملايين الناس^(١٢)

وقد قيل عن ويلز انه تنبأ بصنع الدبابة قبل الحرب العالمية الماضية باكثر من عشر سنين ، وقيل انه صاحب الفضل - اثناء تلك الحرب - في اختراع وسيلة النقل التي عرفت باسم التلفراج . وقيل أنه- عاون حكومته بمقدرته الفنية كما عاونها بقدرته الكتابية ، ولكنه في تنبؤاته العلمية أو تحقيقاته الصناعية لايتجاوز مرتبة الصانع الماهر والمخترع الناجح ، وليست به حاجة الى أكثر من رسم « تصميم الآلة المخترعة لتصبح النبوءة عنها في حكم الواقع الملموس ولا تبقى منها بقية للمشاهدة العيانية غير التنفيذ^(١٣)

ويتخذ هذا البرنامج شكلا دراميا في تبسيط العلوم ، ونظرا لان المادة العلمية تعتبر من حيث الموضوع جديدة على المستمع ، فان البرنامج يقسم المادة العلمية الى مسامع وتوضح المسامع الاولى الهدف من المشكلة ثم يشرح كل مسمع من المسامع التالية الجزء الخاص به من المشكلة من وجهة نظر المستمع الذى يليه ، واخيرا يستخلص المستمع في المسمع الختامى النتائج العامة والنهائية .

ويرتبط الحل الدرامى لبرنامج تبسيط العلوم ارتباطا تاما بمعرفة عميقة للمادة العلمية وبالحرية في تناولها . وتجدر الاشارة الى أن الذين يعدون برامج تبسيط العلوم ينبغى أن يلموا بالمادة العلمية . لكن معرفتهم هذه لا تكفى لخلق نظام جديد حقا في تبسيط أى فرع من الفروع العلمية ، وهنا لا نستطيع أن نستغنى عن خدمات ابرز الخبراء الملمين تمام الامام بالمادة . ولذلك فمن الضرورى أن يعمل في كل برنامج من برامج تبسيط العلوم احد العلماء في تعاون مع المحرر والمخرج والفنان منذ البداية حتى النهاية . وبخلاف العمل الاذاعى التقليدى الذى ينتهى فيه دور المؤلف منذ لحظة تسليم النص للاستديو ، نجد أن دور العالم أو المتخصص يستمر طوال الوقت حتى يتم ارسال البرنامج . وعادة يتم وضع تخطيط عام للبرامج مسبقا . وفي الوقت نفسه يتم تحديد المطالب الميتودولوجية بصورة ادق ، وتوضح الاسئلة ونقاطها المقابلة ، ويتحدد هدف كل مستمع تحديدا دقيقا ، وتتسم باستمرار مراقبة التنسيق بين السامع ، ويحدد المخرج الفنى بالتعاون مع المؤلف المتخصص مسامع التوتر لكل مسمع . وهذه العملية باللغة الالهية . فالمخرج مسئول عن ايجاد افضل الحلول من حيث الفعالية والتأثير بالنسبة لاهم المسامع ، وتتحدد التفاصيل فيما بعد ، وخلال العمل يعالج كل مسمع وكل جزء موضوعه .

ولقد ذكر « أرنهيم »^(١٤) الذى كانت له دراسات عن السينما والراديو أن الاستماع الى الراديو يسهم في نقل الحديث والموسيقى بطريقة ممتازة ، وكلاهما من نتاج الروح

ولا يهتم كثيرا بالحقائق المادية وفي هذه الميزة ما يشير الى نجاح الاستخدام الدرامى في تبسيط العلوم من خلال برنامج « أدب الخيال العلمى » مثلا ، ذلك أن أصوات الحياة تحتاج الى معلق أو مفسر لكى تصبح قابلة للفهم ، ومن هنا فإن الراديو — بالنسبة لارنهم — يعتبر وسيلة رمزية من حيث الأفكار والمشاعر المجردة التى يمثلها ، فى حين يقدم التلفزيون من ناحية أخرى تجربة فورية ذات نوعية مرئية .

والواقع أن استخدام الدراما الاذاعية فى البحث عن الحقيقة العلمية وإثارة التساؤلات ومحاولة /إجابة عنها تشير إلى عدد من الأمور التى تستحق الانتباه فيما يتعلق بموقف المستمع من البحث عن الحقيقة ، وأول هذه الأمور هو أن مجالات المعرفة واسعة الى أبعد حدود الاتساع ومتنوعة الى أبعد حدود التنوع . والظاهر أن الإنسان مدفوع الى ارتياد هذه المجالات الجديدة برغبته فى إشباع فضوله الطبيعى للتعرف على أسرار هذه الكون ثم استخدام تلك المعارف المتنوعة فى السيطرة على تلك الظواهر والتحكم فيها واستغلالها لصالحه الخاص . إلا أن هذه الجهود المتكررة المتجددة للبحث عن الحقيقة تخرج المستمع للبرامج الثقافية بعامة عن العزلة التى يخلقها التخصص الذى يعتبر إحدى سمات العصر الحديث .

وكما يقول Joseph Royce فى كتابه The Encaculated Man أن التخصص هو الذى يجعل عشرين (اخصائيا) مثلا يشتركون معا فى صنع حذاء واحد بدلا من أن يقوم صانع واحد ماهر بصنع الحذاء كله ، كما كان يحدث فى الماضى ، كما أن التخصص هو الذى يؤدى الى تقسيم المعرفة وتجزئتها بحيث نجد مثلا أن هناك الآن فى صناعة البترول ٣٧٥ عاملا مختلفا ، وفى صناعة النسيج ١٨٥ عاملا متخصصا ويصل هذا الى حد تتعدد معه الخطوات والمراحل التى يجب أن تمر بها السلعة الواحدة قبل أن يتم صنعها ، وهذا نفسه يصدق على المعرفة فى أوسع معانيها إذ يؤدى التخصص فى آخر الأمر الى الانغلاق داخل (كبسولة) أو قوقعة من صنع الإنسان نفسه بحيث لا يكاد يرى الا جانبا ضئيلا جدا من المعرفة الواسعة الرحبة المتشعبة العميقة وإن ينظر الى الأشياء من تلك الزوايا الضيقة المتخصصة مما يؤدى به فى النهاية الى العجز عن الاحاطة الشاملة بأى من المشكلات التى تعرض له ، أو أن يعالج أى موقف معالجة عامة شاملة ، وإن كان هذا لا يمنعه فى الاغلب من أن يصدر احكاما عامة — غالبا ما تكون خاطئة وتلك المعلومات الجزئية البسيطة التى أتيح له أن يلم بها^(١٥) .

ولقد ارتبط التخصص ارتباطا قويا منذ البداية بالثورة الصناعية فى آخر القرن الثامن عشر ووائل القرن التاسع عشر ، وهو نفس الوقت الذى تفاضلت فيه العلوم بشكل قوى واضح لم يسبق له مثيل . وبدأت المعرفة تتفرع الى اقسامه الثلاثة الكبرى : العلوم

الطبيعية والعلوم البيولوجية والعلوم الانسانية والاجتماعية ، بل بدأت كل مجموعة منها تدخلها كثير من التفرعات والتخصصات بحيث انسلخت علوم برمتها من كل علم من العلوم السابقة ، وبدأ كل علم فرعى يتفرع بدوره تفرعات عديدة بحيث أصبح من العسير الاحاطة بكل هذه التفرعات مما اقتضى ضرورة التخصص^(١٦) . وهذا وحده كليل بأن يعطينا فكرة عن حجم المشكلة التى تواجه البرامج الثقافية فى الاذاعة ، ونعنى بها الاحاطة بكثير من مجالات المعرفة .

والمعروف أن الصراع بين العلم والانسانيات يرجع الى ما قبل عصر النهضة فى أوربا ، وهو صراع افلح فى أن يجرف رجال الكنيسة الكاثوليكية الذين اضطهدوا العلماء ورجال الفكر العلمى ، ووصل هذا الاضطهاد الى حد اعدام عدد منهم الا أن هذه الفترة لم تلبث أن انتهت فى القرن السابع عشر والثامن عشر (عصر العقل The Age of Reason) حين امكن التقريب بين (الثقافتين) أو على الاقل الملاءمة بينهما بحيث وجدت بعض العناصر العلمية سبيلها الى الادب ، وأمكن بذلك التعبير عنها تعبيراً ادبياً رائعاً ، وذلك قبل أن يبدأ عصر الثورة الصناعية الذى ادى الى التباعد من جديد بين الاثنين وهو تباعد اتخذ فى احيان كثيرة صورة الصراع^(١٧) .

ولقد انتبه « سنو » الى هذا الوضع المأساوى الناجم عن تلك التباعد بين العلم والانسانيات ، خاصة وأنه هو نفسه جمع فى تكوينه الفكرى بين الناحيتين باعتباره متخصصاً فى الفيزياء من ناحية ، واحد كبار كتاب القصة فى بريطانيا من ناحية أخرى ، وتعرض « سنو » فى كتابه الذى اشرنا اليه الى تلك الهوة العميقة التى تفصل بين العلماء ، وبخاصة علماء الفيزياء وبين من يسمون انفسهم « اهل الفكر » وبخاصة الادباء الذين يعتبرون العلماء فئة ممجوجة من البشر ، يركبهم الغرور على الرغم من فراغ عقلياتهم وضيق افق وسطحية تفكيرهم وان كانوا لا يتورعون فى الوقت ذاته من اتهام (اهل الفكر) بقصر النظر وافتقارهم الى العقلية التحليلية العميقة . والادعى من ذلك . فى نظر سنو أن المتخصصين فى فروع العلم المختلفة لا يكادون يتابعون منجزات زملائهم فى الفروع الاخرى ، أو يفهمون ما يقومون به من بحوث ، فعلماء البيولوجيا مثلاً كثيراً ما لا يعرفون سوى القليل عن الفيزياء المعاصرة رغم اتفاق العلماء جميعاً الى حد كبير فى الاتجاهات والمستويات والانماط السلوكية والفروض والاساليب الفنية للبحث أى رغم اشتراكهم جميعاً فى « ثقافة » واحدة ومن الطريف أن « سنو » يذكر أنه أثناء الحرب العالمية الثانية كان عليه أن يتخير حوالى ثلاثين أو أربعين الفا من العلماء والمهندسين والفنيين ، وأنه رغم اعجابه بحصيلتهم العالية فى فروع تخصصهم فقد هاله جهلهم بالثقافة الادبية ، وان كان

يعترف في الوقت ذاته بأن عددا كبيرا من خيرة العلماء على دراية واسعة بالادب وبالمشكلات التي تعرض لها الادباء والمتخصصون في الدراسات الانسانية بوجه عام (١٨).

وهذه ذاتها ناحية اشار اليها رجل من أكبر مؤرخي الفن في بريطانيا في الوقت الحاضر وهو الاستاذ جومبريتش اذ يقول في مقال طريف بمجلة Daedalus (ربيع عام ١٩٧٣) انه عاصر الوقت الذي كان فيه جيل الاطباء والمحامين والموظفين العموميين ورجال المال يقرءون الكلاسيكيات على أنها امر مسلم به في تربيتهم واعدادهم ولكن يبدو أن ذلك العصر قد ذهب وانقضى ولم يعد العلماء يهتمون كثيرا بهذه الامور ، لان تخصصاتهم ادت بهم الى الانغلاق والانعزال .. ومن الطريف أن جومبريتش يرى أن الدعوة الى ضرورة اطلاع العلماء على ذلك التراث الثقافي الواسع المتنوع يحمل في ثناياه التنبيه إلا أن المجتمع لم يعد يقدر تراثه وقيمه القديمة ، وأنه طالما كان المجتمع وثاقا ومتأكدا من القيم السائدة في حضارته فان الاحساس بضرورة الاتصال بتلك الرموز والآثار التي تنتمي الى الماضي يكون احساسا قويا ولا يحتاج للمناقشة أو الجدل . بل يتقبلها الناس كأمر مسلم به وتصبح جزءا من تربيتهم وتنشئتهم الاجتماعية والعلمية ، وهو مالا يحدث الآن في كثير من الاحوال .

ولكن الطريف حقا في هذا الصدد أن جومبريتش يرى أن كلمة « المعرفة » بكل ما تحويه من اتساع وتنوع تصدق على الانسانيات والعلوم الاجتماعية اكثر مما تصدق على العلوم الطبيعية المختلفة ، كما أن التخصص في فرع من فروع الانسانيات كثيرا ما يحتاج الى معرفة واسعة ببقية الفروع ، واطلاع واسع على منجزاتها ، فلو اخذنا تاريخ الفن مثلا فسوف نجد أن كثيرا من الصور والرسوم التي رسمها كبار الاساتذة الفنانين من أمثال مايكل انجلو وأوتيسيان لن يمكن فهمها فهما عميقا الا اذا كنا على معرفة وثيقة بالاساطير اليونانية القديمة ، لأنها تسجل لمثل هذه الاساطير ، اذ على الاقل تظهر منها بعض شخصيات آلهة اليونان على شكل ممسوخ يصعب فهمها وتفسيرها الا في ضوء تلك الاساطير كما هو الحال مثلا في صورة أوتيسيان عن « يوروبا فوق ظهر الثور » . والامر يحتاج على اية حال الى دراسة تاريخ الرسم دراسة متعمقة لكي نفهم هذه الصور بقدر ما يتطلب معرفة الرموز التي كانت تسود حضارة من الحضارات (١٩) .

الا أن المسألة مع ذلك ليست مجرد دعوة الى فرض الانسانيات على العلماء أو القيام بأية محاولة لادخالها الى عقولهم عنوة بقصد « تمدينهم » ورفع مستواهم الفكري والثقافي — حسب تعبير الاستاذ ايزيا برلين Isaiah Berlin فالعلماء قوم اذكاء كما يقول

« سنو » ولهم ثقافتهم الرائعة الصعبة حتى وان كانت هذه الثقافة تخلو من معظم الفنون باستثناء الموسيقى ، حتى وان لم تكن القراءة أو الاستماع للانسانيات في البرامج الثقافية تستهويهم أو تروق لهم ويلاحظ برلين أن هذا نفسه يصدق على الكثيرين جدا من الادباء والمتخصصين في فروع الانسانيات بل والعلوم الاجتماعية ممن يأخذون على العلماء الطبيعيين جهلهم وضيق أفقهم مع أفقهم هم أنفسهم لا يكادون يعرفون شيئا عن بعض النظريات الهامة السائدة في العلوم الطبيعية أو حتى بعض المبادئ والقوانين الأساسية مثل القانون الثانى للديناميكا الحرارية ، وهو فى رأى سنو احد البدهيات فى العلم التى يمكن مقارنتها بقراءة اعمال شكسبير — فالادباء بل إن « سنو » يذهب فى تدليلاته الساخرة على جهل الادباء بالعلم الى حد أن يقول انه لو سأل هؤلاء الادباء سؤالاً بسيطاً جداً مثل : ما الكتلة ؟ أو ما هو التسارع ؟ وهو سؤال يعادل فى العلم السؤال : هل تعرف القراءة ؟ فسوف تكون النتيجة مفاجئة .

والواقع أن البرامج الثقافية بشقيها : الانسانيات والعلوم مطالبة بمواجهة مشكلة الحواجز التى تفصل بين التخصصات العلمية الدقيقة والتى تفرق بين خاصة المثقفين ، بمعنى أن وظيفة البرامج الثقافية فى الاذاعة يجب أن تكون هى معاونت المتخصصين على الانفتاح على العلوم الاخرى وفهم مناهجها واساليبها والتعرف على منجزاتها دون أن يتعارض ذلك مع التخصص الذى هو بلا جدال سمة العصر ان البرامج الثقافية تهدف الى مساعدة المستمع رغم تخصصه — على البحث عن الآفاق الارحب للمعرفة ، لان الاستزادة من المعارف المختلفة كفيلا فى حد ذاتها بتحقيق مزيد من انسانية الانسان .

تبسيط العلوم فى صوت العرب :

ويقدم صوت العرب ضمن برامجه الثقافية برنامجين لتبسيط العلوم هما : —

١ — برنامج اقتصاديات .

٢ — برنامج عالم الغد .

ويستهدف هذان البرنامجان تقديم المعرفة العلمية فى شكل مبسط للمستمع العربى ، ومن خريطة البرامج الثقافية فى صوت العرب يتضح ان حجم تبسيط العلوم فيها اقل مما ينبغى ، سيما وان المعرفة العلمية مستمرة فى التضخم والنمو بمعدلات مطردة وإمكاناتها التكنولوجية لا حدود لها ، ذلك ما تنبأ به فرنسيس بيكون عندما قال : « ان المعرفة فى حد ذاتها قوة » وكان « فونتيل » أكثر تحديدا عندما أعلن فى نهاية القرن الثامن عشر أن (تطبيق العلم على الطبيعة سينمو نموا متزايدا من حيث المدى والتركيز وسينتقل بنا من اعجوبة الى اخرى حتى يأتى اليوم الذى ... سنتمكن فيه من الطيران الى القمر (٢٠) » .

وهناك خاصية هامة تختص بها برامج تبسيط العلوم وهي انه حتى الذين لم يتلقوا اوليات العلم ، وحتى الذين يعارضون العلم فكريا ويرفضون قبول المنطق العلمى ، كلهم يمكنهم أن يستفيدوا وأن يستنفجوا بمباهج العلم العلمية . والامر ليس كذلك فى المجالات الاخرى غير العلمية فمباهج الموسيقى والوان السحر الكامنة فى الفن ومسرات الادب ، والتنوير الذهنى المرتبط بالفلسفة كل هذه الفوائد والمتع بعيدة بل محرمة على الذين لا ينفقون الوقت او لا يتحملون المشقات لكى يستوعبوا — ولو على الاقل اوليات الحقائق والخبرات فى مجال اهتمامهم . ولكن الامر ليس كذلك فى العلم سواء انفق المرء وقته على العلم او لم ينفق سواء ابدى اهتماما بدراسة العلم او لم يعبا به على الاطلاق ، فانه مع ذلك يستطيع أن يشارك فى جميع المزايا والفوائد والمتع التى أتاحت للانسان وتكدست لديه بفضل تقدم العلم وانجازات العلم^(٢١) عن طريق البرامج الثقافية .

هذه الناحية من نواحي العلم كان لها آثار تسترعى الاهتمام خاصة فى مسألة تغفل وانتشار العلم فى المجتمع ، فبينما تقدمت فروع العلم العملية وشعبه التكنولوجية لتسبق ماعداها فى كثير من المجتمعات فان المعرفة العملية لم تتقدم بدرجة واحدة فى كثير من بلدان العالم الاخذة باسباب التنمية الصناعية ، ومنها البلدان العربية التى يتوجه اليها صوت العرب . فهذه مثلا تحصد ثمرات العلم دون أن تتيح للجهد بصفة عامة فرصة الامام بالاسس العلمية التى قامت عليها هذه الثمرات^(٢٢)

وما دام الجانب الثقافى المجرد للعلم يلقي التجاهل والاعراض ومادامت خصائص العلم الجوهرية من حيرة ونزاهة وموضوعية لاتحظى بالاعتراف الجاد فان البرامج الثقافية فى صوت العرب ينبغى أن تولى عناية أكبر بنشر المعلومات العلمية العامة وتبسيط العلوم بهدف تنوير الجماهير العربية بطبيعة العلم وجوهره باعتبار العلم وجهة نظر فكرية .

ونخلص من ذلك الى أن الضرورة تقتضى اعادة النظر فى خريطة البرامج الثقافية لصوت العرب ، حتى يتسنى لبرامج تبسيط العلوم اشاعة الاسلوب العلمى فى التفكير العربى ، ولعل التعريف الذى وضعه « هكسلى » فى كتابه : « الانسان والعالم الحديث » يحدد لنا اهمية العلم وضرورته حين يقول « ان العلم عبارة عن ذلك النشاط الذى تحصل به على قدر كبير من المعرفة بحقائق الطبيعة حتى نتمكن من السيطرة عليها » .

ضرورة تبسيط العلوم :

هناك اتفاق عام على ان مقتضيات العصر الحاضر تحتم طريقا واحدا لمن يريد أن يكون له فيه مكان ، هذا الطريق هو الاسلوب العلمى فى منهج التفكير وفى أسلوب البناء

للكيان الاجتماعي الجديد ، وإذا كان الامر كذلك فان قضية تبسيط العلوم تصبح ملحة بشكل مستمر ، حتى يتحقق تعميق هذا الاسلوب لدى الجماهير العريضة في بلادنا .

وإذا كان من العسير وضع تعريف شامل للدولة العصرية ، فانه يمكن أن يقال بصفة عامة انها الدولة التي يبلغ فيها احترام الانسان غايته ، فيسمو بانسانيته الى اعلى مراتبها ، بسيادة الحرية والقانون والعلم أو على حد تعبير الاستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر^(٢٣) ، انها الدولة التي تسود وتقوى وتستعل بالعلم ، فتستغل مواردها العلمية ، وطاقاتها وإمكاناتها المادية والمعنوية الى اقصى حد ، ويرتفع مستوى الحياة بين افرادها الى اعلى مستوى ممكن ، وتفرض احترامها بين الدول جميعا سواء في ذلك الدول الصديقة وغير الصديقة . انها الدولة التي تطبق غالبية افرادها مستحدثات العلم والتقنية الزراعية والصناعة والاقتصاد والصحة والتعليم ، في المسكن والمأكل والمشرب والملبس ، والتي يبلغ غالبية افرادها مستوى كريما في العلم والخلق والنظافة والنظام والامانة .

انها الدولة التي ترعى افرادها وتؤمن حياتهم في مراحلها المختلفة صحيا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، وعلميا ، وأدبيا ، وفنيا ، واقتصاديا ، فينتشر الوعي العلمي الفنى ، ويكون للفنون اثرها الكبير في اشاعة القيم الجديدة وتعميق المفاهيم البتاءة انها الدولة التي ترعى العلم والعلماء ، وتخطط لحاضرها ومستقبلها على أسس علمية ، وتحتل بذلك مكانة مرموقة بين الامم والشعوب ، ويكون لها من القوة والمنعة ما يكسبها احترام الاصدقاء ورهبة الاعداء في السلم والحرب على السواء .

فاذا استعرضنا الدول التي تنتظمها هيئة الامم المتحدة ، وهى تمثل في الغالب دول العالم أجمع تقريبا . لوجدنا منها ما يقترب من الصورة التي حاولنا فهمها للدولة العصرية ، ومنها ما يبتعد عن تلك الصورة بدرجة كبيرة أو صغيرة ، وقد اصطلح على تسمية الاولى « الدول المتقدمة » والثانية « الدول النامية » وليس شك في أن الاولى تمثل قلة محدودة وأن الاخيرة تمثل الغالبية العظمى سواء من الناحية العددية أو السكانية ، وقد استغلت الاولى ودلت بعلمها وقوتها على الثانية — وكان لها — وما يزال من اسباب القوة ما جعلها تتحكم في مصائر الثانية .

ولعل هذا التقسيم للعالم هو ما اوحى للاستاذ « ولبورشرام »^(٢٤) بان يطلق على الدول المتخلفة : « الذين ليس عندهم » والدول المتقدمة : « الذين عندهم » والتخلف عند « شرام » ليس وصفا مهينا . انما هو يعنى أن النمو الاقتصادي « والتغييرات الاجتماعية التي ينبغى أن تصحب النمو الاقتصادي ، لم تجتز بعد نقطة معينة ووصف بلد بأنه نام وسام تشريف فهو يعنى أن الدولة اخذت على عاتقها أن ترفع نفسها بقوتها الذاتية من مرحلة التخلف الاقتصادي أن تحقق في عشرات من السنين قليلة ما كان يستغرق عادة فيما مضى قرونا كاملة^(٢٥) » .

ويضع شرام تمييزا عالميا^(٢٦) : ذلك ان الدول العالية النمو دخلت في تجربة الثورة الصناعية أو ما يماثلها . أما الدول المتخلفة فلم تفعل ذلك أو مرت عليها التجربة بشكل محدود أو في قطاعات محدودة فحسب من السكان . البلاد الاقل نموا في كثير من الحالات لم تكن مستعدة لثورة صناعية . مجموعة مواد التركيب العجيب الذى ساعد أوروبا في ثورتها الصناعية لم تكن ميسرة في كل مكان . في أوروبا الغربية كان الطريق ممهدا بفضل عصر النهضة أو احياء العلوم وبفضل الحرية السياسية الواسعة النطاق والتوسع السريع في التربية والتعليم ، ونمو التجارة ورأس المال ، والنسب المئوية الكبيرة من المقاولين والمجدين بين السكان ، هذا الى جانب الافكار المواتية للمجهود الذى يوشك أن يبذل . وصدرت الثورة سريعا الى الاوربيين المنقولين الى أمريكا الشمالية . ثم بعد ذلك الى استراليا ونيوزيلندا ، ثم بعد ذلك دخلت كل من اليابان والاتحاد السوفيتى والارجنتين في ثورتها الصناعية . وكان في تمكن بعض المتأخرين من تحقيق الصعود في مدة اقصر من المدة التى كان يستغرقها ذلك في القرن التاسع عشر ، وهى تتراوح ما بين ٧٥ ، ١٠٠ عام ، ماشجع الدول التى تتطلع بحسد الى عمالة الاقتصاد تشجيعا عظيما .

والامم المتخلفة في الوقت الحاضر — كما يقول شرام — اما أنها كانت بعيدة عن مركز الثورة الصناعية عندما كانت في اوجها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، واما أنها كانت في حالة يرثى لها فلم تستطع الاستفادة منها . هذه الامم الآن تدفعها الرغبة الشديدة لتعويض مافات . اننا نشهد فصلا دراميا في تاريخ العالم ، ثلثا شعوب الارض يتهيئون أو على الاقل يحاول قادتهم تهيتهم — للدخول في الثورة الصناعية . فاذا نجحوا فسيغيرون وجه العالم^(٢٧)

ويذهب شرام الى أن النفور من الاستعمار كان أحد الدوافع التى نشطت الضمير العالمى ... وكان للمواصلات المتطورة شأن في هذه الناحية كما عاينت على أن يعلم الذين « ليس عندهم » كيف يعيش الآخرون . وفي كل مكان زاد الفيض الملحوظ من تغطية وسائل الاتصال الجماهيرى للبلدان الجديدة وزاد السفر من البلدان المتقدمة زيادة كبيرة جدا كما أن القواعد العسكرية المقامة في اغلب الاحيان في اماكن غير مطروقة هيأت خلال الخمسة والعشرين عاما الاخيرة للشباب الذى لا يبرح بلاده بغير هذه الوسيلة ، هيأت له الفرصة لكى يرى كيف يعيش الآخرون وفي كثير من البلدان المتقدمة حولت النظم التعليمية اهتمامها وتركيزها من الماضى الى الحاضر وكان من نتيجة ذلك أن تحسنت تغطية عالم اليوم^(٢٨)

والى جانب هذه التطورات قام شعور عام بأن العلم نعمة من نعم الله لا ينبغي أن يفرد بها أحد ، وأنه شيء مختلف عن كنوز الدول العظمى فيما مضى من عصور التاريخ وأن العلماء ليسوا كالقراصنة والغزاة ، والعلماء انفسهم يشعرون بأن المعرفة شيء ينبغي أن يشترك . والمعرفة العلمية ليست كالأراضي تفقر الخزانة المركزية إذا زاد المنتفعون بها (٢٩) .

كل هذه العوامل مجتمعة أدت الى خلق هدف جديد لتبسيط العلوم بعد أن بدأ العلم يمسك بزمام مستقبل الانسانية كلها ، حيث أعطى لدول معينة ، وخاصة تلك التى يطلقون عليها اسم « القوى الكبرى » مقدرة هائلة على التدمير ، كما قدم العلم للجنس البشرى وسائل الحصول على قدرات انتاجية تتزايد باستمرار .

وعلى ضوء ما جد للعلم من خطورة أصبح لتبسيطه ونشره بين الجماهير وظيفة جديدة ، هى كما يقول «أى. رابينوفتش» مساعدة الأمم على قبول ما ستواجهه مستقبلا بسبب العلم ، وهذا أيضا من أجل بقاء الجنس البشرى على الأرض ، ثم لتفهم ما يستطيع العلم أن يفعله لوضع حد للجوع والفقر وكثير من الأمراض المنتشرة اليوم . وما كان يعتبر فى الماضى حلما يمكن أن يتحول فى عصر العلوم الى حقيقة واقعة ومن الأمور الحيوية أن تحصل الانسانية على ادراك كاف لامكانات العلم المدمرة والبناءة على السواء ، وهذا وحده هو الذى يستطيع أن يوفق بين التكوينات الاجتماعية التى ترتبط بظروف المعيشة الجديدة ، والظروف الجديدة للوجود الانسانى ، وهى الظروف التى لا يتوقف العلم أيضا عن تغييرها يوما بعد يوم؟ (٣٠) .

ذلك الهدف الجديد تقتضيه متطلبات العصر ، لان تبسيط العلوم فى الماضى كان له هدفان أساسيان ، وكان أولهما هدفا ذهنيا لاتاحه الفرصة للذين لم يحصلوا على تعليم علمى متقدم حتى يشاركوا فيما ينجزه البحث العلمى من أهداف العلم الكبرى ، وليفهموا الطريقة العامة عند البحث عن حقائق الطبيعة وليكتسبوا الاحساس بجمال التعبيرات النظرية للعلم الحديث أما الهدف الآخر فكان عمليا لمهنيين بالمعلومات التى يمكن أن يستعملوها فى عملهم ، وليساعدهم على فهم معانى التطورات العلمية الجديدة التى تدخل فى اختصاصهم فور وقوعها فيشرح للطبيب مثلا عن طريق التبسيط العلمى الحقائق الجديدة التى يكتشفها علماء الأحياء ويشرح للمهندس ما يصل اليه علماء الطبيعة فى خواص الجوامد (٣١) .

أما الهدف الجديد ، فقد أدى اليه تطور القنبلة الذرية الحرارية والصواريخ البعيدة المدى التى تعبر العالم ، ذلك انها تجعلنا جميعا نعيش تحت رحمة الرجال الذين يضعون

اصابهم في مكان ما بعيدا عن هذا العالم على اضرار يمكن بضغط واحدة منها أن تنطلق القنابل النووية المتفجرة .

وغير هذه الصواريخ برؤوسها النووية هناك اسلحة الدمار العلمية الاخرى ، التي منها الاسلحة الكيميائية والميكروبية . وباجتماع هذه الاسلحة كلها ، من القنبلة النووية الحرارية الى الصواريخ البعيدة المدى والكيميائية والميكروبية ، يمكن للقادة في بعض الدول تدمير الحياة البشرية كلها ، وكذلك الحياة الحيوانية في قارة كاملة من القارات ، وان يطلقوا من الاشعاعات الذرية مايكفى لشل صور الحياة النباتية الراقية . ولا يبقى لدى البشر من أمل في البقاء الا ما تنتظره مما بقى من تقاليد ، سواء عند الامم أو عند قوادها ، حتى في أصعب الازمات السياسية^(٣٢) وسوف يظل العالم تحت تهديد الابداء الشاملة هذه في المستقبل ، وسوف يظل بقاء الانسان على الارض مرتبطا بشرط واحد هو عدم استعمال هذه الاسلحة^(٣٣) .

وقد ادرك العلماء عند تطوير القنبلة الذرية اثناء الحرب العالمية الثانية خطورة دخول هذا السلاح على البشرية ، وحذروا حكومة الولايات المتحدة في تقرير صريح اصدره في يونيه ١٩٤٥ بينوا فيه خطورة استعمال القنبلة الذرية الاولى كسلاح في الحرب ضد اليابان ، ولم يلق هذا التحذير اذنا صاغية ، واستعملت القنابل الذرية ضد الشعب الياباني ، وبعد استعمالها بدا سباق الاسلحة النووية بين القوى الكبرى يظهر في الوجود .

على أن التحدى الثانى الكبير الذى تواجهه البشرية نتيجة للثورة الصناعية الحالية هو التحدى الذى جعل ثلثى العالم بلا موارد معقولة ، ومع الذين يتزايدون عددا ويزيدون فقرا هناك نحو ثلث العالم ينعمون بالثراء الجيد ، ويزدادون ثراء يوما بعد يوم ، نتيجة للاستفادة من إمكانات الانتاج الهائلة التى وضعها العلم تحت تصرفهم .

ويزيد الموقف سوءا بالانفجار السكاني الذى تعاني منه الدول التى تزداد فقرا بعد أن انخفضت نسبة وفيات الاطفال نتيجة للتقدم الطبى والرعاية الصحية للامهات والمواليد على السواء ، ونتيجة لقلة خطورة الامراض المعدية والوبائية ، ومنها الملاريا التى كانت تتسبب في نسبة عالية من الوفيات ، ونتيجة لتضاعف فرص الحياة خلال جيل واحد بعد زيادة استخدام المبيدات الحشرية ، وانعكس هذا كله على زيادة السكان في دول كثيرة من العالم الثانى زيادة كبيرة تتراوح بين ٣ ٪ ، ٤ ٪ سنويا ، وأصبحت المشكلة الرئيسية لدولة كبيرة كاليهند هى حفظ التوازن بين الزيادة في الانتاج الزراعى والزيادة في السكان ، وهو السباق الذى يخسره دول أخرى يوما بعد يوم^(٣٤) .

بالنسبة

ونتيجة للثورة العلمية تغيرت مفاهيم شعوب كثيرة بالنسبة للكوارث والفقر والموت المبكر ، بعد أن تفتحت العيون والأذهان ، وسمعت وشاهدت ولست اختراعات كثيرة حديثة ، كالراديو والتليفزيون والطائرات وتفتحت العيون في كل مكان على أن هناك سبلا أخرى للحياة أغنى وأسعد حالا ، وتصورت مدى ما يمكن أن يحققه الرخاء المادى من السعادة ، وهذا مايسميه « رابينوفيتش » ثورة التطلعات المتصاعدة — وأصبح الايمان بقدرية الفقر والمرض والكوارث موضوعا للمناقشة ، ونتجت عن الثورة العلمية ثلاث ظواهر :

للمناقشة

في

١ — تصاعد ظاهرة في القدرة الانسانية فيما يختص بزيادة الانتاج الزراعى والصناعى .

٢ — زيادة في السكان تهدد بالانفجار السكانى .

٣ — ثورة في التطلعات المتصاعدة .

وليس من شك في أن « العلم » بمعناه « الحديث » ، ممثلا في العلوم الطبيعية والاساسية من كيمياء وطبيعة ورياضيات وفلك وجيولوجيا ونبات وحيوان وتطبيقاتها في الزراعة والطب والهندسة والصيدلة والبيطرة . ومايتفرع عليها من وسائل تكنولوجية وآلية تستغل في التصنيع ورفع كفاية الانتاج الصناعى والزراعى ، هذا العلم يمثل المحور الرئيسى الذى يدور حول تقدم الدولة العصرية ، انه السلم الذى تستبِق الدول العصرية في ارتقاء درجاته ، على حد تعبير الدكتور عبد الحليم منتصر ، لتتسم فري المجد والقوة والرفعة ، وارتياح اسباب المنعة والعزة والسؤدد .

ذرى

الدولة العصرية ومنهج العلم :

ولعلنا نجمل القول في هذه الدول العصرية ، حين نذكر انها اتخذت العلم والبحث العلمى وسيلة ومنهاجا في كل ما تأخذ وما تدع من أمور ، في كافة شئونها العسكرية والسياسية والاقتصادية ، انها تشجع البحث العلمى وتنفق عليه بسخاء ، لاتضييق عليه بمال ، وبذلك تطبق كل نتائج البحث العلمى في كافة شئونها وطبيعى انها تستغل كل مواردها العلمية والبشرية في استغلال مصادرها وثرواتها واستنباط طاقاتها . ولسنا بحاجة الى القول ان مثل هذه الدول لا مكان فيها للامية والاميين ولا تميز فيها بين تعليم الرجل والمرأة ، وانما تنهض الدولة نتيجة لجهود ابنائها جميعا ، ثم أنها تخطط علميا للمستقبل القريب والبعيد فلا تدهمها مشكلة لم تكن اعدت لها كل الحلول الممكنة .

مكان الدول العربية من الدول العصرية :

بقى أن نلقى نظرة على دولنا العربية ومكانها بالنسبة لهذه الدول العصرية ، ومن المعروف أن الامة العربية ، كان لها دور قيادي في النهضة العلمية العالمية ، وفي ذلك يقول « نهرو » لكن العرب امتازوا بهذه الروح العلمية ، مما جعلهم يدعون بجدارة آباء العلم الحديث . وكان الخلفاء يرحبون بأهل العلم والفن وكانت بغداد تفوق أوربا باستثناء اسبانيا العربية والاندلس ، في مضمار الادارة والتجارة والعلوم^(٣٦) وفي الحق أن العلم والعلماء قد لقوا كل رعاية وتقدير في العصر الذي يشير إليه « نهرو » حين كان الحكام والولاة يتنافسون في رعاية العلم والعلماء ، وتاهت العواصم العربية على مدائن العالم بجمهرة من العلماء يزدهى بهم العلم في كل عصر وآن ، وبعدد من المعاهد ودور العلم والمساجد التي كانت تؤدي ما تؤديه الجامعات في العصر الحاضر . وفي ذلك يقول « ابن جبير » كان في بغداد وحدها ثلاثون مدرسة كل منها يقصر القصر البديع عنها ، ويقول المستشرق « لين » جاء وقت على مصر ، كان كل طالب علم ، يجد مكانا يتعلم فيه ، ومعلما يعلمه وراتبا يقوم بأوده ... وكذلك ازدانت بغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة بدور العلم ومدارسه . وسطع في سماء الحضارة العلمية العربية عدد من العلماء يقرنون الى اعظم العلماء ... فما الذي بدلنا ونقلنا من حال الى حال ، وجعلنا نشكو ونحن في الثلث الاخير من القرن العشرين كما يقول الدكتور منتصر ، من امية مازال خطرهما يستشري في الدول العربية وذلك رغم المحاولات التي تبذل لمحو الامية هنا وهناك ؟ وما اظننا مغالين اذا قلنا ان نحو نصف سكان هذه البلاد ما زال يسبح في بحر الامية الواسع ، فكيف به يتقبل مستحدثات العلم والتكنولوجيا ، دع عنك المشاركة والاسهام في بنائها ان الجهود التي تبذل لزيادة اعداد المتعلمين تقابلها زيادة مضطردة في اعداد السكان ، مما يجعل اعداد المتعلمين تقابلها زيادة مضطردة في اعداد السكان ، مما يجعل اعداد الاميين في تزايد مستمر ، اذ ان هناك اضافة مستمرة الى رصيدها . اما عن نوعية التعليم وكيفيته في هذه المرحلة ، فهو كما يقول الدكتور منتصر ايضا ، ما بين نجاح مشوه الى نقل آلى ، مما يؤدي الى نوع آخر من الامية لعله اخطر من الاول .

والسؤال هو : ماذا يستطيع العلم أن يقوم به لمواجهة هذه التحديات وليحل المشكلات التي خلقها العلم نفسه من جانب آخر ؟

هناك ميدانان رئيسيان لتبسيط العلوم في المجتمع ، اولهما ميدان التعليم والثاني ميدان الاعلام العام .

أما ميدان التعليم فلن نخوض فيه كثيرا ، اذ ثمة دراسات واسعة مستفيضة تعالج هذا الميدان الحيوى الخطير وتتناول نظم التعليم وضرورة تطويرها بما يلائم العصر الحديث الذى يتغلغل فيه العلم فى كل صغيرة وكبيرة من حياتنا ، وتركيز الاهتمام على القطاعات العلمية التى تحتاجها البلاد وتخريج الاعداد المناسبة من مختلف المؤهلات والمهارات بما يتفق مع المراحل المتتالية لخطة التنمية والتطوير .

أجهزة

على أن الميدان الثانى وهو ميدان تبسيط العلوم للشعب عامة عن طريق أجهزة الاعلام ، يرتبط بالسياسة التى تتبع فى تقديم العلم للشعب .

ذلك أن بعض الاتجاهات التى اتبعت فى هذا الصدد ، تذهب الى أن — تقدم الموضوعات والفتوحات العلمية بما يكشف عن روعتها وغرابتها ، على أن هذا الاتجاه — كما يقول الدكتور الحارونى — لا ينبغى أن يكون غاية فى ذاته بل ينبغى أن يستخدم كوسيلة لاجتذاب الجماهير واستمالتها للاستطلاع ومعرفة المزيد اما الاتجاه الآخر فيركز اهمية خاصة فى ابراز تصور العلم وعجزه ، ويعتق هذا الاتجاه بعض المتدينين الذين يهدفون الى نشر وتعميق الايمان بالخالق بالكشف عن ضعف الانسان حيال القدرة العلوية . اننا يجب أن نعامل هذا الاتجاه بحذر شديد وخاصة فى بلادنا العربية التى لا تعوزها الدعوة الروحية .

ان استعراض العلم على المستوى الشعبى فى مواجهة الديانات امر حساس خطير ، على أن تبسيط العلوم يجب أن يكون هادفا ويجب أن يفيد المواطن من وعيه العلمى عقلية ومنهجيا يساعده ليس فقط على التفهم الصحيح لامور الحياة بل يرفعان كذلك من قدراته على التحسين والاجادة فى عمله ، والتبسيط السليم للعلم يزين جوانب الحياة وماينفع الناس ، ويشجب جوانب الاساءة ، ويكون المجتمع بذلك قوة موجهة نحو الخير ومعارضة وممانعة لكل شر أو هلاك .

ملخص :

ونخلص من هذا الاستعراض السريع الى عدة اهداف يجب أن تتبناها البرامج الثقافية فى تبسيط العلوم وهى : —

أولا : تذكير الدول التى يصدر الاعلام فيها بأن العالم كله يعيش فوق مخزون بارود ذرى ، يضاف إليه مواد متفجرة يوما بعد يوم ، ولا يستبعد انفجاره يوما ما نتيجة قرار واحد من الزعماء السياسيين .

ثانيا : استمرار ضغط العلماء على الحكومات والهيئات التنفيذية ، ليبقى للعلم والعلماء مكانتهم ودورهم المحايد في التعاون الدولي لحل مشاكل التنمية العالمية ، للوصول بالانسانية كلها الى مستوى معقول من المدنية والتقدم ، بالاعتماد على العلم والتكنولوجيا .

ثالثا : يصبح واجبا على العلماء تبسيط العلوم لتعليم الناس ولتربية البشرية على الحياة في العالم الجديد الذي خلقتة الثورة العلمية .

وليسست هذه الواجبات اعمالا طارئة يخصص لها وقت عابر ثم تنتهى ولكنها مسئولية النشر العلمى وتبسيط العلوم والاستمرار فيه الى المستقبل الطويل .
ولا يكفى للاقتناع بالعلم وبدوره — كما يقول رابينوفتش^(٣) مجرد شرح تركيب المفاعل النووى أو الصاروخ البعيد المدى ، أو شرح التركيب الكيميائى لجزيئات الجينات الحاملة للوراثة في الخلية الحية أو كيفية تأثير دواء جديد^(٣٧) .

وليس الهدف من نشر الوعى العلمى مجرد المتعة الذهنية والاثارة العقلية للناس بأخبار الاختراعات والاكتشافات ولكن النشر العلمى هدفه الاكبر هو نشر أسلوب تعاليم تعايش الدول والحكومات مع منجزات العلم الكبيرة ، ومع الحياة التى لامفر منها مع متطلبات عصر العلوم .

منهج البحث ونتائج التحليل

تقدم الباحثة في الصفحات التالية ، منهج تحليل المضمون الذي اتخذت منه منهجا لبحثها في البرامج الثقافية ، فتتحدث عن فئات التحليل وخصائصها سواء أكانت فئات المضمون ، أم المصادر والشكل واللغة ، ثم تتحدث عن كيفية اختيارها لعينة البحث ، ووحدات القياس المستخدمة ، ثم التحليل الكمي للبرامج الثقافية والنتائج التي أسفر عنها تحليل المضمون للافتراضات التي طرحت في مدخل هذا البحث ، ثم تقدم بعد ذلك ، خلاصة البحث والتوصيات التي أسفرت عنها نتائج تحليل المضمون .

خاتمة

منهج البحث :

اعتمد هذا البحث ، كما تقدم ، على أسلوب تحليل المضمون ، كأسلوب محلي يستخدم لوصف مختلف أوجه مضمون الاتصال بأسلوب مختصر ، بل وللتنبؤ بعدد من الوقائع أو الاحداث من خلال البرامج الثقافية في الاذاعة المسموعة ، كما تحاول الباحثة هنا أن تجيب على التساؤلات التي افترضها البحث :

أولا : فئات التحليل وخصائصها :

وتحاول الباحثة هنا أن تحدد مادة التحليل وخصائصها الهيكلية ، تأسيسا على أن تحليل المضمون أسلوب لوصف المضمون الظاهر للرموز المستخدمة في الاتصال بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل للبرامج الثقافية ، وهذه الفئات تنطوي على الاجابة على سؤالين هما :

١ — ماهو مضمون البرنامج الثقافي ؟

٢ — كيف قيل ؟ (الشكل) .

وقد حاولت الباحثة أن تضع مادتها في « الفئات » تمهيدا لتحويلها الى صياغة رقمية لكي تتمكن من عد الجوانب ذات الدلالة في الشكل والمحتوى وقياسها ومقارنتها ، بهدف تحليل مضمون البرامج الثقافية التي قدمتها اذاعتا : البرنامج العام وصوت العرب خلال الدورة الاذاعية : ابريل - يونية ١٩٧٨ ومناقشة الافتراضات التي طرحت في مدخل هذا البحث .

١ — فئات المضمون :

وتأسيسا على هذا الفهم ، فان فئات المضمون تضم :

فئة موضوع الاتصال ثم فئة المصدر الثقافي للبرنامج .

١ (فئة موضوع الاتصال :

وتتحدد هذه الفئة من خلال البحث عن الموضوعات التي تدور حولها البرامج الثقافية ، وتضم هذه الفئة :

١ — الثقافة الادبية :

ويقصد بها ماتقدمه الاذاعة من فنون الادب . والادب ينقسم بوجه عام الى شعر ونثر^(١) وبالرغم من وضوح هذا التقسيم الا أن هذا الوضوح ظاهري فقط ، ويتبين ذلك عندما ننظر في الاساس أو الاسس التي تفصل بين الشعر والنثر . ويلاحظ أن واضع نظرية الفنون الادبية الفيلسوف أرسطو في كتابه « الشعر » - لم يرقى « النظم » أى في موسيقى الشعر مقياسا للتمييز بين الشعر والنثر ، وإنما يذهب الى اعتبار المضمون لا النظم مقياسا للتفرقة ، وان كان رأي أرسطو لم تكتب له الغلبة على الرأي المضاد الذي لا يزال يؤكد حتى اليوم أن النظم أى الموسيقى الشعرية المحددة المعالم هي التي تميز الشعر عن النثر^(٢) كما تضم هذه الفئة تذوق الجمال والسلاسة في اللغة العربية .

الطبيعية

ويقصد بها تبسيط العلوم الطبيعية والكيميائية والانسانية وتطبيقاتها في الحياة بهدف التقريب بين اصحاب الثقافتين العلمية والادبية (٣) .

ومن الواجب أن تتصف مواد الثقافة العلمية التي تقدم للجمهور بالبساطة والتبسيط ومن الواضح أن تبسيط المعرفة العلمية لا يعنى اختزالها ، وذلك لما هو معلوم من أن المعرفة المختزلة المبسرة قد تكون أكثر ضررا من الجهل (٤) ، على حد تعبير الدكتور مندور :

٣ — الثقافة الفنية :

ويقصد بها التكامل الذى يحققه الراديو مع أجهزة الثقافة والفنون ، والترويج لهذه الاجهزة الثقافية والفنية بهدف ربط المستمع ، بحيث تواجه الاذاعة اعتراضات انصار الثقافة العميقة والتربية الفردية ، والتي تتلخص في خطر المنافسة بين الراديو وأجهزة الثقافة والفنون ، فهل تتكامل الاذاعة مع السينما والمسرح والصحف والمجلات والكتب والفنون التشكيلية والموسيقى والمتاحف ، ليفيد المستمع من فعالية كل منها ؟ هل تسهم الاذاعة في تنمية الوعى القرائى ، ام انها تقضى على الكتابة كوسيلة اساسية للتثقيف ؟ هل تساهم الاذاعة في دفع المستمع الى التثقيف الذاتى وتهيئته له ؟

٤ — الاحاديث والمعارف العامة :

ويقصد بها ما تقدمه الاذاعة من احاديث وندوات تقدم للمستمع زادا من المعارف العامة ، تتسم بالبساطة والتبسيط ، وهذه الاحاديث والندوات تبسط المعرفة للمستمع (٥)

(ب) اما فئة المرجع والمصدر :

فهى تشير الى المصدر الثقافى الذى استقى منه البرنامج مادته ، فهل المادة الثقافية من مصر ام انها من البلاد العربية ام من البلاد الاجنبية ، وذلك بهدف التعرف على نسبة المحلية والقومية في الاذاعتين موضع التحليل ، على النحو المبين في الافتراض رقم (١)

النحو

٢ — ١ — فئة شكل البرنامج :

ويقصد بها اساليب اداء وتنفيذ وصياغة البرامج الثقافية ، فهل شكل البرنامج الثقافى : الحديث — الندوة — الحوار — الشكل الدرامى — المسابقات — شكل المجلة الاذاعية الخ ..

وتحاول هذه الفئة أن تجيب على الافتراض الخامس على النحو المتقدم .

ب - فئة لغة البرنامج :

فهل اللغة التي تؤدي بها البرنامج الثقافي هي اللغة العربية الفصحى ام العامية ام العامية والفصحى معا ، وذلك بهدف الاجابة على الافتراض الرابع .

ثانيا : اختيار العينة :

ولعلاج صعوبة الاتساع الزماني ، فقد اقتصر مجتمع الدراسة في تحليل المضمون على البرامج الثقافية التي قدمت في الدورة الاذاعية التي بدأت من ابريل ١٩٧٨ - يونية ١٩٧٨ . وذلك استنادا الى أن المؤتمر العام للثقافة والاعلام في دور انعقاده الثاني ٢٢ - ٢٧ مارس ١٩٧٨ ، قد قرر « ابتداء من دورة ابريل الاذاعية ، زيادة كثافة المواد الثقافية في كافة الخدمات الاذاعية » .

وكانت المشكلة التي واجهت الباحثة في اختيار العينة هي تحديد تواريخ البرامج المختارة للدراسة ، وقد تمكنت من حل هذه المشكلة باختيار العينة الشائعة في تحليل مضمون الصحف او الاذاعات اليومية^(٦) وهي التي تعتمد على اختيار عينة من ايام النتيجة ، فقامت « ببناء » فترة زمنية من التواريخ الموجودة في النتيجة ، تأسيسا على الاسلوب الذي ابتكره الباحثان كارتر وجونز في دراستهما لحجم المساحة غير المخصصة للاعلان في الصحف^(٧) .

وبذلك تسنى التغلب على مشكلة اختيار العينة وتمثيل ايام الاسبوع في الدورة الاذاعية بحيث يتاح تحليل البرامج الثقافية على مدى الايام السبعة وتتيح هذه العينة تحليل جميع البرامج الثقافية واعطاءها قرصا متساوية سيما وان هذه البرامج على درجة من التنوع كبيرة ، واختيار بعضها دون البعض الآخر لا يضمن سلامة التحليل ، وقد حاولت الباحثة التحكم في خطأ المصافة ، والتقليل من خطأ التحيز في الادلاء والاختيار قدر المستطاع باتباع القواعد الاحصائية لضبط عمليات تحليل المضمون .

ثالثا : وحدات القياس المستخدمة :

اختيرت الفكرة وحدة للتسجيل وللمضمون ، حتى يمكن عدها وتصنيفها .. الخ كما اختيرت الدقيقة وحدة للعد ، على اساس من طبيعة المضمون الاذاعي المراد تحليله . تحليله والفكرة هنا من وحدات التحليل التي يشيع استخدامها في أسلوب تحليل المضمون ، ويقصد بها الوحدة الطبيعية .

وهى هنا قد تعنى برنامجا ثقافيا بأكمله ، أو جزءا من برنامج كما قد تكون حديثا اذاعيا أو برنامجا خاصا طبقا للموضوعات المتناولة والتي تم تحديدها في فئات التحليل . وقد استخدمت الفكرة وحدة التسجيل بالنسبة للاحاديث والبرامج الثقافية العامة .

والاساس في اختيار الدقيقة وحدة للعد ، يرجع الى ان البرنامج الواحد قد يتضمن اكثر من موضوع أو فكرة ، قد تطمس معالمها في حالة استخدام وحدة البرنامج أو وحدة المفردة وحدة للعد بجانب استخدامها وحدة للتسجيل .

وقد تم حساب الدقيقة المذاعة على اساس مائة كلمة في الدقيقة لنشرات الاخبار ومائة وعشرين كلمة للتعليقات والبرامج ، وهو مقياس متعارف عليه اذاعيا (٨) . (٩)

رابعا : التحليل الكمي للبرامج الثقافية :

وفي المرحلة الاخيرة قامت الباحثة بالتحليل الكمي للبرامج الثقافية موضع التحليل ، بقصد تقديم صياغة رقمية لمضمون وشكل هذه البرامج . وقامت الباحثة بتحليل الاذاعتين متبعة الاسلوب الآتى : —

١ — اعداد جداول واحدة لجميع مصادر جمع المعلومات وتفرغ البيانات المرتبطة في تلك البرامج على اساس اتخاذ المفردة وحدة للتسجيل وللمضمون ، والدقيقة وحدة للعد .

٢ — اعتبار هذه المرحلة كخطوة أولى في عملية التحليل النهائية التي تتعرض لها الباحثة فيما بعد ، بقصد اكتشاف المفاهيم ووضع الخطوط العريضة المرتبطة بصياغة الافتراضات .

٣ — اكتشاف الصفة الغالبة للبرنامج من حيث مضمونه ولغته وشكله الاذاعي .

وهكذا يمكن القول ان تحليل المضمون في هذا البحث يعنى عزل خصائص ثقافية معينة والبحث عن مصادرها وعن تكرارها ، وملابساتها ، وعلاقاتها الارتباطية بغيرها من الحقائق التي تدور حولها الرسالة موضوع التحليل .

ولايسع الباحثة الا أن تؤكد أن جميع ماتقدمه من نتائج ليست الا مجرد نتائج استطلاعية فقط . وجل من لا يخطئ تحيزا أو قصورا في عالم البشر .

خامسا : نتائج التحليل :

الافتراض الاول :

ان البرامج الثقافية في البرنامج العام وصوت العرب تحقق التكامل بين المحلية والقومية .

دلت الاحصاءات على أن البرنامج العام يعتمد على الدائرة المحلية المصرية كمصدر ثقافي بنسبة ٨٥ ر ٨٨ ٪ في حين بلغت نسبة الدائرة العربية كمصدر ثقافي للبرنامج العام ٢٩ ر ٣٢ ٪ وزادت نسبة الدائرة العالمية أو الانسانية عن الدائرة العربية فبلغت ٨٤ ر ٧٢ ٪ وهى الدائرة التى يتم بواسطتها الانتساب الى حضارة العصر وثقافته .

أما صوت العرب فقد كانت الدائرة المصرية في مصادر برامجها الثقافية اقل منها في البرنامج العام حيث بلغت ٥٥ ر ٤٨ ٪ في حين زادت الدائرة العربية عنها في البرنامج العام ووصلت في صوت العرب الى ٣٣ ر ٣٧ ٪ ، أما الدائرة العالمية فقد وصلت الى ٩٩ ر ١٣ ٪ .

ومن ذلك يتضح أن الدائرة العربية ^{تتوسط} هذه الدوائر الثلاث في صوت العرب ، وفي ذلك ما يشير الى الرسالة العربية لهذه الاذاعة الامر الذى يشير كذلك الى أن لاذاعة صوت العرب شخصية متميزة تتسم بالطابع العربى في حين تتسم اذاعه البرنامج العام بالطابع المصرى الانسانى العربى ، ويبين الجدول التالى نسب الدوائر الثقافية الثلاث في الاذاعتين :

جدول رقم (١)
المصادر الثقافية

الفئة الاذاعة	الدائرة المصرية	الدائرة العربية	الدائرة العالمية	المجموع
البرنامج العام	٨٨,٨٥ ٪	٣,٢٩ ٪	٧,٨٤ ٪	١٠٠ ٪
صوت العرب	٤٨,٥٥ ٪	٣٧,٣٣ ٪	١٣,٩٩ ٪	١٠٠ ٪
الفارق النسبى	+ ٤٠,٢٣ ٪ - ٢٤,٤ ٪	- ٦,١٥ ٪ - ٢٢		

ومن هذا الجدول تبين ان الدائرة المصرية في البرنامج العام تتفوق عليها في صوت العرب بفارق نسبى + ٢٣ ر ٤٠ ٪ في حين تقل الدائرة ^{المصرية}العربية في البرنامج العام عنها في صوت العرب بفارق نسبى - ٢٤ ر ٣٤ ٪ ، أما الدائرة العالمية فتقل كذلك في البرنامج العام عنها في صوت العرب بفارق نسبى ١٥ ر ٦ ٪ .

ولعل هذه النتيجة تفسر ما اسفرت عنه مؤثرات الاستماع والمشاهدة في القاهرة عام ١٩٧٧ (٨) حيث جاء ترتيب البرنامج العام الاول بنسبة ٧٨ر٨ ٪ اما صوت العرب فبنسبة ٩ر٢ ٪ . فهل ترتبط افضلية الاستماع بالطابع المصرى للبرنامج العام ، وهل نسبة الاستماع لصوت العرب ترتبط بكونها اذاعة موجهة للعالم العربى ، يشكل المستمع المصرى جزءا من جمهورها ؟

ولعل في ذلك أيضا ما يفسر رغبات ومقترحات الجمهور حول برامج الاذاعة حيث : (٩)

- ١ — التنسيق بين الاذاعات المحلية والتعاون فيما بينها .
 - ٢ — عمل جولات للميكروفون في مواقع العمل لمعايشة الاحداث .
 - ٣ — اذاعة الحفلات الخارجية على الهواء مباشرة .
- ويتضح من تحليل المضمون هنا ، أن الافتراض الاول يتفق مع ما ذهبت اليه الباحثة في الفصل الثانى ، حول الوحدة والتنوع في مضمون البرامج الثقافية الى جانب أن ما اسفر عنه تحليل المضمون حول هذا الافتراض يتفق مع ما ذهبت اليه السياسة الثقافية في مصر (١٠) التى أكدت ان هناك فضيلتين تمثلان الاسس القومية لثقافتنا :

- ١ — ثقافة مصرية عربية .
- ٢ — تقوم على الدين .
- ٣ — وطنية ولكنها غير منغلقة على الثقافة العالمية ولكنها مواكبة لها . ومن ثم يفتح الباب لما نصبو اليه من علم وتكنولوجيا .

الافتراض الثانى :

(نسبة البرامج الثقافية في البرنامج العام وصوت العرب اقل بالمقارنة مع البرامج الترفيهية والبرامج الاعلامية والسياسية) .

وقد تأيد هذا الافتراض تأييدا مطلقا ، إذ دلت الاحصاءات على أن البرامج الثقافية في البرنامج العام وصوت العرب اقل بالمقارنة مع البرامج الترفيهية والبرامج الاعلامية والسياسية .

ففى البرنامج العام بلغت نسبة البرامج الثقافية ١٠ر٦٢ ٪ فى حين بلغت نسبة البرامج الترفيهية ٤٦ر٣١ ٪ والبرامج الاعلامية ٢٠ ٪ .

وفى صوت العرب بلغت نسبة البرامج الثقافية ٧ ٪ فى حين بلغت البرامج الترفيهية نسبة ٥٤ر٩٨ ٪ والبرامج الاعلامية نسبة ٢١ر٩٨ ٪ وتتضح هذه النسب فى الجدول التالى :

جدول رقم (٢) البرامج الثقافية والبرامج الترفيهية والاعلامية

البرامج الثقافية والبرامج الترفيهية والاعلامية	الاذاعة
البرنامج العام	١٠,٦٢ %
صوت العرب	٧ %
الاذاعتان معا	٨,٨١ %
٤٦,٣١ %	٢٠ %
٥٤,٥٨ %	٢١,٩٨ %
٥٠,٤٥ %	٢٠,٩٩ %

كما تأيد ذلك الافتراض ايضا عن طريق المتوسط الحسابى كالاتى :

متوسط البرامج الثقافية = ٨,٨١ %

متوسط البرامج الترفيهية = ٥٠,٤٥ %

متوسط البرامج الاعلامية = ٢٠,٩٩ %

ومن ذلك تتضح الاجابة على السؤال المطروح فى مدخل هذا البحث ، حيث لا تعمل الاذاعة المسموعة على توفير خلفية ترفيهية فحسب ، ولكنها تقوم بالفعل بتبسيط الثقافة وتقديمها فى شكل مستساغ فجمهورها على اختلاف نوعياته كثير وان كانت نسبة قيامها بهذه الوظيفة التثقيفية دون المستوى المطلوب ، حتى يتم التوازن بين الترفيه والثقافة فى مضمون البرامج الاذاعية .

وقد اوصى المؤتمر العام للثقافة والاعلام^(٣٢) بضرورة الاهتمام بدعم النشاط الثقافى ، للاذاعة بحيث تساهم فى بناء الانسان المصرى المثقف بالمعنى الشامل للثقافة ، والقادر على مواكبة العصر الذى يعيش فيه ، وكذلك تحرص على التخطيط للزاد الثقافى .

الافتراض الثالث :

(أن البرامج الثقافية فى الاذاعة تتكامل مع وسائل الثقافة والفنون وتروج لها مثل : الصحافة — الكتاب — المسرح — السينما — الموسيقى من خلال برامج تخصص لهذا الغرض) .

١ — بلغت نسبة البرامج التى تؤدى هذه الوظيفة فى البرنامج العام ٦٠,٤٣ % وفى صوت

العرب ٥٠,٤٦ % وفى الاذاعتين معا بمتوسط ٥٥,٤٦ % .

٢ — وقد احتلت الموسيقى الدرجة الاولى بين الوسائل الثقافية التى تروجها الاذاعة،

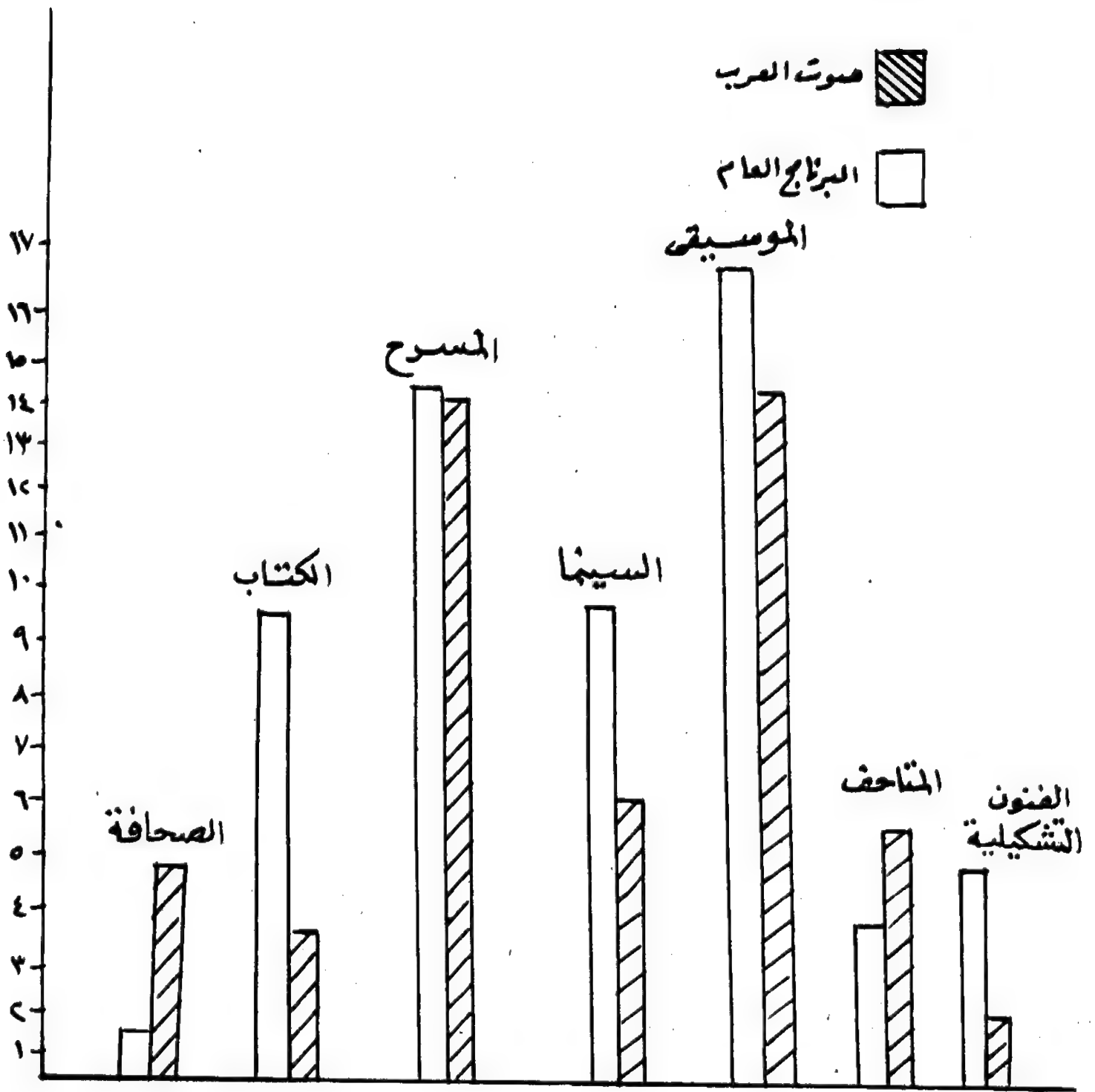
حيث بلغت نسبة متوسط الاذاعتين بالنسبة للموسيقى ١٥,٤ % فى حين يخصص

البرنامج العام ١٦,٥١ % وصوت العرب ١٤,٣ % للموسيقى .

المجموع	الإذاعة	الصحافة	الكتاب	المسرح	السينما	الموسيقى	المتاحف والآثار	الفنون التشكيلية
٦٠,٤٣	البرنامج العام	١	١٠,	١٤,٣٦	١٠	١٦,٥١	٣,٥٦	٥
٥٠,٤٦	صوت العرب	٤,٧٦	٣,٧٣	١٤	٦	١٤,٣	٥,٦٧	٢
٥٥,٤٤	الإذاعتان معا	٧,٨٨	٦,٨٧	١٤,١٨	٨	١٥,٤	٤,٧	٣,٥

ويحتل المسرح الترتيب التالى حيث بلغ متوسط ما يخصص للمسرح فى الإذاعتين ١٤,١٨٪ يقدم البرنامج العام ١٤,٣٦٪ وصوت العرب ١٤٪ للمسرح ومن تحليل هذا الافتراض يتأكد ما ذهب اليه الباحثة فى الفصل السادس الخاص بتكامل الإذاعة مع أجهزة الثقافة والفنون ، وتتفق هذه النتيجة مع ما لاحظته بول لازرسفيلد وباتريشيا كندال حول زوايا «كل شيء أولا شيء فى السلوك الاتصالى ، ذلك أن الشخص الذى يكون تعرضه لوسيلة مافوق المتوسط يعيل إلى أن يكون تعرضه فوق المتوسط أيضا ، بالنسبة لسائر الوسائل . ويميل المتحمس للاستماع إلى الراديو إلى أن يكون متحمسا ، أيضا لمشاهدة السينما ، ومن ناحية أخرى يذهب لازرسفيلد وميرتون إلى أن قاعدة كل شيء تنبثق عن الاهتمام والفرص المتاحة ، فالشخص الذى تهمة المادة الهروبية قد يجدها فى الكتب أو المجلات أو الإذاعات ، وكذلك فإن الشخص الذى يهتم بالمسائل العامة ، قد يبحث عنها فى الصحف والكتب ومن أجل ذلك فإن البرامج الثقافية حين تعنى بتقديم الفنون والتعامل مع أجهزة الثقافة الأخرى ، فإنها تحاول إشباع الرغبات الثقافية للمستمع ، من خلال التعريف والتكامل مع هذه الأجهزة . وقد أوصى المؤتمر العام للثقافة والاعلام بالسعى الفورى إلى التكامل بين أجهزة الاعلام والثقافة والتعليم والسياحة تحقيقا للتقدم الحضارى الذى ننشده»

وإذا كانت الموسيقى قد احتلت المرتبة الأولى فى اهتمام البرامج الثقافية بالفنون (١٥,٤٪ متوسط الإذاعتين) فإن ذلك يتسق مع طبيعة الفن الإذاعى نفسه حين يفيد من الاتصال السمعى فى تكثيف البرامج الموسيقية الثقافية بمصاحبة الشرح والتحليل وسير المؤلفين ونشرها فى مجلة الإذاعة أساسا . كما أوصى بتأصيل القومية فى موسيقانا العربية واعلام العرب وإنتاجهم ، مناهج التذوق المقارن فى الآداب والفنون التشكيلية والموسيقى إلى جانب تقديم تراجم عن الشخصيات والموضوعات الموسيقية الأجنبية .



شكل مزدوج يبين نسب أجهزة الثقافة والفنون في الإذاعتين.

وقد احتل المسرح في الاذاعتين المرتبة التالية للموسيقى بنسبة ١٤,١٨٪ ولعل في ذلك ما يؤيد ما ذهبت إليه الباحثة في الفصل السادس بشأن المسرح وما ذهب اليه المؤتمر العام للثقافة والاعلام من ضرورة «تحقيق» ديمقراطية المسرح وتوصيل نشاطه إلى اوسع قطاعات الجماهير . والحرص على تنوع طبيعة العروض وتعدد مستوياتها ما يلائم كافة الفئات والمستويات الثقافية،

ويتضح دور الاذاعة بازاء تحقيق ديمقراطية المسرح في ضوء المحاولات السابقة انه قد تعذر قيام واستمرار حركة مسرحية قومية خارج القاهرة حتى المحاولات المكثفة في محافظة كبيرة تتميز بكل ملامح التقدم العمراني كمحافظة الاسكندرية كان مصيرها أن ^{أف} شحبت وضممت ثم اختفت ، ويرجع هذا إلى الافتقار إلى التكامل الثقافي والاعلامى ، لان وجود حركة مسرحية دائمة في مدينة اليوم لا يمكن ان يتحقق بغير تعايش هذه الحركة مع حركة اعرض للثقافة والاعلام تتمثل في صحافة واذاعة وتليفزيون وسينما وموسيقى وغيرها وهنا يصبح دور الاذاعة بالنسبة للمسرح ، مرتبطا بالهدف الكبير : تحقيق ديمقراطية الثقافة بوجه عام ، والمسرح بوجه خاص .

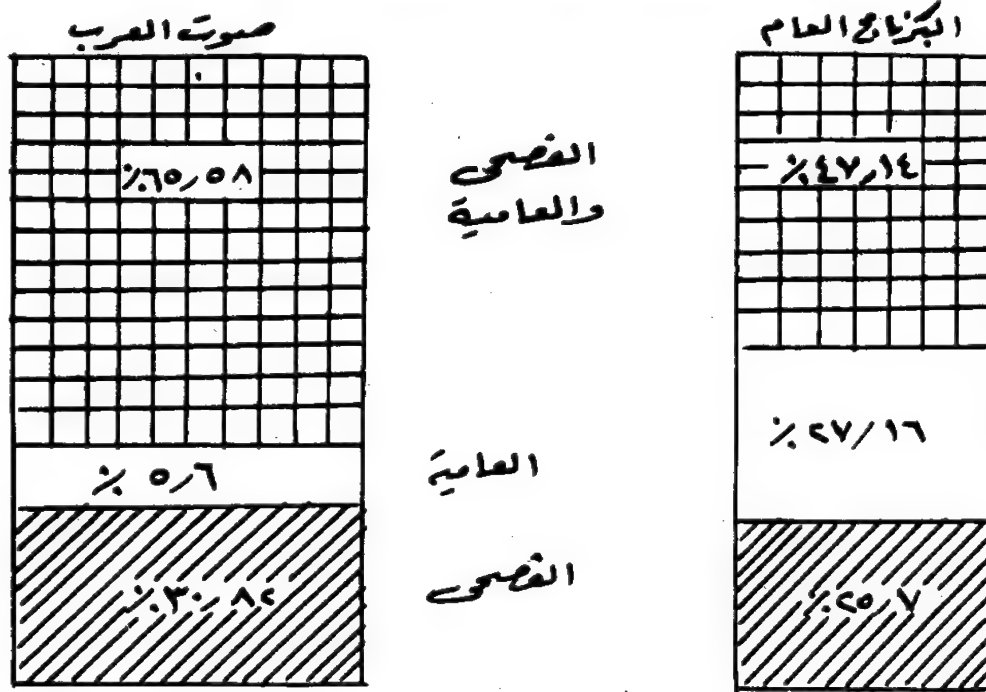
ولذلك فإن برامج المسرح في اطار البرامج الثقافية ينبغي أن تعمل على تشجيع الابداع الفنى الذى يستلهم التراث القومى والشعبى ، وتناوله بالدراسة والنقد والاذاعة والاحتفاء بالتراث الانسانى قديمة وحديثة مع العناية بانتقاء الاعمال وثيقة الصلة من حيث مضمونها بالقضايا الفنية والاجتماعية على المستويين القومى والعالمى .

اما السينما فقد احتلت في تحليل مضمون البرامج الثقافية نسبة المرتبة التالية للمسرح في الاذاعتين (٨٪) وفى البرنامج العام ١٠٪ وفى صوت العرب ٩٪ ، واهتمام البرامج الثقافية بالسينما ، كذلك يستهدف نشر الثقافة السينمائية التى لاتصل الى كل الجماهير ، نتيجة للنقص فى دور العرض ، وقد تبين من بحث للمركز القومى للبحوث الاجتماعية ان ٥٩,٩ من مشاهدى السينما يسمعون الافلام التى تذيعها الاذاعة الامر الذى يؤكد ضرورة تخصيص برامج للسينما فى إطار البرامج الثقافية .

وقد احتل الكتاب المرتبة التالية للمسرح في الاذاعتين بنسبة ٦,٨٧٪ ولكن الاهتمام بالكتاب فى البرنامج العام يصل إلى ١٠٪ فى حين يصل فى صوت العرب إلى ٣,٧٣٪ ، وأن كانت هذه النسب تشير إلى أن الاهتمام بالكتاب لا يمثل المرتبة اللائقة بمكانته كوسيلة من اهم وسائل الثقافة واعمقها اثرا ، الامر الذى يجعل اهتمام البرامج الثقافية بالكتاب وتنمية الوعى القرائى ضرورة لمواجهة المنافسة الخطيرة للاجهزة الاخرى ، فالبرامج الثقافية مطالبة بأن تغرس فى العقل العربى ان الكتاب هو أقرب

وسيلة تثقيفية مؤثرة تلازم الانسان ، وتظل في متناول يده تلبي احتياجاته الروحية والعلمية في أى زمان ومكان .

وما يقال عن الكتاب يقال عن الصحافة ، وما تقدمه من صفحات ثقافية ينبغي ان يرتبط بها المستمع المصرى والعربى ، وقد تبين ان البرنامج العام لا يحتفى بالصحافة **اصفاء احتفاء** صوت العرب بها ، حيث النسبة هي ١٪ : ٤,٧٦ ، وقد تبين ذلك في الفصل السادس عند الحديث عن برنامج عالم المجلات .



مقياس الرسم = ١ سم = ١٠٪

الافتراض الرابع :

«أن اللغة في البرامج الثقافية في صوت العرب هي العربية الفصحى المشتركة ، في حين تتوسل في البرنامج العام بالعامة احيانا» .

ويتضح هذا الافتراض من العمودين المجازين ، حيث يتضح أن الفصحى والعامة في البرنامج العام تصل إلى نسبة ٤٧,١٤٪ حينما يستخدم البرنامج الفصحى والعامة معا ، وخاصة في حالة الحوار ، حيث تلتقى الفصحى بالعامة ، وكذلك في صوت العرب تصل نسبتها إلى ٦٥,٥٨٪ بفارق نسبي + ١٨,٤٤ ، في حين تقل نسبة العامة في صوت العرب عنها في البرنامج العام بفارق نسبي - ٢٢,١٠ ، حيث تصل نسبة استخدام العامة في البرنامج العام إلى ٢٧,١٦٪ في حين تقل هذه النسبة في صوت العرب لتبلغ ٥,٦٪ وتزيد نسبة استخدام الفصحى في صوت العرب عنها في البرنامج العام بفارق نسبي + ٥,١٢ ، حيث تصل نسبة الفصحى في البرنامج العام إلى ٢٥,٧٪ في حين ترتفع في صوت العرب إلى ٢٨,٨٢٪ .

العرب

الفئة / الاذاعة	الفصحى %	العامية %	الفصحى والعامية %	المجموع
البرنامج العام	٢٥, ٧	٢٧, ١٦	٤٧, ١٤	١٠٠
صوت العرب	٣٠, ٨٢	٥, ٦	٦٥, ٥٨	١٠٠
الاذاعتان معا	٢٨, ٢٦	١٦, ٣٨	٥٦, ٦٢	١٠٠

ومن ذلك يتضح موقف البرنامج العام وصوت العرب من اللغة العربية في البرامج الثقافية ، ويتضح ايضا ارتباط استخدام هذه اللغة بالدوائر الثقافية في مصادر البرامج ذاتها ، على النحو المتقدم ونعنى : الدائرة المحلية ، الخاصة بكل قطر عربى على حدة والدائرة القومية العربية ، والدائرة العالمية او الانسانية ولعل ارتفاع نسبة البرامج التى تستخدم الفصحى والعامية معا حيث تصل إلى ٥٦,٦٢ % ، فى الاذاعتين معا دليل على أن الاذاعة تتجه نحو استخدام اللغة العربية الفصحى المشتركة التى تحدثت عنها الباحثة تفصيلا فى الفصل الخامس ، ذلك أن فن الاذاعة يبرز العناصر والسمات المشتركة فى الثقافة العربية ، من خلال لغة مشتركة ، تساهم فى تشكيل وجدان المواطن العربى .

وعلى ذلك يمكن القول أن هذا الافتراض قد تأيد ، ذلك أن الاتجاه إلى استخدام الفصحى المشتركة ، يظلب على الاتجاه لاستخدام العامية ولا سيما اذا اضفنا نسبة استخدام الفصحى مع العامية إلى نسبة الفصحى الخالصة لوجدنا أن هذا الافتراض تؤيده الارقام إلى حد كبير ، فتصبح نسبة الاتجاه إلى الفصحى فى البرنامج العام ٧٢,٧٤ % وفى صوت العرب ٩٠,٤٠ % ولعل فى ذلك ما يؤكد الافتراض القائل بأن الاذاعة عامل جوهري هام يعمل على تقارب المجتمعات ، فى نطاق اللغة القومية العامة lingua Franca وطبيعى أن اللغة العامة او المشتركة غير اللهجات المحلية أو الطبقية الخلاصة . الخ

كما يمكن القول أن تحليل المضمون هنا قد ايد الافتراض القائل بأن الاذاعة تحقق الوساطة بين الفصحى واللهجات العامية ، ذلك أن استخدام الفصحى مع العامية فى البرامج الثقافية قد وصل متوسطه فى الاذاعتين إلى نسبة ٥٦,٦٢ % وهذه النسبة تشير إلى التقارب الذى يمكن تحدته الاذاعة بين العلمية والفصحى ، وهو الأمر الذى يؤدى

باللهجة الفصحى^(١) لتكون اكثر مرونة مما كانت وتتلخص من كثير من الظواهر التي لصقت بها عن طريق التدوين وعن طريق التعيد ونجد فوق هذا كله ان اللغة العامية تلتقى بالفصحى ، ولعل بروز هذه الظاهرة في شكل الحوار بالبرامج الثقافية أن يؤكد ماذهب إليه الدكتور يونس من أن المتحدثين كلامهم - كمتعلمين قريب جد من الفصحى ، وأن مال إلى الوقف «والتححرر من الاعراب بعض الشيء»

الافتراض الخامس :

ان البرامج الثقافية تقابل مختلف الاذواق والميول والتخصصات : بسبب تنوع برامجها وموضوعاتها وجمعها بين ألوان مختلفة من المعارف الانسانية ، ويتضح ذلك في الجدول التالي :

موضوع الاتصال في البرامج الثقافية

المجموع	الاحاديث والمعارف العامية	الثقافة الفنية	الثقافة العلمية	الثقافة الادبية	النوع الاذاعة
% ١٠٠	% ١٣,١٣	% ٦٠,٤٣	% ٧,١٣	% ١٩,٢٨	البرنامج العام
١٠٠	٢٩,٩	٥٠,٤٦	١٢,١٥	٧,٤٧	صوت العرب
١٠٠	٢١,٥٢	٥٥,٤٦	٩,٦٤	١٣,٣٨	الاذاعتان

جدول رقم (٣)

ومن هذا الجدول يتضح أن البرامج الثقافية في الاذاعتين تقدم ثقافة ادبية :

(في البرنامج العام ١٩,٢٨٪ وصوت العرب ٧,٤٧٪) ثقافة علمية

(في البرنامج العام ٧,١٣٪ وصوت العرب ١٢,١٥٪) ثقافة فنية (في البرنامج العام

٦٠,٤٣٪ وصوت العرب ٥٠,٣٦٪) معارف عامة (البرنامج العام ١٣,١٣٪ وصوت العرب

٢٩,٩٪

ب — بسبب استخدام الاشكال الازاعية المختلفة في تقديم الثقافة للمستمع في شكل جذاب يفيد من امكانيات الازاعة ، ويوضح الجدول التالي مدى صحة هذا لافتراض

الفترة الازاعة	الندوة	المنوعات	الحوار	الشكل الدرامى	المسابقات	المجلة الازاعية	الموسيقى تحليل	مجموع
البرنامج العام	٢٨,٥٦	١٢,٨٤	١٨,٥٦	٢٦,٤٢	٢,١٣	٤,٩٩	٦,٤٣	١٠٠
صوت العرب	٢٩,٨٧	٨,٤١	١٧,٧٤	١٥,٨٧	—	٢٢,٤١	٦,٥٤	١٠٠
الاذاعتان	٢٩,٥١	١٠,٦٢	١٨,١٥	٢١,١٤	١,—	١٣,٧	٦,٤٨	١٠٠

ومن هذا الجدول يتضح أن شكل الحديث أو الندوة يحتل المرتبة الاولى في الازاعتين بنسبة ٢٩,٥١٪ في حين يحتل الشكل الدرامى ٢١,١٤٪ في الازاعتين المرتبة الثانية ، أما الحوار فيحتل المرتبة الثالثة ١٨,١٥٪ والمجلة الازاعية ١٣,٧٪ والمنوعات ١٠,٦٢٪ والموسيقى والتحليل ٦,٩٨٪ أما شكل المسابقات فيحتل المرتبة الاخيرة ١٪ .

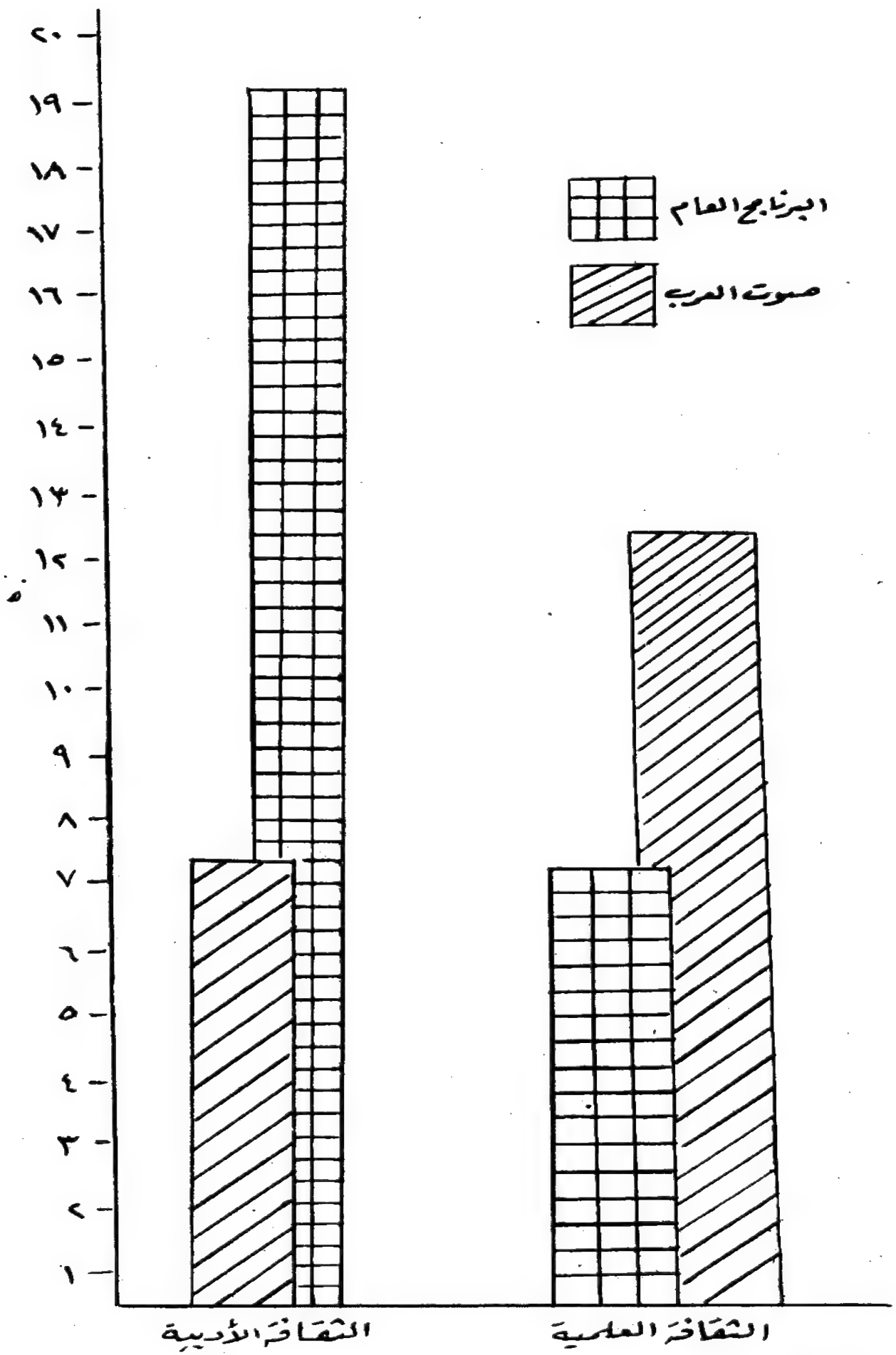
وإن كان ذلك يقتضى بالضرورة اعادة النظر في نسبة الاشكال الازاعية على ضوء ما تسفر عنه بحوث المستمعين ، فمثلا في حين يحتل شكل المسابقات ١٪ في تحليل **المضمون** ، نجد أن آخر بحث أجرى على المستمعين في ١٩٧٧ يتضمن من البرامج المفضلة التى توقفت ويطلب الجمهور اعادتها في الازاعة برنامجين في شكل المسابقات هما : جرب حظك وبرنامج ٤٦١٢٠ ، وقد احتل برنامج المسابقات الوحيد الذى تقدمه إذاعة البرنامج العام وهو «الغلط فين» مكانا بين خمسة برامج يفضلها المستمع من برامج البرنامج العام .

حـ - بسبب سعى البرامج الثقافية للتقريب بين اصحاب الثقافتين العلمية والادبية من خلال تقديم برامج ادبية وبرامج في تبسيط العلوم .

وقد تبين أن البرنامج العام يقدم برامج ادبية بنسبة ١٩,٢٨٪ وبرامج في تبسيط العلوم بنسبة ٧,١٣٪ بفارق نسبي - ١٢,١٥٪ في حين يقدم صوت العرب في الثقافة الادبية ٧,٤٧٪ وفي تبسيط العلوم ١٢,١٥٪ بفارق نسبي + ٤,٦٨٪ .

ومن ذلك يتضح أن الادب يحتل الصدارة في البرنامج العام بفارق نسبي - ١٢,١٥ في حين يحتل تبسيط العلوم في صوت العرب الصدارة بفارق نسبي + ٤,٦٨٪ .

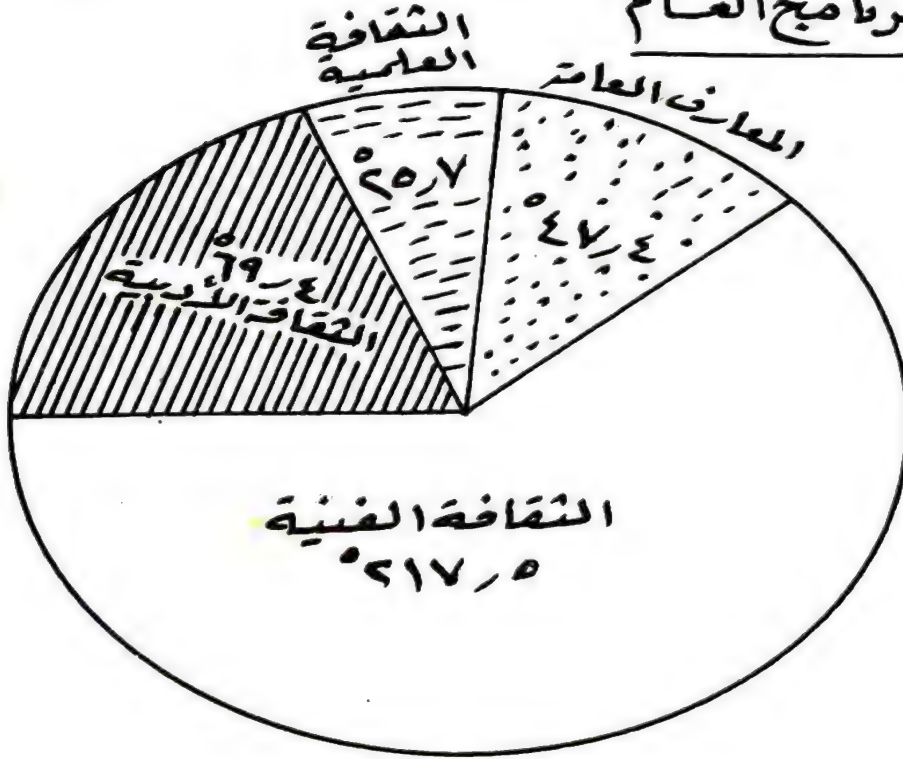
نسبي
نسبي



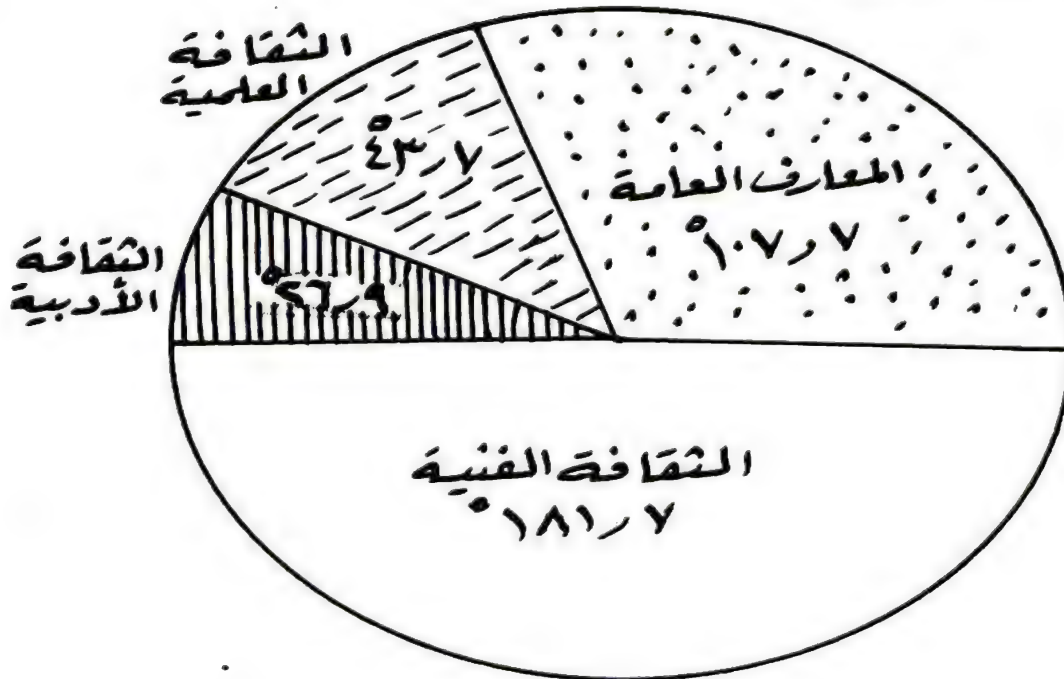
مقياس الرسم (سم) = ١

موضوع الإتصال
في البرامج الثقافية

أولاً: البرنامج العام



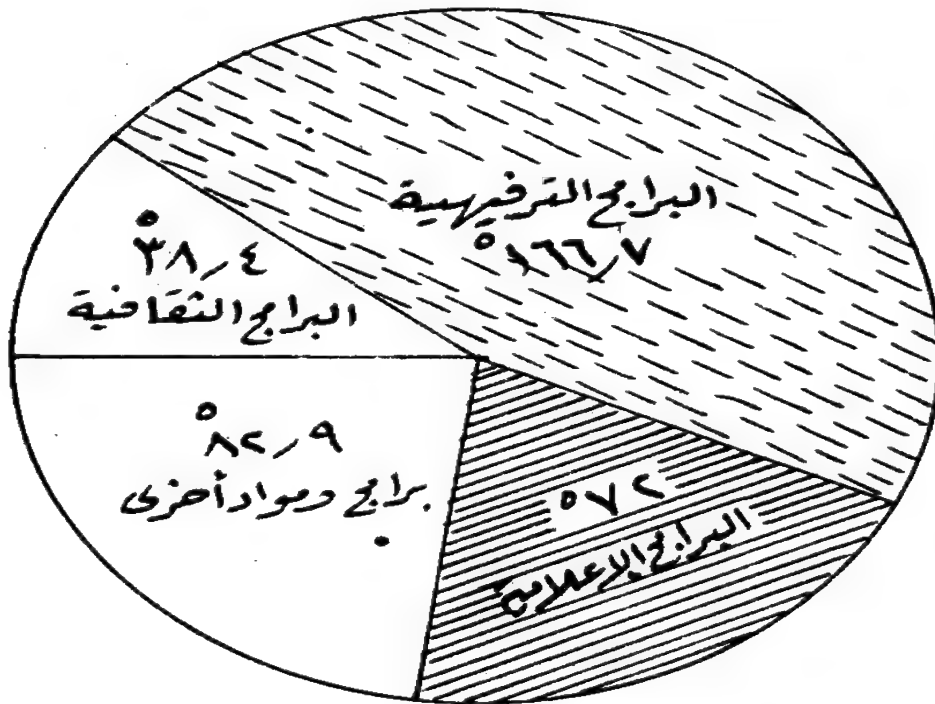
ثانياً: صوت العرب



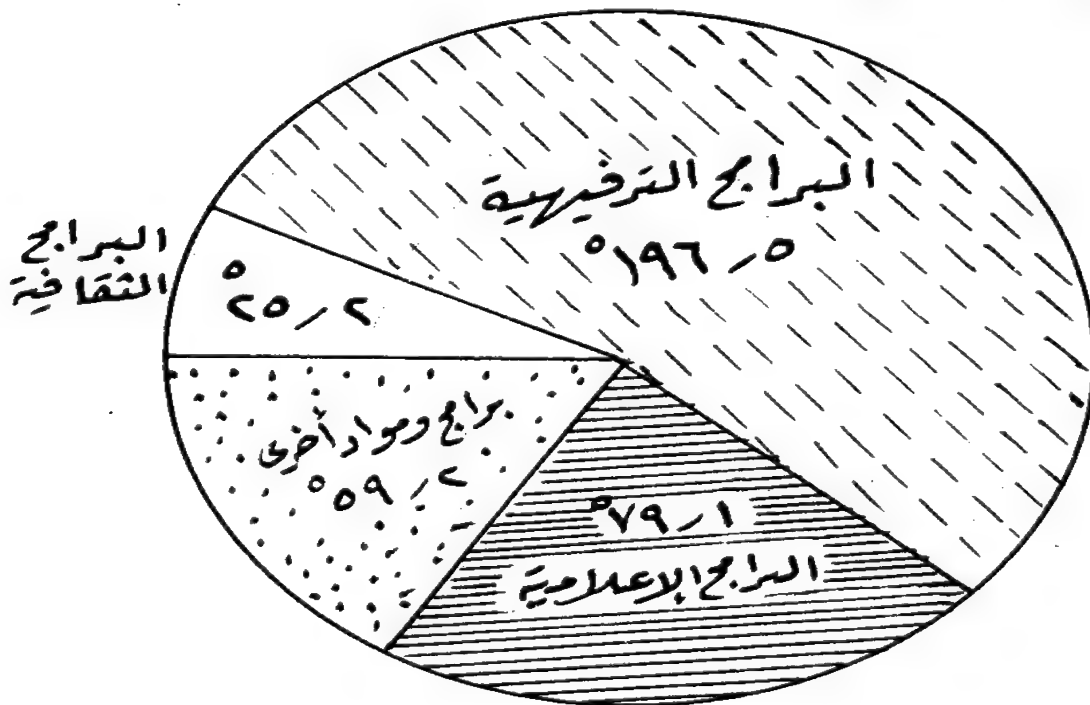
مقياس الرسم ١ سم = ١ . ٥ سم = ٥

البرامج الترفيهية والإعلامية

أولاً: البرنامج العام



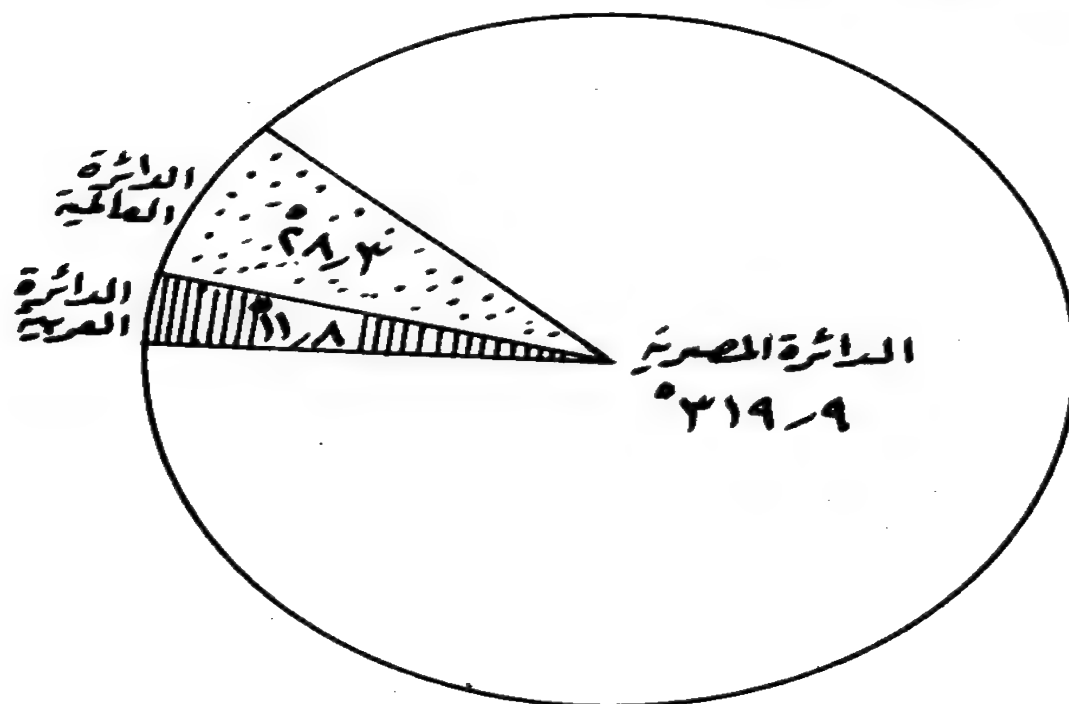
ثانياً: صوت العرب



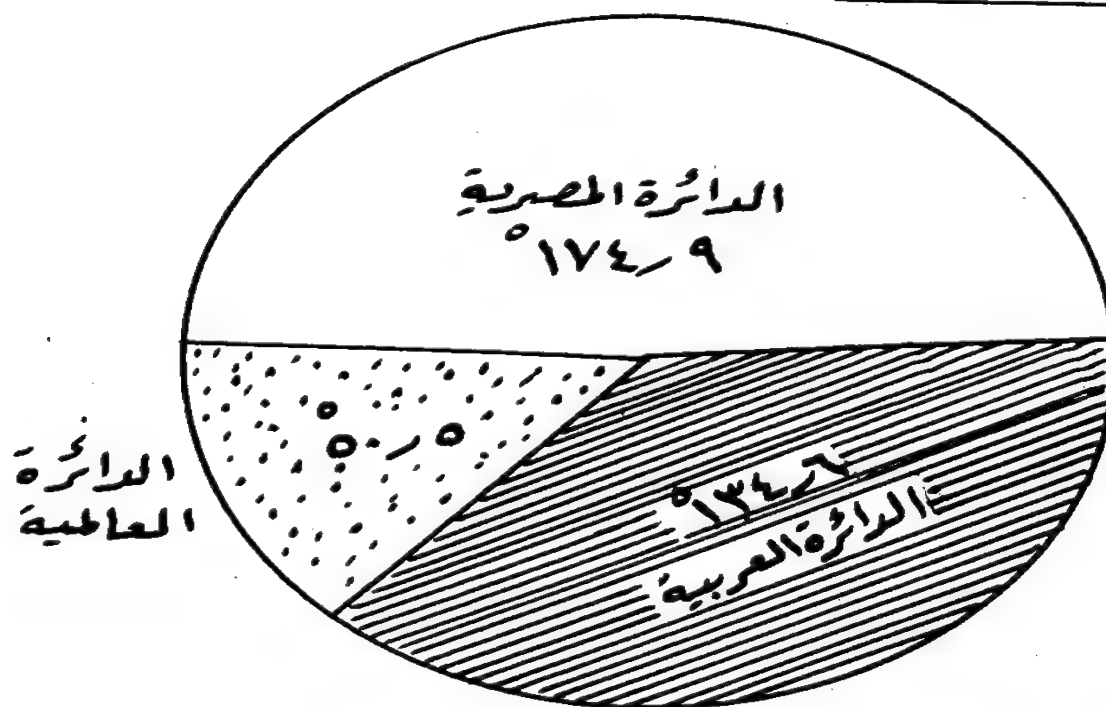
مقياس الرسم ١ سم = ١٪ نوه = ٥ سم

مصادر البرامج الثقافية

أولاً: البرنامج العام

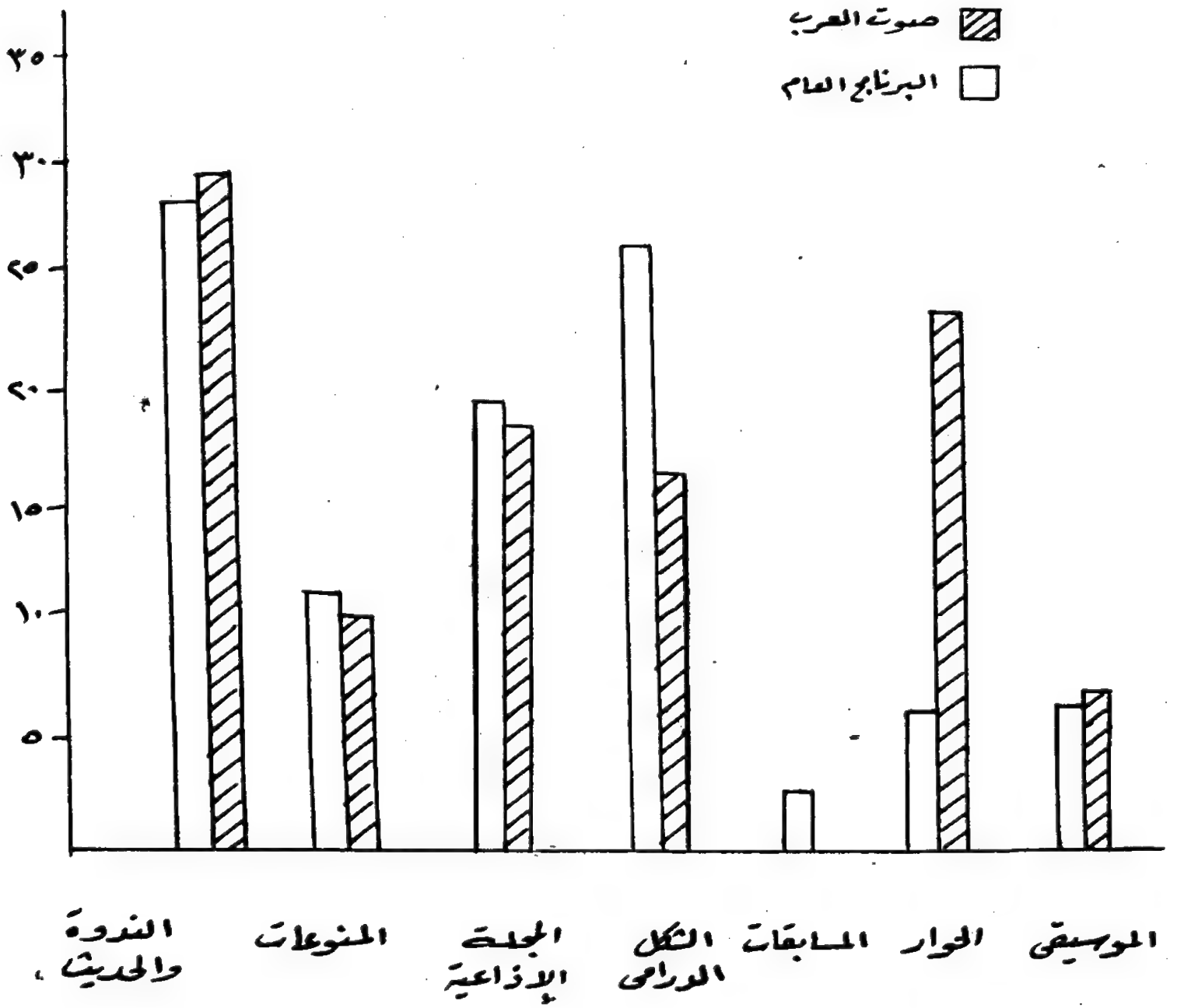


ثانياً: صوت العرب



مقياس الرسم = 1 سم = 1° 5 سم = 5°

تنوع الشكل الإذاعي في البرامج الثقافية بإذاعتى البرنامج العام وصوت العرب



مقياس الرسم ٢ سم = ٥

الختام

تتمتع الاذاعة المسموعة بمكانة عظيمة في دنيا الاعلام ، فقد استطاعت هذه الوسيلة الجديدة أن تستغل موجات الاثير لتوثيق صلتها بملايين البشر في كل انحاء المعمورة ، ولتزودهم بالخبر والرأى واحداث ما وصل اليه الفكر الانساني الذي انطلق سعيا وراء الحقيقة في افاق العلوم والفنون والاداب اللامتناهية ، كما تزودهم ايضا بالتسلية والترفيه ، ثم تنقل لهم كل ذلك — اينما كانوا — في المنزل او الحقل او الفياقي والجبال باسلوب محيب للنفس يقرب كل بعيد ويعرضه في قالب مستساغ يجذب الملايين في اركان الارض الأربعة^(١)

لقد نشأت الاذاعة في العالم نشأة متواضعة ، ثم اتسعت وتطورت وامتدت لكل مكان وقطعت مراحل عديدة استطاعت خلالها أن ترسي قواعد ثابتة للفن الاذاعي السليم . والذي يستوعب كل جديد وتوسع امامه افاق التجربة بلا حدود إلى أنه يقوم على اسس وطيدة راسخة توصل اليها في هذا المجال عبر خبرات وتجارب حتى خلص منها بقواعد وأسس للعمل الاذاعي السليم تنير امامه السبيل ، ولكنها لاتحد من قدرته على الحركة والتطور الدائبين وهما في حقيقة الامر جوهر الفن الاذاعي وروحه الخلاقة الواعية التي تسير التطور الدائب وهما في حقيقة الامر جوهر الفن الاذاعي وروحه الخلاقة الواعية التي تسير التطور

١ — كينجسون وكاوجيل وليفى : (ترجمة نبيل بدر) : الاذاعة بالراديو والتليفزيون المقدمة — مرجع سبق .

الدائب وتستفيد منه الامكانيات العلمية الهائلة وتلبي احتياجات ملايين البشر بحيث تيسر لهم متابعة كل ما يحدث في العالم بالكلمة والصورة معا . فمازالت الاذاعة سابقة في ملاحقة كل ما يدور في دنيانا التي تقترب فيها المسافات يوما بعد يوم . بل لقد فتحت اكتشافات الانسان في عالم الفضاء آفاقا غير محدودة امام تيسير الاتصالات اللاسلكية بين كل جهات العالم ورغم اختلاف النظم الاذاعية في العالم فمازالت اهدافها هي الإعلام والترفيه والتثقيف . وان زاد نصيب بعض هذه الاهداف على سائر اغراض الاذاعة والتلفزيون — فانما ليلبي احتياجات الجمهور ويساهم في خدمة المجتمع ويوثق الروابط بين البشر في كل مكانة فالاذاعة تتبع اسلوبا مرنا يلائم نفسه مع احتياجات المجتمع ، ولكن مهما اختلفت النظم وطبيعة هذه الملائمة فان يخضع لاسس وقواعد فنية واحدة هدفها في نهاية الامر عرض برامج مشوقة على الجمهور ، بأسلوب يستفيد من الامكانيات الفنية المتوفرة ، ويراعى التناسق بين اجزاء البرامج (٢) .

وانطلاقا من فهم وظيفة التثقيف والتنشئة الاجتماعية ومكانها بين وظائف الفن الاذاعي ، ودور الاذاعة في النشر والتعبير كامتداد تكنولوجي للغة أو الكلمة والايحاء ، تعرف البحث على ضرورة توظيف الفن الاذاعي لخدمة المجتمع وتحددت . « مشكلة البحث » في الفصل الاول ، بدراسة كيفية قيام الاذاعة المسموعة بدورها الثقافي والخصائص الفنية التي تتميز بها البرامج الثقافية من خلال دراسة هذه البرامج التي تقدم في اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، ولذلك خصص الفصل الاول لدراسة ماهية البرامج الثقافية ، حيث افترض هذا الفصل أن الراديو يقوم بتزويد الجماهير بزاد ثقافي وفني ويشترك في تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع عن طريق تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها ، وفي تكوين الذوق الفني والحضارى من خلال الاختيار والمفاضلة ، وترتبط هذه الوظيفة الحيوية بازدياد نمو المجتمع ، وتنوع تخصصاته ، وتعقد مشكلاته ، الامر الذي يجعل من الاذاعة المسموعة وسيلة ثقافية اساسية تبعد كل البعد عن الخبرة الفردية المباشرة فالمجتمع المتحضر يتميز بظهور علوم وفنون وتخصصات بالغة التجريد والتعقيد تجعل الاذاعة حلا لصياغة المعرفة ، الامر الذي يجعل من البرامج الثقافية وسيطا بين الخبير المتخصص من ناحية والرجل العادى من ناحية اخرى .

البرامج

٢ — كينجسون وكاوجيل وليفى : (ترجمة نبيل بدر) : الاذاعة بالراديو والتلفزيون المقدمة — مرجع سبق .

وقد عنى هذا الفصل بدراسة الخصائص التى تتميز بها الاذاعة فى تحقيق هذه الوظيفة الثقافية ، كما عنى بدراسة مشكلة الثقافة وماثير حولها من جدل يرتبط بالراديو كوسيلة ثقافية خاصة ، وطبيعة هذه الثقافة فى ضوء مشكلة الثقافة الرفيعة او الراقية ، وحاول هذا الفصل التعرف على مزايا الاذاعة المسموعة وعيوبها وانتهى الى انها لم تكن احلالا لتيار الحضارة الالية الحديث محل التربية التقليدية التى ساعدت على التكوين الثقافى وانما عززتها ، ودعمت اساليبها ، كما اسهمت فى تحقيق ديمقراطية الثقافة ونشرها بين الجماهير ، وليس يخشى من هذه الوسيلة الجديدة على الفردية الخلاقة indinidualisme على النحو الذى ذهب اليه كثير من المفكرين .

وفى ضوء هذا الفهم حاول البحث فى الفصل الاول دراسة ماهية البرامج الثقافية ، وبين كيف أن الاذاعة تتصل بالمجال الحى الفعال بالعروة الوثقى ، وذلك لانها تتوسل باللغة ، الرابطة الكبرى بين الاذاعة والثقافة بالمفهوم الاجتماعى ، والاذاعة تعمل جاهدة على توثيق الوجدان الانسانى . وبين أن الثقافة كمضمون لا يمكن أن تنفصل فى سر عن الوعاء الذى يحملها والوعاء هنا هو فن الاذاعة الذى يحدد معالم البرامج الثقافية ، من حيث طبيعة الثقافة من ناحية ، وديمقراطيتها من ناحية اخرى ، وطبيعة فن الاذاعة وخصائصه من ناحية ثالثة ، بحيث تيسر للجمهور الحصول على الثقافة دون عناء .

وقد اتضح ان الاذاعة كفن جديد استحدث مادته فى بداية الامر من الفنون بصورة عامة تقوم على الموسيقى والكلمة المنطوقة ، والبرامج الثقافية تقوم على هذين الركنين الازداعيين ، فى تبسيط المعرفة والثقافة ، فهى لا تعتمد على الخيال وانما تقوم على العلم والمعرفة والثقافة ، فهى برامج وظيفية هادفة تتخطى عقبال الملل الذى يصاحب المادة الجافة ، الامر الذى يجعلها تفيد من الامكانيات الازداعية ، ووسائل جذب الانتباه ، كما أن البرامج الثقافية قابلة للتطور الدائم ، تتميز بموضوعاتها ومعالجتها للثقافة بمختلف فروعها .

والبرامج الثقافية فى الاذاعة العامة — كالبرنامج العام أو صوت العرب لا تتوجه الى الصفوة كما يتوجه البرنامج الثانى ، وانما تتوجه الى الجماهير كلها كما تقدم ، وكان طبيعيا اذن أن ترتبط هذه البرامج بمفهوم الثقافة باعتبارها كيانا له مقوماته التى تميزه عن التعليم من ناحية. وعن الاعلام والترشيد من ناحية اخرى ، وان تداخلت الوسائل التى تحمل العناصر الثقافية وتعمل على بثها عن طريق الكلمة والصوت والصورة .

وفي ضوء هذا الفهم عن البحث بدراسة البرامج الثقافية في اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، كاذاعتين تتوجهان إلى الجماهير العريضة ، وليس إلى الصفوة ، كما هو الحال في البرنامج الثقافى ، من جهة ، ولتمييز كل اذاعة منهما في الاهداف والوظيفة من جهة اخرى ، فالبرنامج العام كما تبين من اسمه يتوجه إلى الجمهور العام فإنها كما يبين من أسمها تتوجه بصفة خاصة إلى الوطن العربى . وتبين أن الثقافة في مصر تصطدم بعوائق خطيرة اهمها الامية التى تعطل الافادة من الكلمة المكتوبة بوجه خاص ، وتؤدى في كثير من الاحيان إلى فهم مغلوط للكلمة المسموعة ، الامر الذى يحمل البرامج الثقافية مسئولية تطويع استخدام امكانات الفن الاذاعى للمشاركة في محو الامية الثقافية ، وتأكيد حق الجماهير في مصر والوطن العربى في استكمال المقومات الانسانية بواسطة الثقافة .

وقد عنى الفصل الثانى بدراسة المعايير الاذاعية في البرامج الثقافية كأساسا للدراسة التطبيقية في البرنامج العام وصوت العرب ، واعتبرت هذه البرامج مشروعا ثقافيا متاخلا يجب أن يتم بطريقة تكفل السيطرة على عناصره الاساسية : التخطيط — الانتاج — استخدام البرامج — المتابعة والتقويم .

وانتهى هذا الفصل إلى أن الخط الفاصل بين البرامج الثقافية وغيرها يجب أن يكون على اساس المضمون والهدف والاثر الذى يحدثه البرنامج وتحديد الاهداف في البرامج الثقافية يجب أن يقوم على معرفة تامة بالاحوال التامة التى تعمل في ظلها الاذاعة المسموعة ، اما تخطيط منهج المضمون في هذه البرامج فينبغى أن يكون عن طريق لجان مؤلفة من اخصائيين في الثقافة وفي وسائل الاتصال ، حتى يمكن الاتفاق على الولايات وكيفية معالجتها

وتأسيسا على هذا الفهم حاولت الباحثة تصور الدور الذى يمكن أن تقوم به البرامج الثقافية في البرنامج العام وصوت العرب ؛ وهو الدور الذى ترجو أن تكون له شخصية متميزة ومتكاملة في الاذاعتين .

وقد اعتمدت الدراسة على التقارير الدورية ، والتحليل الكمى لمضمون البرامج الثقافية ، والاتصالات البريدية ، وتبين ان التنوع والوحدة في الثقافة العربية هما محور المقارنة بين اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، سيما وأن الثقافة العربية عرفت في عصورها الوانا من التنوع ، تترد في المقام الاول إلى عاملين : اولهما : أن الثقافة العربية امتدت فشملت رقعة واسعة جدا من الارض ، تنوعت فيها انماط المعيشة وتفاوتت فيها درجات التحضر . وثانيهما ، أن الثقافة العربية كانت منفتحة على الثقافات السابقة عليها والمعاصرة لها ،

فاستقبلت تيارات فكرية متعددة جاءت اليها من المشرق والمغرب ، فضلا عن حصيلة ضخمة من التراث السابق كانت تعيش في البيئات العربية نفسها وتتفاعل مع ثقافتها الجديدة .

ومع هذا ، فقد ظل للثقافة العربية في مختلف مجالات الانتاج ، طابع مميز ، جعل لها شخصية مستقلة حين تقارن بثقافات الامم الاخرى في العصور القديمة والوسيطة ، والدارسون المحدثون مهما اختلفت احكامهم على الحضارة العربية يعترفون بهذا التنوع من التميز والاستقلال ويجد فيه ورثة الثقافة العربية مصدرا من مصادر الخصب ووفرة العطاء^(٣)

والامر في العصر الحاضر لا يختلف كثيرا في هذه الناحية عنه في العصور السابقة فلا تزال الامة العربية تشغل الرقعة الواسعة من الارض ، ولا تزال تتلقى فيضا حضاريا وافدا من كل جانب .

وإنما يجيء الخلاف بين العصور القديمة والحديثة في أن العصر الحاضر قد استحدث في مجال الثقافة مفاهيم جديدة أهمها الربط بين الثقافة والمجتمع وتأكيدا للدور الايجابي أو القيادي للثقافة في حياة الجماهير وكذلك مكن العصر الحاضر لأنواع من التعبير الادبي والفني أن تحتل مكانا لم تكن تحتله من قبل كالقصة والمسرحية ، وهي بطبيعتها تخاطب جمهورا أكثر عددا وأكثر تنوعا من جمهور الكتاب قديما ، وكذلك أوجد العصر من وسائل الاتصال السمعي والمرئي بالجماهير العريضة ما لم يكن موجودا بلاذاعة والتلفزيون والسينما ، زيادة على المطبعة وما أنجزته وتنجزه في ميدان الصحافة والمجلة والكتاب على إختلاف أشكالها وتعدد موضوعاتها . وفوق ذلك كله فإن فكرة القومية اتخذت في الوطن العربي أبعادا جديدة ، وأصبحت محورا يدور حوله نشاط أبناء الامة العربية على جميع مستوياتهم ، ومنفذا لقعبة طاقات الامة العربية كلها في مختلف ميادين الحياة العامة^(٤)

وقد إنتهى البحث إلى أن التنوع في البرامج الثقافية هو ذلك القدر من التنوع الطبيعي الذي يجد سبيله إلى الثقافات العربية كما يجد سبيله إلى الثقافات الاخرى والذي يعبر عن حيويتها وتطلعاتها ، وجذورها التاريخية العميقة وخبراتها التي اكتسبتها في مقارعة ظروف الإنحطاط ومواجهة الاستعمار ، وليس هو التنوع المفتعل الذي يناقض الوحدة أو يخالفها أو يخرج عنها .

٣ — تقرير المنظمة العربية للتربية والثقافة عن الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة .

ص ١ مرجع سبق ذكره .

كما أنتهى البحث إلى أن قضية الفصحى والعامية في البرامج الثقافية تجسد أكثر من غيرها قومية الثقافة ومحليتها ، وأن السير نحو الفصحى هو سير نحو قومية الثقافة ووحدتها ، على النحو الذى يسعى إلى تحقيقه صوت العرب ، كما أن اللهجات العامية في «البرنامج العام» يجب أن نسعى إلى موآلفتها للفصحى وتذويبها فيها ، والاذاعة من اقوى الاجهزة في تقريب الناس من الفصحى .

كما أن تقديم أدب اقليم عربى ما أو أدبائه أو حياته الادبية في برامج صوت العرب لابد أن يتناول عوامل الوحدة العامة المشتركة بين اقاليم الوطن العربى مع تناول عوامل التنوع والتفرد فى داخل الاقليم ولا يجوز الاقتصاد على بيان عوامل البيئة المحلية وحدها لان ذلك يهدر روابط الوحدة الثقافية .

وقد لوحظ أن البرامج الثقافية فى الاذاعة — صوت العرب أو البرنامج العام تسعى إلى توثيق الروابط بين المثقفين العرب وهو اتجاه ينبغى أن يستمر على أن تتناول الجوانب المختلفة والمتجددة من الثقافة العربية . وهنا يمكن أن تقوم الاذاعة بتغطية المؤتمرات الثقافية والندوات المتخصصة رغبة فى تحقيق قدر اكبر من التعارف الفكرى ، واطاحة جو موضوعى لدراسة القضايا والمشكلات كما لوحظ أن البرامج الثقافية تعنى بجيل الشباب ، ولذلك ينبغى عليها أن تستمر فى دعم العلاقات بين جيل الكهول والشباب من الادباء .

ويرى البحث أن تولى البرامج الثقافية الشعر عنايتها ، وكذلك القصة والرواية وخاصة الاعمال التى تتناول قضايا ومشكلات ذات طابع قومى ، وتستوحى مقومات المجتمع المصرى والعربى .

كما أن البرامج الثقافية هى حلقة الاتصال بين جمهور الاذاعة والمسرح والسينما كجهازين ثقافيين . لذلك يوصى البحث بتقديم انتاج هذين الجهازين اذاعيا للمسرح سينما وأن العربى حين يتخطى العوائق المحلية الضيقة إلى المجال القومى الرحب يستطيع أن يؤدى إلى مزيد من التقارب الثقافى والفكرى بين ابناء الامة العربية

ويوصى البحث أن تعمل البرامج الثقافية فى صوت العرب والبرنامج العام على نشر التراث العربى الصالح وتقريبه إلى وجدان المستمع واستخدام الوسائل الفنية التى تجعل من هذا التراث مادة ملائمة للعرض الاذاعى .

كما يوصى بوضع معايير واضحة لاستخدام المواد الاجنبية فى الاذاعة ، بحيث تراعى فى اختيارها للاعمال الثقافية الاجنبية الاخذ بالقضايا الفكرية الانسانية الشاملة التى لا تتعارض مع قيمنا الفكرية .

كما يوصى البحث بأن تعمل الاذاعتان على تحقيق القيم الجمالية والفنية في البرامج المقدمة بها والبرامج المنقولة اليها من السينما والمسرح ... الخ على المستوى الذى يؤدى الى رفع مستوى الاحساس بالجمال والتذوق للفن في المجتمع في جميع تفاصيل حياته اليومية ، والفكرية ، وذلك لان القيم الفنية والجمالية جزء اساسى في البيئة النفسية للانسان ، وان الاذاعة المسموعة وهى تخاطب الاذن وخيال المستمع في تناولها لمختلف الموضوعات في البرامج الثقافية وغيرها تؤثر في تنمية الاحساس بهذه القيم في نفس المستمع .

الفنية

وكذلك ينبغي ان تعنى البرامج الثقافية بابرار القيم للفنية والجمالية العربية فإن ذلك يتيح لها اكتساب صفات جمالية وفنية متميزة ذات ملامح واضحة مما يحقق لها انتماءها الحضارى ويبرز شخصيتها القومية^(٥) .

وايماناً بأن التخطيط العلمى الواعى للجوانب الثقافية فى الاذاعة يرمى إلى الاستخدام الامثل للطاقت والإمكانات البشرية المادية المتاحة لتحقيق الاهداف الثقافية المطلوبة ، فإن البحث يؤكد ما أوصت به المنظمة العربية للتربية والثقافة ... والعلوم^(٦) : وهو ما اتضح فى الباب الثالث من هذا البحث :

- ١ - أن يكون الهدف من التخطيط للبرامج الثقافية هو أن يكون لها دور فى التغيير الثقافى والاجتماعى ، والعمل على ايجاد توازن بين العناصر الثقافية العربية الاصلية والحاجة إلى التكيف مع مستلزمات الحياة المعاصرة .
- ٢ - العناية فى هذا المجال بالتخطيط على المدى الطويل ، لأن التأثير الحقيقى فى المجالات الثقافية والأخلاقية يتطلب وقتاً طويلاً ، بالإضافة إلى أهمية التخطيط على المدى القصير فى ظل خطة طويلة المدى .
- ٣ - أن يرتبط التخطيط للبرامج الثقافية بالمؤثرات الثقافية الأخرى فى المجتمع مثل برامج التعليم والاعلام وغيرها
- ٤ - أن يراعى التخطيط للجوانب الثقافية تلبية احتياجات الجماهير ورغباتهم .
- ٥ - أن يتضمن التخطيط للجوانب الثقافية نشر الثقافة العربية الاصلية وتدعيمها وابرار الفنون العربية التى تشارك فى تكوين وجدان الانسان العربى المعاصر بالإضافة إلى الانفتاح على الثقافات الاجنبية .

القصائد ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧

البرامج العام موضوع الاتصال المصادر شكل البرنامج لغة البرنامج

اسم البرنامج	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	المعارف والثقافة	مهر	البلد العربية	البلد الأجنبية	الحديث والندوة	المنوعات الحوار	الشكل الدرامي	المسابقات المعجزة	موسيقى التحليل	النصفي المعاني	النصفي والعامة
١ - لغتنا الجميلة	١,٤٣	—	—	—	٧١	٧١	—	١,٤٣	—	—	—	—	—	—
٢ - قال الفيلسوف	٧١	—	—	—	—	٧١	—	—	—	٧١	—	—	—	—
٣ - حديث الصباح	—	—	—	—	٧١	—	—	٧١	—	—	—	—	—	—
٤ - ع الماضي	—	—	—	—	٧١	—	—	٧١	—	—	—	—	—	—
٥ - من الشائنة للميكرو	—	—	٧,١٤	—	٧,١٤	—	—	١,١٥	—	٦	—	—	—	٧,١٤
٦ - مواقف درامية	—	—	٤,٢٩	—	٤,٢٩	—	—	٢٩	—	٤	—	—	—	٤,٢٩
٧ - مع الأدباء الشبان	٤,٢٩	—	—	—	٤,٢٩	—	—	٢,١٣	—	٢,١٣	—	—	٢,٨٦	١,٤٣
٨ - من أسبوع لاسبوع	—	—	—	—	٢,١٣	—	—	٢,١٣	—	—	—	—	—	—
٩ - فنجان شاي	—	—	—	—	٤,٢٩	—	—	—	—	—	—	—	٤,٢٩	—
١٠ - أضواء المسرح	—	—	٨,٥٧	—	٨,٥٧	—	—	١,٤٣	١,٤٣	٤,٢٩	—	—	—	٨,٥٧
١١ - فنون	—	—	٢,٨٦	—	٢,٨٦	—	—	—	١,٤٣	—	—	—	—	٢,٨٦
١٢ - العلم والحياة	—	١,٤٣	—	—	—	—	١,٤٣	١,٤٣	—	—	—	—	—	١,٤٣

الفئات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
--------	---	---	---	---	---	---	---	---	---	----	----	----	----	----	----	----	----

البرنامج العام موضوع الاتصال المصادر شكل البرنامج لغة البرنامج

اسم البرنامج	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	الأحاديث والمعارف	مصر	البلاد العربية	البلاد الأجنبية	الحديث والتدرة	النوعيات الحوار	الشكل الدرامي	المسابقات المعجلة	الاذاعية تحليل	النقصي الدامية	النقصي الدامية	والدامية
١٣ - اقرا	—	—	٤,٢٩	—	٤,٢٩	—	—	—	١,٤٣	٢,٨٦	—	—	٤,٢٩	—	—
١٤ - الجائزة التقديرية	٤,٢٩	—	—	—	٤,٢٩	—	—	—	—	٤,٢٩	—	—	—	—	—
١٥ - القرن الحادي والعشرون	—	٧١	—	—	—	—	٧١	٧١	—	—	—	—	—	—	٧١
١٦ - طبيب العائلة	—	١,٤٣	—	—	١,٤٣	—	—	—	١,٤٣	—	—	—	١,٤٣	—	—
١٧ - الطائفة ٧٧٧	—	—	٢,١٣	—	—	—	٢,١٣	—	٧١	٧١	—	—	—	—	٢,١٣
١٨ - لقاء الفن	—	—	٨,٥٧	—	٨,٥٧	—	—	١,٤٣	٢,١٣	—	٢,٨٦	—	٨,٥٧	—	—
١٩ - ألحان زمان	—	—	٨,٥٧	—	٨,٥٧	—	—	٢,٨٦	١,٤٣	—	—	—	٤,٢٩	—	—
٢٠ - دنيا السياحة	—	—	١,٤٣	—	٧١	—	٧١	٧١	٧١	—	—	—	—	—	١,٤٣
٢١ - من مكتبة فلان	٣,٥٨	—	٥	—	٥,٧١	—	٢,٨٦	—	٥	—	—	٧١	—	—	٨,٥٧
٢٢ - يتحدثون عن	—	—	—	٧١	٧١	—	—	٧١	—	—	—	—	—	—	—
٢٣ - أنغام عربية	—	—	٤,٢٩	—	٢,٨٦	١,٤٣	—	١,٤٣	١,٤٣	—	—	١,٤٣	—	—	٤,٢٩

١
٥
٧
٧

البرامج العامة ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧

لغة البرنامج شكل البرنامج المصدر موضوع الاتصال اسم البرنامج العام

البرامج العامة	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
اسم البرنامج	الثقافة الادبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	الثقافة الاحداث ومعارف	البلد العربية	البلد الاجنبية	البلد الحديثة والتدو	الموسيقى	الشكل الدرامي	المسابقات للمجلة	الاذاعية	موسيقى تحليل	الفصحى العامة	الفصحى العامة	الفصحى العامة	الفصحى العامة	الفصحى العامة
٢٤ - حياتنا الثقافية	٧١	—	١,٤٣	—	١,٧١	٤٤	—	—	—	—	٢,١٣	—	٢,١٣	—	—	—	—
٢٥ - الغلاف فني	١,٤٣	٢,١٣	٧١	—	٤,٢٩	—	—	٧١	—	٢,١٣	—	—	٤,٢٩	—	—	—	—
٢٦ - صالون الفكر	٢,١٣	١٢,٤٣	٧١	—	٤,٢٩	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
٢٧ - الميكروفون مع	—	—	٤٤	٣,٨٧	٤,٢٩	—	—	٧١	—	—	—	—	—	—	—	—	—
٢٨ - حديث السهرة	٧١	—	—	٧١	١,٤٣	—	—	١,٤٣	—	—	—	—	١,٤٣	—	—	—	—

المجموع ٢٨, ١٣١٩, ٤٣١٧, ١٣٦٠, ١٣٦٣, ٨٥١٣, ٨٨, ٢٩, ٣, ٨٤, ٧, ٥٦, ٨٤, ٢٨, ٨٤, ٢٩, ٤, ٤٣, ٦, ٧, ٢٥, ١٦, ٢٧, ٤٧

% ١٠٠

% ١٠٠

% ١٠٠

% ١٠٠

٣/٥

لغة البرنامج

شكل البرنامج

المصادر

موضوع الاتصال

البرنامج العام

المناهج التعليمية

اسم البرنامج	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	المعارف العامة	مصر	البلد العربية	البلد الأجنبية	الحديث والنقد	الحوار	الشكل الدرامي	المسابقات والمنح	الفصحى العامة	الفصحى العامة	لغة البرنامج
١- قرائات لك	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٢- شارع الصحافة	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٣- عالم الشعر	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٤- مع الموسيقى العربية	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٥- صحتك بالدنيا	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٦- عالم السياحة	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٧- من القلب للقلب	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٨- عالم المجلات	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٩- في الطريق اليك	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
١٠- سهرة الأحد	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
١١- هودة بن بطرطة	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
١٢- عالم المسرح	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣

الفئات ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧

البرامج العام موضوع الاتصال المصادر شكل البرنامج لغة البرنامج

اسم البرنامج	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	المعارف العامة	مصر	البلاد العربية	البلاد الأجنبية	الحديث والندوة	المنوعات الحوار	الشكل الدرامي	المسابقات المجلة	موسيقى الفصحى	العامة الفصحى	الفصحى والعامة
١٣ - أشهر الألمان	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%
١٤ - سينمائيات	—	—	٢,٨٠	—	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	—	—	—	١,٨٧	—	٢,٨٠
١٥ - مع الموسيقى العالمية	—	—	٥,٦	—	٤,٦٧	—	٩٣	٥,٦	٣,٧٤	—	—	—	٥,٦	—
١٦ - اقتصاديات	—	—	٥,٦	—	—	—	٩٣	٩٣	—	—	—	٤,٦٧	٩٣	٤,٦٧
١٧ - عالم الفن	—	—	—	—	٩٣	—	٩٣	١,٨٧	٩٣	—	—	—	١,٨٧	١,٩٣
١٨ - قصص	—	—	—	—	—	—	٢,٨٠	٢,٨٠	—	—	—	—	٢,٨٠	—
١٩ - اللقاء المفتوح	—	—	—	١١,٢١	٥,٦	٥,٦	٥,٦	—	٥,٦	—	٢,٨٠	—	—	١١,٢١
٢٠ - سيرة مسرحية	٣,٧٤	١,٨٧	٣,٧٤	١,٨٧	٥,٦	٥,٦	٥,٦	٢,٨٠	٤,٦٧	—	—	—	—	١١,٢١
٢١ - هكذا كانت البداية	—	—	١١,٢١	—	١١,٢١	—	١,٨٧	١,٨٧	—	٩,٣٤	—	—	١,٨٧	—
المجموع	٧,٤٧	١٥,١٢	٤٦,١٢	٢٩,٩٥	٤٨,٥٥	٣٣,٣٧	٩٩,١٣	٢٩,٨٧	٨,٤١	١٥,٨٧	٢٢,٤١	٦,٥٤	٣٠,٨٣	٧٥,٥٨

% ١٠٠

% ١٠٠

% ١٠٠

% ١٠٠

فهرس

٣	التقديم . ا.د عبد العزيز شرف
٨	مقدمة المؤلفة
١٢	مدخل
٢١	الفصل الأول . ماهية البرامج الثقافية
٥٣	الفصل الثانى . المعايير الاذاعية للبرامج الثقافية
٧٥	الفصل الثالث . الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية
٧٥	البرامج الثقافية فى البرنامج العام
١٠٣	الفصل الرابع . البرامج الثقافية فى صوت العرب
١٣٣	الفصل الخامس . البرامج الثقافية واللغة المشتركة
١٥٥	الفصل السادس . البرامج الثقافية بين الأدب والفنون والعلوم
١٨٣	الفصل السابع . الأدب والبرامج الثقافية
٢٠٣	الفصل الثامن . البرامج الثقافية وتبسيط العلوم
٢٢٥	الفصل التاسع . منهج البحث ونتائج التحليل
٢٤٧	الخاتمة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا الكتاب يرتبط بمفهوم الاتصال الذى يعنى انتقال المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات أو العواطف من شخص أو جماعة أو وسيلة إعلام إلى شخص أو جماعة أخرى من خلال الرموز، كما يهدف إلى دراسة الثقافة من الوجهة الإعلامية والاتصالية من حيث أهمية التوصيل الثقافى فى المجتمع وغير ذلك من الموضوعات المشتركة بين الإعلام والثقافة. كما أن له من الوظائف ما يجعله على درجة من الأهمية عند التخطيط لمضمون وسائل الإعلام فى بلادنا مسموعة أو مرئية.. أو مقروءة؛ وهى أهمية تتفوق على أهمية الترفيه أو استهواء غرائز الجماهير وفى مقدمة هذه الوظائف.. وظيفة روحية وذلك حينما يسعى الإعلام الثقافى إلى إشاعة القيم الجمالية بين الجماهير. ووظيفة اجتماعية تخلق من مشاهديه والمعجبين به وحدة اجتماعية متماسكة، ووظيفة تربوية تهذب ملكات النفس حتى تدرك النسب الجميلة فى الأشياء.

وظيفة علمية يقدمها من تبسيط العلوم ومن مواد علمية تكسب العقل أسلوباً معاصراً فى التفكير العلمى.
وظيفة أدبية.. من حيث الارتفاع المستمر بمستويات التذوق لفنون الأدب المختلفة حيث يركز على مخاطبة عقول الجماهير ووجدانهم.